AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

لا بُدَّ للقَيدِ أنّ يَنكَسر

الهدف - فلسطين - العدد 58 (1532) - نيسان / أبريل 2024

وليد نمر دقة

الشهيد الأسير والرفيق القائد المفكر

الهدف
AL-HADAF
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (58) - (1532) - نيسان (أبريل) 2024

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
سامي يوسف

سكرتير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الافتتاحية

- صمود غزة في المئوية الثانية من حرب الإبادة — 2

حوار الهدف

- حوار مع الأسيرين المحررين: أحمد أبو السعود ومروان المالحي — حوار: محمد أبو شريفة — 4

شؤون فلسطينية

- في الهدف: غزة أرض الحكاية — أحمد علي هلال — 9
- الوحل الثلاثي: فلسطين، لبنان، إيران - رفح: نصر مطلق أم هزيمة متجددة — وسام رفيدي — 9
- في ذكرى يوم المرأة: الغزيَّات وحدهن يرسمن النهاية — لمى الشطلي — 11
- ولّى زمن الهزائم وأتى زمن الانتصارات — صلاح صلاح — 13
- التنكيل بالأسيرات الفلسطينيات.. نهج قديم يتجدد — إلهام الحكيم — 15
- الحراك الشبابي والطلابي، بين ارتقاء الوعي وطوفان التغيير — محمد منصور — 17
- يوم الأرض الفلسطيني وسؤال الحرب على غزة — بسام عليان — 19
- تداعيات السابع من أكتوبر — حاتم إستانبولي — 21
- المرأة الفلسطينية وتحديات الحرب — د. انتصار الدنان — 23

شؤون عربية

- مسؤولية الشعوب العربية في مجابهة المشروع الصهيوني — د. عابد الزريعي — 25
- اليمن.. ماذا يعني توسيع هجمات «أنصار الله» إلى المحيط الهندي — عادل عبده بشر — 27
- المرأة العربية بين محاربة الاستعمار والجهل والعنف والتقاليد — ماري ناصيف - الدبس — 29
- تقرير عن نتائج المواجهة بين حزب الله وحلفائه والصهاينة — د. جمال واكيم — 31
- رأس الحكمة.. وجبل الجليد — د. أحمد الخميسي — 35
- الغياب العربي عن صراع المشاريع في إقليم ملتهب — رضي الموسوي — 36

شؤون دولية

- الأطماع الأمريكية في غزة.. وأبعادها السياسية — مسعود أحمد — 38
- الانتخابات المحلية في تركيا: رئاسة بلديات أم بداية تغيير؟ — حسن الطهراوي — 39
- الرأي العام العالمي وغزة.. هل تغيّر فعلاً؟ — جعفر خضور — 40
- الإرهاب في روسيا العائدة قطباً دولياً — محمد صوان — 42
- كيف تعرقل غزة الممر الهندي — د. أدهم شقير — 44
- الكيان الصهيوني يستخدم الأسلحة الأمريكية في حرب الإبادة — علي زيدان — 46
- السياق التاريخي الصهيوأمريكي لتفكيك الأونروا وتصفية حق العودة — عليان عليان — 49

شؤون العدو

- معركة رفح بين الأحلام الإسرائيلية والواقع العنيد — محمد حسين — 52
- التظاهرات والتفاعلات داخل إسرائيل — علي بدوان — 53
- حكومة الحسم الصهيونية وفشل سياسة التهجير — د. عزمي منصور — 56
- الرد الإسرائيلي على الهجوم الإيراني بين التردد والحسم — نبال عمر — 57

شؤون ثقافية

- الشهيد وليد دقة وثقافة المقاومة — تغريد بو مرعي — 59
- صمود الوعي ووعي الصمود — د. وائل الزريعي — 60
- المضامين الإيديولوجية للاستشراق — د. سامي الشيخ محمد — 62
- معمارية العدم — عبد النور الهنداوي — 65
- حرب الإبادة الصهيونية على غزة هل تستدعي عملاً دراماياً؟ — بسام سفر — 67

صمود غزة

في المئوية الثانية من حرب الإبادة

انقضى أكثر من 200 يوم على حرب الإبادة البشرية بحق قطاع غزة، والكيان الصهيوني والإدارة الأميركية بحالة ذهول من صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته مما فاقم من أزمة الكيان وداعميه وأدت إلى خلط أوراق عديدة داخل كيان الاحتلال نتيجة الفشل الذريع في تحقيق أهداف العدوان (القضاء على المقاومة، وإطلاق سراح الأسرى، وجعل قطاع غزة منطقة غير قادرة على تهديد إسرائيل في المستقبل).

وانعكس هذا الفشل على تظهير تناقضات كبيرة في الداخل «الإسرائيلي» باتت تهدد الساسة والمجتمع وتطرح تساؤلات حول الجدوى من استمرار الحرب على قطاع غزة وانفلات جيش الاحتلال وعصابات المستوطنين في الضفة الفلسطينية، وبروز قطاعات وشرائح واسعة باتت تدرك حجم ما حصل في غزة، وانعكاسات ذلك مستقبلا على الاستقرار الأمر الذي يضعهم أمام تحوّلات حقيقية في مجتمع تسوده لغة التطرف التي تنادي باستمرار الحرب والقتل والإبادة. كما تصاعدت المطالبات برحيل نتنياهو والعودة لانتخابات مبكرة، وهو ما يتقاطع مع رغبة بعض الدوائر في الإدارة الأمريكية ، وأشارت نتائج استطلاعات الرأي المتكررة داخل الكيان بأن رغبة الجمهور بشقيه (المعارض والمؤيد للحرب) تتفق على رحيل نتنياهو باعتباره فشل في قيادة دفة الأمور بالشكل الصحيح وأيضا تحميله المسؤولية الكاملة بشأن التعطيل في ملف إنجاز صفقة التبادل حيث تعتبر عائلات الأسرى أن إعادة الرهائن هي مسألة وجودية، بالإضافة إلى السقوط المدوي لكيان الاحتلال في المجتمع الدولي وعند معظم شعوب العالم التي اجتاحت الشوارع والجامعات تضامنا مع فلسطين وشعبها. ومن الواضح أن من مصلحة نتنياهو تأخير أي اتفاق يتعلق بصفقة التبادل، وهو ما يفسر التعنت في رفض عودة النازحين إلى شمال قطاع غزة والتهديد المتكرر باقتحام رفح. كما برزت أزمة «قانون التجنيد» على الحريديين من طلاب المعاهد الدينية بدلا من إعفائهم، ومحاولات نتنياهو إيجاد صيغة تعفيهم من الخدمة العسكرية، فيما يطالب

الجيش بتجنيد عشرين ألف جندي جديد لمواجهة التحديات الأمنية المتفاقمة. ولا ننسى في هذا السياق مآلات الاقتصاد بارتفاع عجز الموازنة الإسرائيلية ووصولها إلى ذروة جديدة منذ أكتوبر (تشرين الأول) الماضي وحتى الآن على خلفية الخسائر والتكاليف الباهظة والمستمرة.

وانطلاقا من قراءتنا للتحولات الجارية، فإن نتنياهو يسعى لإطالة زمن الحرب كأساس لبقائه الشخصي والسياسي، ولكن هل من الممكن أن يستمر بحرب باتت عبثية بالنسبة لغالبية الإسرائيليين؟ سؤال يبقى برسم الإجابة في ظل ارتفاع الأصوات الإسرائيلية المنادية «بوجوب الخلاص في اليوم الـ200 للحرب»، وبأنه لم يعد ممكنا – بحسب اعترافاتهم- «تجاهل التوازن الحقيقي». ولا يبدوا أن السؤال سيلقى اهتماما لدى الإدارة الأميركية في ظل دعمها المطلق لكيان الاحتلال والذي أسفر مؤخرا عن 26 مليار دولار مساعدة واستعمال حق النقض الفيتو وإسقاط مشروع قرار الاعتراف بالعضوية الكاملة للدولة الفلسطينية، الأمر الذي يؤكد أن أميركا هي العدو الأول للشعب الفلسطيني وكل شعوب المنطقة. وإلى حين توافر الإجابة سيبقى هذا السؤال بمثابة ناقوس الخطر الذي يقض مضجع الاحتلال ويؤكد على فشله حتى اللحظة في إحداث شرخ في صفوف شعبنا ومقاومتنا الباسلة.

وبالمحصلة، نحن ممن يعتقدون بأن شعبنا الفلسطيني الذي يتوارث قيم الصمود والصبر والتضحية قادر على تقويض هذا الكيان من الداخل خاصة إذا ما توحدت جهوده في بوتقة واحدة لأن الوحدة ليست ترفا سياسيا أو فكريا إنما هي قانون انتصار لا يتحقق إلا بتكامل عوامل القوة وتضافر الجهود والالتفاف حول استراتيجية واحدة تنتج قيادة وطنية راسخة تسحب الاعتراف بكيان العدو، وتلغي اتفاقات أوسلو، وتعيد بناء منظمة التحرير الفلسطينية، ومشاركة كل القوى الفلسطينية ضمن إطارها، وذلك لبلورة برنامج سياسي يستند للمقاومة كخيار استراتيجي في مواجهة الاحتلال والعدوان.

وبعد أكثر من 200 يوم على بدء حرب الإبادة لا تزال المقاومة الفلسطينية صامدة ومصممة على المطالب المعلنة بوقف العدوان والانسحاب الصهيوني الكامل من القطاع، وتحرير الأسرى، وعودة جميع النازحين إلى المناطق التي هجروا منها، وكسر الحصار بالكامل على القطاع، وفتح جميع المعابر وإدخال المساعدات دون قيد أو شرط.

لدى المقاومة الكثير من العدة والعتاد وأوراق القوة التي تستطيع من خلالها تغيير الواقع في المنطقة برمتها. وواهم من يعتقد أنها ستقف مكتوفة الأيدي، وهي تتجهز لأي سيناريو بما فيها اجتياح مدينة رفح، وكل الخيارات أمامها مفتوحة دون استثناء لحماية شعبنا وإفشال مخططات الاحتلال ■

الأمين العام
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تأتي ذكرى **يوم الأسير** في هذا العام وفلسطين تعيش لحظات تاريخية حاسمة جرّاء حرب الإبادة المفتوحة على غزة والضفة الفلسطينية بعد أن استهدف العدوان الصهيوني الحجر والشجر والبشر، تأتي هذه الذكرى والأسرى يعيشون ظروفاً مأساوية صعبة بعد أن أقدم الاحتلال على انتزاع كافة حقوقهم التي كفلتها الشرائع الدولية ومع هذا فإن جميع الأسرى الفلسطينيين على موعد مع الحرية القادمة لا محالة من خلال صفقة تبادل مع المقاومة الفلسطينية.

تلتقي أسيرين من أسرى الحرية للوقوف أمام حياة الاعتقال في سجون الاحتلال وللتعرف عن قرب عن هذا النوع من النضال المستمر والدائم منذ اللحظة الأولى لوجود الاحتلال. حيث تناول الحوار معهما جوانب عديدة ترتبط بالأسرى والمحررين ومآلات هذه التجربة والكيفية التي ستكون عليها أي صفقة تبادل قادمة، والحديث حول العلاقة مع القائد الوطني والجبهاوي المثقف الكبير والمفكر والأديب الأسير الشهيد وليد دقة الذي قضى 38 عاماً في سجون الاحتلال.

في البداية وجه الأسير المحرر **أحمد أبو السعود** عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والأسير المحرر المناضل **مروان المالحي** التحية لأبناء شعبنا الباسل والمقاوم في قطاع غزة وهم يخوضون أشرس المعارك مع الاحتلال الصهيوني المدعوم أميركيا ومن بعض الدول الغربية عسكريا وسياسيا واقتصاديا. كما وجها التحية إلى المقاومة الباسلة في ضفتنا الأبية وهم يتصدون بصدورهم العارية لبطش وإجرام قطعان المستوطنين وعدوانهم المتكرر على المدن والقرى والمخيمات بحماية من قوات الاحتلال الإسرائيلي.

وأكدا أنهما جزء من أبناء شعبنا الفلسطيني والذي من واجبه وحقه المشروع أن يقاوم هذا المحتل الغاصب بكافة أشكال وأساليب النضال وأساسه الكفاح المسلح والأغلبية الساحقة من الفلسطينيين الذين ناضلوا وصمدوا بوجه الاحتلال الصهيوني هم عرضة إما للشهادة أو الاعتقال، وتابعا الحديث بالقول: نحن من عموم هذا الشعب العريق المتجذر بفلسطين وأرضها سنبقى نناضل أينما كنا وفي كل الساحات نرتحل من مكان لآخر وفلسطين معنا أينما كنا.

حوار

الأسير المحرر أحمد أبو السعود

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أجرى الحوار: محمد أبوشريفة
سكرتير تحرير مجلة الهدف ـ دمشق

وعند الحديث حول تزامن ذكرى يوم الأسير مع استشهاد القائد الوطني المفكر الأسير **وليد دقة** وما تحمله من معاني ودلالات استهل الرفيق أحمد أبو السعود القول بأنه في البداية ليس سهلاً أن تتحدث عن رفيق وصديق وشهيد أمضيت وإياه سنوات كثيره من عمرنا، ولكن من حقه أن نعكس الصورة التي كأنها وما تزال راسخة بالذاكرة، بالقدر الذي نستطيع. وكان لنا معه الحوار التالي:

■ كيف كانت بدية التعارف مع وليد دقه؟

في العام 1989 تم نقلي إلى سجن عسقلان، وكان من أكبر سجون الداخل الفلسطيني من حيث عدد الأسرى فيه حينذاك، منظمة الجبهة حينها كان قوامها قرابة الـ 150 رفيق، موزعين على سبعة أقسام، ومن حسن حظي وربما بترتيب من الرفاق تم إدخالي للأقسام الداخلية، حيث يتلاقى الرفاق في الساحة يومياً تقريباً، مما أتاح لي التعرف بسرعة على معظم الرفاق، وليد حينها كان في غرفة 22 التي تتسع لثمانية أسرة، بينما يتواجد فيها عشرة أسرى، أي أن اثنين ينامون على الأرض، وكانت المرة الأولى التي التقيت فيها وليد وتعرفت إليه في جلسة جماعية بالساحة، كان هدفها التعارف وذلك باعتباري قادم جديد للسجن.

فعرف بنفسه من باقة الغربية ومن مجموعات إبراهيم الراعي، شدني ذكر إبراهيم الذي كان قد مضى على استشهاده عام تقريباً، وتعرفت كذلك على الرفاق أبناء مجموعة وليد، وما إن انفضت الجلسة حتى ذهبت إليه لأتمشى برفقته، وكان تعارفنا بأنني رافقت الشهيد إبراهيم في عدة لقاءات معكم لكنني أكون بعيداً عنكم، وتحادثنا عن المجموعة وما حصل معهم حتى الاعتقال، وقد لفتني وشدَني أشياء محببه عندي في وليد بساطته وأريحيته بالحديث وكأننا نعرف بعضنا منذ وقت طويل، وقضينا بقية وقت الفورة سوياً وطبعاً كنا نحتاج لوقت أكثر بكثير لتبادل الأحاديث، تكونت لدي انطباعات مريحة جداً عن وليد.

■ ما هي أبرز سماته على المستوى الشخصي والحزبي والنضالي؟

بعد قضاء سنوات عديدة بالعمل مع وليد والتعرف إليه عن قرب، حيث عشنا سوية بذات الغرفة وعملنا بذات المرتبة، ومهام عديدة، أستطيع القول بأن وليد، دمث الخلق، مرح جداً، اجتماعي إلى أبعد الحدود، معطاء جداً، لا يشكل لديه التنظيم حاجزاً أو عائقاً عن إقامة علاقات مع أي مناضل أو مجاهد، مبادر، دائم الاطلاع على كل ما هو جديد، ويقدم أفكاراً قد تكون مثالية أحياناً، أو بعيدة عن الواقع، محبٌ للقراءة والتعلم، يتمتع بإجراء حوارات ونقاشات مع الآخرين، ولديه موقف ووجهة نظر أحيانا خاصة به، متزمت بوطنيته وفلسطينيته، لدرجة أنه واجه أكثر من رفيق أو غير رفيق حين كان يسمع أحد يقول بأنه أو غيره من فلسطيني الـ 48 (بعرب إسرائيل)، في إحدى المرات صرخ بوجه أحدهم في الساحة بأعلى صوته: أنا مش من (عرب إسرائيل) أنا فلسطيني، فلاح وأهلي فلاحين، حتى صدم الجميع بصراخه وانزعاجه من هذه التسمية التي أطلقها الصهاينة على أبناء شعبنا في مناطق الـ 48، وكل من سمعه لم يعد يستخدم هذا التعبير.

له سجل حافل بالنضال وقوة الشخصية في مواجهة السجان، فقد شارك في كل الإضرابات التي عاصرها بالسجون، ولم يتخلف يوماً إلا إذا خانه جسده، ولديه منطق قوي في الإقناع وخاصة السجانين، لدرجة أن مدير السجن طلب من الضباط والسجانين أن لا يناقشوه بأي أمر بالسياسة. أما على الصعيد الحزبي فقد عمل بكل المراتب الحزبية بالسجون قبل تشكيل الفرع، وكان متفانياً ولا يتوانى عن السهر طوال الليل في سبيل تقديم ما عليه من كتابات أو تقارير إلى جانب دراسته الجامعية، وما يكتبه من مقالات ودراسات للصحف العربية بالداخل الفلسطيني.

■ البعض يقول بأنه دخل المعتقل كعضو في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ولكنه تحول في نهاية المطاف إلى حزب آخر، ما حقيقة ذلك؟

نعم بدأ مناضل في صفوف الجبهة الشعبية، وناضل معظم سنين عمره فيها وفي صفوفها، فكان في بداية العشرينات من عمره، واستمر فيها كل عمره وحتى استشهاده، هو وأسرته التي كانت محيطه بالجبهة.

أما حكاية الحزب الآخر، ففي منتصف تسعينيات القرن الماضي برز عزمي بشارة وشكل حزب التجمع في الأراضي المحتلة عام 1948، وكان مثل أعضاء آخرين بالكنيست الصهيوني يزورون الأسرى، وأمر طبيعي أن يزور وليد وغيره من أسرى الـ 48 بصرف النظر عن انتماءاتهم الحزبية، ولما تم توقيع اتفاق أوسلو واعترفت قيادة المنظمة (بإسرائيل)، بادر وليد بالسؤال طالما حصل هذا الاعتراف، فماذا عنا نحن أبناء الـ 48؟ لقد تخلت عنا المنظمة، وحصلت نقاشات موسعة بين أسرى الـ 48 ليعملوا في نطاق حزب التجمع لخدمة أبناء الـ 48، وقدم وليد طلباً مع الرفاق الآخرين من مناطق الـ 48 للانضمام إلى التجمع، وتم رفع طلبهم إلى قيادة الجبهة خارج السجون، وتضمن الطلب ليس تركاً للجبهة وإنما عضوية أخرى لخدمة شعبنا في مناطق الـ 48، وفعلاً تمت الاستجابة والموافقة على عضويته بالتجمع مع رفاق آخرين.

لكنه لم يترك الجبهة لحظة واحدة وبقي يعمل في صفوفها ويمثل الرفاق في كل سجن يحط فيه، ويكون جزء من قيادة المنظمة الحزبية، وكما هو معلوم بعد أن رحل عزمي بشارة إلى مواقع أخرى وتغيرت صورته عما كان عليه في بداية مشواره، توقف حزب التجمع أو بالأحرى تحول إلى حزب هش بلا قاعدة ولا أعضاء ولا حضور لا في الكنيست الصهيوني ولا بالشارع الفلسطيني في الـ 48، هذا التغير لم يغير علاقة وليد بالجبهة الشعبية.

■ كيف كان وليد يتعامل مع حياة الأسر؟ هل نستطيع القول إنه أسس لنهج مميز بالصمود والتحدي؟

وليد اكتسب صفات وتجربة الصمود منذ أيامه الأولى بالأسر، وطوال سنين حياته

خلف القضبان وهو يراكم تجربته بصلابة وقوة جعلته أقوى من السجن ومن السجان، فكان مدرساً ومربياً ومعلماً لعموم الأسرى وخاصة الجدد منهم، ونحن نتحدث عن عشرات الآلاف من الأسرى، كونه يتمتع بنفسية قوية ولم ينهزم يوماً وبقي متشبثاً بقيم الصمود فكان مثالاً يحتذى.

وطوال عمره تقريباً كان يمارس الرياضة وهي من علامات الصمود، ويمارس القراءة والكتابة ويتفاعل مع الحياة خارج الأسر فهذا يعني أنه يمارس الصمود، إلى جانب دوره القيادي سواء على صعيد أوضاع الرفاق أو الأسرى بشكل عام من خلال التحدث باسمهم أمام رجالات الإدارة الصهيونية، أما إنتاجاته الفكرية من كتب ودراسات ومحاضراته وكتاباته على شكل مقالات ودراسات وغيرها فقد أعطت دروساً بالصمود ليس للأسرى فحسب وإنما لأبناء شعبنا وكل من قرأ لوليد، ما يعني أنه فعلاً أسس لنهج مميز وحفر صورته في وجدان أبناء شعبنا وكل من قرأ كتاباته.

■ هل تذكر موقفاً بينك وبينه أثر بك وبالآخرين؟

بصراحة مواقف وليس موقف، وكان منها جرأته وإلحاحه على إدارة السجون واستخدم المحاكم الصهيونية لكي يقيم عرساً في السجن ويحضر شيخ لكتابة كتابه على سناء التي أحبها وأحبته من وراء الشباك، ويجعل إدارة السجن توافق وتقدم له ما أراد، فهذا كان موقفاً نوعياً ولم يتكرر، ثم أن يتحدى مدير السجن ويتخذ مع ممثلي الأسرى موقفاً رافضاً لموقف المدير، ويكيل إليه الشتائم، ويتم عزله وعزل كل لجنة الحوار، ثم يتخذ الأسرى في السجن موقفاً موحداً بإعلان التمرد حتى إعادة المعزولين، وقبل أن تمضي 24 ساعة يتم إعادتهم، فهذا موقف لم يحدث ولم يتكرر.

أما على الصعيد الحياتي فوليد أول من نجح بإدخال بيض غير مسلوق تهريباً من المطبخ للغرفة التي يتواجد فيها، وينظف مكتة السجائر ويقلي فيها بيضة لكل رفيق بعد أن حرموا من أكل البيض المقلي سنوات عديدة، وغيرها كثير.

■ ما هي مكانة وليد بالحركة الأسيرة، وهل كان له تأثير في واقعها؟

وليد لم يكن كباقي الأسرى القدامى، علماً أن كل أسير قديم أمضى سنوات طويلة كان يحظى باحترام لصموده وحجم معاناته الكبيرة هو وأهله، بل كان لا يرى نفسه إلا وسط مجموعة من الأسرى يتحلقون حوله سواء بالسير معه في الساحة أو جلوساً على الأرض، يستمعون إلى ما يقول وحين يتناول موضوعاً اعتقالياً أو سياسياً لا ينهيه إلا مع انتهاء وقت الفورة، كان مرح جداً يمزج المرح بالجد فيشد إليه الجميع للاستماع والانتباه، حظي بمكانة محترمة من قبل كل الأسرى رفاق وأخوة ومجاهدين، لم يميز بين أخ ورفيق، بل قدم مساعداته وخدماته لكل من استطاع من الأسرى وخاصة أسرى الدوريات، وفوق كل ذلك فقد كانت والدته أم لكثيرين من الأسرى، وبحق كان قائداً وحد رموز الحركة الأسيرة.

■ كيف وجدت الحركة الأسيرة عند دخولك المعتقل، وما هي العوامل التي تؤثر على فعالية الحركة الأسيرة؟

حين اعتقلت وبدأت مشواري بالسجون كان القمع هو السمة السائدة بالسجون من قبل السجان، وكانت الأوضاع قاسيه جداً، فما كنا ننام ليلناً إلا جوعى ومحرومون من السجائر، وكثير من الأوقات نتقاسم السيجارة، مع ذلك كانت روح التحدي هي السائدة، وكأن السجان يريد أن يقهرنا لنظهر أمام أنفسنا ضعفاء عاجزين، لكن من عاصروا السجون قبلنا أسسوا لبناء الحركة الأسيرة، ورسخوا لها تقاليد وأعراف للعمل الداخلي الحزبي والعمل الاعتقالي الوطني، واشتقاق تجربة متميزة نسبياً.

من العوامل المؤثرة على الحركة الأسيرة نسيان أو تناسي الأسرى كما حصل في اتفاق أوسلو، حتى بات الأسرى يكتبون برسائلهم نحن المنسيون، وأكثر ما يقويهم هو مشاهدة حركات تضامنية معهم ليشعروا أن هناك من يزال يتذكرهم، بينما المواجهات والصدامات والتعرض للتنكيل والقمع والقتل فهذا يقويهم ولا يضعفهم، ودائما ما يخرج الأسرى من تجاربهم أكثر صلابةً وقوةً وتلاحماً وتمسكاً بالوطن وحريته.

■ على وقع معركة طوفان الأقصى، هل تتوقع أن نشهد صفقة لتحرير الأسرى ضمن الشروط التي تطرحها المقاومة الفلسطينية «الكل مقابل الكل»؟

تحرير الأسرى هو أحد أهداف معركة طوفان الأقصى، وإن يكن لدى المقاومة كل هذا العدد من الأسرى الصهاينة، فلا يوجد أي منطق يقول بغير تحرير الأسرى، المطلب العام هو الكل مقابل الكل، وهذا ما نريده ونتمناه، لكن بعد شهور وقد تمتد سنة وأكثر من التفاوض والكثير من الآلام والأوجاع التي تصيب شعبنا، فقد لا يتم التنفيذ حرفياً للشعار «الكل مقابل الكل»، إنما الأكيد أنه لن يتم التنازل عن أصحاب الأحكام المؤبدة وعددهم حوالي الـ 600 أسير ولا عن ذوي الأحكام العالية، ولن يتم التنازل عن الأسيرات ولا عن الأسرى الأشبال، ولا عن الأسرى المرضى، ولا عمن تم إعادة اعتقالهم بعد تحريرهم في صفقة وفاء الأحرار (صفقة شاليط)، ولن يتم التنازل عن كبار السن والصحفيين وأعضاء المجلس التشريعي، يعني غالبية الأسرى أو جميع الأسرى، ومن يمكن استثنائهم هم الإداريين باعتبارهم ليسوا مدانين بأية اتهامات، وبعض الموقوفين، لكن نعود ونقول إن سياق المعركة ونتائجها تؤثر بنتائج الاتفاق على صفقة الأسرى.

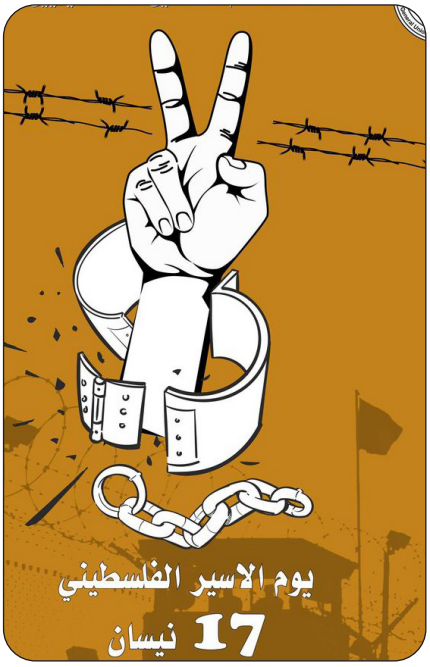

حوار
الأسير المحرر الرفيق مروان المالحي

المجد والخلود لروح الشهيد الرفيق وليد دقة بهذه الكلمات استهل الأسير المحرر الرفيق مروان المالحي حواره، والذي أكد فيه بأن دقة أمضى حياته مناضلا من الطراز المميز مناضل يؤمن بالكفاح ومثقف من الدرجة الأولى خط بقلمه كلمات أدت إلى إنتاج فكري وأدبي صهر بوعيه القضبان الحديدية وطارت كلماته من بين الجدران والأبواب الموصدة للزنازين لتصل لكل أنحاء المعمورة لتصبح منهجاً لأحرار العالم من زنزانته الصغيرة وطاولة الكرتون. فقد أبدع بإرسال الرسائل لكل العالم وقال لهم بأن السجن مدرسة فيها ما لم يعرف الكثير من البشر وليد أبدع بخلق ميلاد من المستحيل وها هو الاحتلال الصهيوني يغتاله كما اغتال من قبله غسان كنفاني والنجار وكثر من المثقفين الذي يخشى هذا الاحتلال كلماتهم. وحول تجربة الرفيق المالحي بالمعتقلات الاسرائيلية كان لنا معه حوار التالي:

■ **صف لنا اللحظات الاولى من الاعتقال والتحقيق؟**

منذ المرحلة الأولى للاعتقال يمارس الاحتلال ضد الأسير أبشع أدوات التعذيب والتخويف والترهيب من أجل أن يصل إلى حالة انكسار الذات وذلك للبوح بكل ما لديه من معلومات أو كل ما قام به من حالات نضالية ضد الاحتلال. ولكن هناك تتولد قوة لدى الغالبية الساحقة من الأسرى وتنقلب الموازين فبدلا من أن ينهار الأسير تتولد لديه قوة المواجهة والصمود والتحدي. وتاليا تبدأ قصة الأسير عندما ينفصل عن العالم الخارجي ومن أول يوم يدخل به الزنزانة.

■ **كيف كانت معنوياتك أثناء التحقيق وبعد اصدار الحكم؟ هل كنت تشعر بالإحباط أو الخذلان؟ هل تذكر كيفية استقبال الأسرى لك ولغيرك، ممن سبقوك في المعتقل؟**

ما يرفع من معنويات الأسير هم الأسرى أنفسهم أثناء دخوله الزنزانة أو مكان الاحتجاز. سواء بالترحيب أو بتضميد الجراح أو بالحديث معه والتخفيف عن ما آل اليه الاعتقال. وتبدأ مرحلة التحقيق أثناء الاعتقال وحينها تلتقي بأسرى كثر في الزنازين والمعتقلات وهم أسرى تم اعتقالهم أكثر من عدة مرات وكانوا بالنسبة لنا موجهين ولديهم خبرة واسعة ويدلون بالنصائح لكل أسير كيف يتعامل مع المحققين وما هو الأسلوب الذي يجب أن تتحدث به مع المحققين.

■ **هل كان هناك، تفاهم يومي بين المعتقلين، وتفاعل وتنسيق، وتشجيع للهمم، أم هناك ترقب وخوف وملل وصراعات شخصية، وفصائلية؟**

ينتقل الإنسان المناضل من عالم الفضاء الواسع إلى عالم يعيش بين الجدران والأبواب المغلقة، وهنا تكتشف المدى الحقيقي للإنسانية الحقيقية التي تنبعث من دواخل الأسرى. فالاعتقال عالم آخر مختلف عن العالم الخارجي، والأسرى هم استثناء صنعوا من أقبية التحقيق شيء مختلف ومن المعتقلات والسجون أشبه بجامعات ومدارس لها خصوصيتها الوطنية والقومية.

عندما ترى الأسرى يتحدثون عن بلداتهم وقراهم ومدنهم تشعر بأنهم يتحدثون عن معشوقة أو حبيبة. لديهم إحساس عالي بالحديث والتعبير وهنا ترى ملامح الوجوه قد تغيرت وكأنهم فلاسفة أو شعراء أو كتاب، وعندما يسمع الأسير القادم حديثا ما يبوح به الأسرى يشعر بأنه جزء من عائله لديها انتماء حقيقي للوطن.

■ **هل تحدثنا عن كيفية المحاكمة، وهل هي محاكمة حقيقية او صورية؟**

المحاكم العسكرية محاكم صورية، ومن يتحكم بالقضاء هو جهاز المخابرات (الشباك) وهو من يقرر، ولكن لتبييض الوجه القضائي. يعطوا للمحاميين فرص لخلق ثغرات لتحسين صورة الاحتلال والقضاء العسكري، مع العلم أن ما يمارس بحق الأسرى الإداريين هو أكبر دليل على تحكم جهاز المخابرات بالمحاكم العسكرية وتحت مسميات عدة أولها الملف سري وما يسمى بقانون الأحكام العرفية.

■ **ماذا عن الحياة الناظمة للمعتقلات، هل هناك قيادات توجهكم وترشدكم وتنظمكم؟ ام كان كل مجموعة تتصرف كما تشاء؟**

الانتقال من مرحلة التحقيق وتوزيع الأسرى على المعتقلات أو السجون المركزية عندما يدخل الأسير إلى أي سجن او معتقل ما بعد التحقيق هناك في كل سجن او معتقل لجنة فيها ممثلين عن كل الفصائل تسمى باللجنة الوطنية وفي أثناء دخول الأسرى يتم الفرز كل أسير حسب تنظيمه لا يوجد أسير يعيش خارج إطار الفصائل هناك عملية منظمة لاستقبال الأسرى من قبل الفصائل الفلسطينية بداخل السجون.

وعندما يتم الاستقبال والفرز ينتقل الأسير إلى حالة أكثر انتظام ولها ضوابط فكل تنظيم لديه برنامجه الخاص به لكل مناحي الحياة داخل السجون، ويوجد تفاعل بين الأسرى من كل الفصائل ونقاشات على كافة الصعد وهناك كثير من حالات التوافق بين الأسرى من كل الفصائل ومن النادر جدا أن تسمع إشكالات أو مشاكل، ومجموع الأسرى الذي تلتقي بهم بداخل السجون يجعلك تشعر بأنك تعيش بين عائلتك الأخرى التي أنت جزء منها. وخلال وجود الأسير بأي سجن هناك ضوابط وبرامج متبعة ونظام لا يمكن تجاوزها فالفصائل دفعت دماء وشهداء لكي تكرس مفهوم التنظيم

داخل السجون وخاضت إضرابات عن الطعام لكي تحقق هذه المكاسب ولا يوجد مجموعات تعيش داخل السجون منفصلة عن التنظيمات. ويوجد بداخل السجون قيادات ومنظمات حزبية ومؤتمرات يتم خلالها انتخاب هيئات مسؤولة عن هذا الفصيل أو ذاك والهيئات المنتخبة هي مسؤولة عن كل الأسرى بمن فيهم القيادات فالكل يخضع للبرامج المقرة من المؤتمر.

■ كيف كان يقضي المعتقلين وقتهم في المعتقل؟ ما الذي تعلّمته في السجن؟

لا يوجد فراغ بداخل السجون للأسير وقت خاص به والأوقات المتبقية هي للجلسات والتفاعل. هناك برامج ثقافية وسياسية وفكرية وادبية وتعليم إجباري لمن لم يكمل دراسته وتعليمه، وأيضاً يوجد برامج مطالعة إجبارية وفي بعض الأوقات يطلب من الأسير أن يعطي محاضرة بما قرأ أو يقدم كشف شهري بما تم قراءته خلال شهر.

لا يوجد فراغ بداخل السجون هناك وقت خاص للأسير والأوقات المتبقية تعبئ بالجلسات او التفاعلات.

وما تعلمته بداخل السجون هو الصبر وقوة التحمل والحفاظ على البقاء ومواصلة النضال، السجن ساحة من ساحات النضال.. إذا لم تكن هي الأهم فمنها تخرج آلاف القادة والمناضلين منهم من قضى شهيدا ومنهم من أعيد اعتقاله مرات أخرى ومنهم من هو مناضلا شرسا يخوض الاشتباكات اليومية مع الاحتلال ليومنا هذا وأيضا هناك مثقفين وأدباء وفنانين وساسة يتبوؤون أماكن كثيرة في الفصائل ولهم مكانتهم وحضورهم.

لكل أسير قصة والقصة ممكن أن تكون رواية والروايات كثيرة أهمها بأن الغالبية مؤمنين بأن الصراع ضد الاحتلال حق مشروع والاحتلال الصهيوني إلى زوال.

■ يقال عن وجود عصافير (عملاء)، بين المعتقلين، هل هذا صحيح وكيف كان تعاملهم؟

منذ أكثر من سبعين عاماً ويعمل الاحتلال جاهداً لإسقاط العملاء والمتخاذلين فلم يجد وسيلة إلا واتبعها من أجل أن يستحوذ على معلومات (العصافير- الجواسيس)، فهم جزء من منظومة الاحتلال يعتمد عليهم من أجل كسب معلومات حتى لو كانت بسيطة ليبني عليها تساؤلات واستنتاجات عدة. و»العصافير» جزء من حالة ايقاع بعض المناضلين بداخل السجون يسرقون المعلومة من الأسير حين الاستماع ويتم نقلها للمحققين.

■ كيف ترى القيادات خارج المعتقل هل تهتم بالأسرى وبعائلاتهم؟

للأسف، أغلب قيادات العمل الوطني آخر اهتمامهم الأسرى مع العلم بأن معظم القيادات بمناسبة يوم الأسير أو عندما يشرع الأسرى بالإضراب يعبرون بأحاديثهم عن التضامن مع الأسرى ويتحدثون بما يليق بتضحياتهم، ولكن هناك تقصير كبير اتجاه الأسرى وذويهم. فتحرير الأسرى من السجون لا يأتي عبر الخطابات ولدينا شواهد كثيرة من أعمال وتخطيط إما لخطف جنود أو مستوطنين وهناك مجموعة كبيرة من الأسرى تم اعتقالهم على خلفية التخطيط أو محاولة أسر جنود وللإنصاف هناك مجموعات أخذت على عاتقها مسؤولية تحرير الأسرى وشاهدنا التبادل الأخير ونتيجة المفاوضات والضغط على الكيان بالأفراج عن ما يزيد على ألف أسير ومبادلتهم بالجندي جلعاد شاليط.

■ هل تعتقد أن القيادة الرسمية الفلسطينية ارتكبت خيانة بحق الأسرى وأنها خانت العهد للمناضلين؟

الموضوع ليس خيانة، ولكن قيادات العمل الوطني والفصائل الفلسطينية خذلت المناضلين بداخل السجون وتحديدا الأسرى الذين كانوا يراهنوا على الفصائل بأن يقوموا باختطاف وتبادل، ومنهم الأسرى القدامى الذي مضى على اعتقالهم عشرات السنين فلا يمكن أن يستوعب العقل أن كل الفصائل لم تغير المعادلة في تبادل الأسرى. حيث كان آخر تبادل للأسرى سنة 1985 في صفقة النورس، وتلاها في العام 2011 صفقة وفاء الأحرار وتم الإفراج عن بعض الأحكام العالية وكثر منهم تم اعتقاله وإرجاعه إلى داخل السجون.

نعم هناك تقصير واضح ولا يمكن للأسرى أن يغضوا البصر عن هذا الخذلان الذي جاء من بعض الفصائل التي لم يكن من أولى أولوياتها ملف الأسرى. إن الاحتلال لا يمكن أن يرضخ بالأفراج عن الأسرى إذا لم يكن هناك ورقة قوية يتفاوض بها الفلسطيني من أجل تحرير الاسرى والمعتقلين، وأنوه هنا بأن هنالك بعض القيادات الفلسطينية ليس من صالحها الإفراج عن بعض الرموز المرموقة من أجل الحفاظ على ذاتها ومكانتها.

■ في ظل حرب الإبادة التي يشنها العدو الصهيوني على قطاع غزة منذ سبعة أشهر ما هو مصير الآلاف في السجون؟ وكيف تقرأ تمسك قيادة المقاومة في غزة على تحرير الأسرى؟

إن الانتصار الذي تحقق في السابع من أكتوبر كشف عن الوجه الحقيقي للاحتلال الصهيوني والإجرام الوحشي بارتكابه المجازر والمذابح وحرب إبادة موصوفة، وكشف المستور لكل من طبع من النظام العربي الرسمي.

فالاحتلال يمارس منذ السابع من أكتوبر أبشع أدوات القهر والتعذيب ضد الأسرى وحالات الاعتقال في المرحلة الأخيرة تجاوزت 8000 آلاف أسير نتيجة حرب طوفان الأقصى وكل هذا من أجل أن يحقق بعض الانتصار ليظهر أمام شعبه بأنه حقق انتصار هنا أو هناك. والأخطر بما يخص هذه الحرب هو الكم الهائل من الأسرى الذين تم اعتقالهم من غزة ومصيرهم مجهول ولم تستطع المؤسسات الدولية أن تضغط على الاحتلال للكشف عن مصيرهم.

إن تمسك قيادة المقاومة على تحرير الأسرى يثبت بأن المقاومة لن تخذل الأسرى ولن تخذل أبناء شعبنا الفلسطيني بالتنازل عن الحق الطبيعي من أجل الإفراج عن الأسرى والمعتقلين بصفقة مشرفة تليق بتضحيات الشعب الفلسطيني وصموده وبالدماء التي سالت من أجل تحرير الأسرى والمناضلين.

نحن على قناعه تامه بأن النصر قادم المجد والخلود للشهداء.

والحرية كل الحرية للأسرى والمعتقلين

في الهدف

غزة أرض الحكاية..

أحمد علي هلال
كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

لا تعرف كيف نامت ليلتها تغمض عينا وتفتح عيناً أخرى، تقف أمام منزلها المهدم وهي تقول بعمرها الطفولي وببراءتها، أريد الرجوع إلى بيتي، وسأظل على أرض الشهداء لآخر نقطة دم في روحي، تتأمل ما بقي من أزهار بيتها، بيتها المهدم، وتتابع فإذا مت أتمنى أن أدفن تحت هذه النباتات.

تستدرك-المذيعة- وهي تسألها ألست جائعة؟ أو تعانين من البرد؟ تقول الطفلة: رغم ذلك سأبقى هنا لتستعيد عبارة عمر المختار:« نحن لا نستسلم ننتصر أو نموت».

هكذا يشق هذا الوعي الطفولي المترع بالبراءة صوته في فضاءات غزة المستباحة للنار والموت ليكون مجاز أطفال غزة وفلسطين الذين يلعبون مع الموت ولا يخشونه، يشمون رائحة التراب الذي جرفتّه آليات الغزو ، ولا يعنيهم سوى أنهم هنا، أي في لحظة التاريخ يلعبون ويضحكون ويبكون، ويودعون آبائهم صباح مساء، تماماً كصوت طفلة أخرى ما تلبث أن تقول وهي تتساءل عن القصف لا أخشاه فالمقاومة تحميني... هي سرديات أطفال فلسطين الذين استعادوا دروسهم الجديدة دون سقف مدرسة أو مقعد أو كتاب، أو بضعة أقلام يكتبون بها واجباتهم المدرسية المتأخرة، أو تراهم يركضون إلى الشاطئ القريب من مخيمهم ليغسلوا أرواحهم قليلاً من غبار الحرب، ويستمرون بالحلم، ولم يكن الحلم سوى هم بطفولاتهم وأعمارهم الصغيرة الغضة، التي تعد بأن ثمة أعماراً تنتظرهم، لأنهم وحدهم من سيكبرون مع الموت ليطلوا من عيونه إلى المعنى الآخر للحياة.

الوحل الثلاثي: فلسطين، لبنان وإيران رفح: نصر مطلق أم هزيمة متجددة

وسام رفيدي ـ كاتب سياسي من فلسطين

الوحل الثلاثي المركب

سواء أكنت متابعاً لمجريات حرب الإبادة على غزة، أم لتصريحات السياسيين والجنرالات والمحللين والإعلاميين الصهاينة، فلن تخرج سوى بنتيجة واحد: الصهاينة (وحَّلوا)، أي غرقوا في الوحل المركب، وحل غزة، وحل الجنوب اللبناني، وأخيراً وحل الاشتباك المباشر مع إيران.

وهذا التوصيف لا يعني بأي حال التقليل من حجم الكارثة التي حلت بشعبنا في الضفة والقطاع، المتمثلة بحجم الإبادة الهمجية المتمثلة بالتضحيات البشرية، وتدمير البنى التحتية بمؤسساتها المختلفة، والتجويع، ومحاولات التهجير والتطهير العرقي، ومع ذلك نرى نصف الكأس المليئة، فرغم كل ذلك فشعبنا صامد، وصموده نتاج/ ومدعوم بمقاومة باسلة، وانجازات فدائية ميدانية يعترف فيها العدو قبل الصديق، ومخطط التهجير فشل، لا بل يسعى الغزيون للعودة لشمال القطاع رغم القنص والقصف الصهيوني. بالنتيجة إننا أمام القاعدة الذهبية في المعركة بين المستعمِر والمستعمَر، أخذاً بعين الاعتبار ميزان القوى العسكري: طالما أن القوي (المستعمِر) لم ينتصر فهو مهزوم، وطالما أن الضعيف (المستعمَر) لم ينهزم فهو المنتصر. المقاومة إذاً منتصرة: تصمد وتقاتل ومنعت الصهاينة من تحقيق أهدافهم المعلنة في اجتثاثها وتحرير أسراهم وإنهاء الحكم المدني لحماس.

وما يقال عن القطاع يقال عن الجنوب اللبناني. كان الهدف إجبار حزب الله على سحب مقاتليه حتى الليطاني، حماية لمستوطناته ومستوطنيه في شمال فلسطين، عبر إيجاد منطقة عازلة في الجنوب اللبناني. النتيجة ببساطة: ترحيل عشرات آلاف المستوطنين (التقديرات بين 120-200 ألف مستوطن)، تدمير مستوطنات تدميراً شبه كلي، وتحديداً كريات شمونه والمطلة، وإعلان 40% من المستوطنين، حسب صحافتهم، نيتهم عدم العودة للمستوطنات الشمالية حتى لو توقف القتال، والأهم أن المنطقة العازلة، عملياً، هي في شمال فلسطين وليس في جنوب لبنان. هذا وحل آخر.

أما إيران وقد وجّهت ضربتها من داخل إيران للكيان الصهيوني، فقد أعلنت معادلتها الجديدة للردع، والهوجة الإعلامية الصهيونية والغربية عن تدمير 99% كذّبتها صحيفة معاريف الصهيونية بالحديث عن تدمير 83%، وبغض النظر عن التفسيرات التقنية العسكرية للضربة، والتي سعى الإعلام المعادي لإغراقنا فيها تمييعاً لنتائجها السياسية والاستراتيجية، فعسكرياً نجحت إيران بضرب القاعدتين المحددتين كهدف، وبالتالي غيرت معادلة الصراع مع الكيان لصالح قرار القيادة الإيرانية. إنه وحل ثالث.

وإذا أضفنا الأزمة السياسية التي تعصف في الكيان بين الشارع والحكومة الفاشية، أو بين مختلف التكوينات الحزبية، أو داخل الحكومة ذاتها، رغم اتفاق الجميع على الإيغال في دمنا، وتحقيق إبادتنا، فهذا لا يختلفون عليه، فهذا يؤشر على تعمّق ما أشرنا له كوحل مركب خاصة أنه يتزايد باستمرار نتيجة استمرار المعارك في لبنان وغزة وعدم النجاح بتحرير أي من أسراهم.

(نصر مطلق) أم نزول عن الشجرة؟

منذ شهور ونتنياهو وفريقه الفاشي من جنرالات ووزراء مأزومين بوحلهم يجعلون من معركة رفح خشبة الإنقاذ، فهم باستمرار، وخاصة نتنياهو، يربطون بين مقولة (النصر المطلق) التي ابتدعها، كاندفاعة موهومة للأمام بفعل الفشل العسكري البيّن، وبين الاجتياح البري لرفح (لتصفية ما تبقى من كتائب حماس) والمقاومة كما يزعم، وعلى ما يبدو ربط بين مستقبله السياسي وبقائه على رأس الحكومة، وبين عملية برية في رفح، متوهماً كالعادة أن معركة رفح ستكون آخر المعارك فيما كتائبها آخر الكتائب.!!!

سبق لنتنياهو وجنرالاته أن منّوا النفس بما يشبه ذلك عند الحديث عن (تصفية المقاومة في الشمال) بعد العملية البرية بشهرين، وها هم اليوم يواجهون مقاومة متجددة، وهزيمة متجددة من كتائب متجددة في مواقع الشمال، جباليا وبيت حانون وبيت لاهيا، وقالوا ذلك عن الوسط وها هم يغرقون من جديد في وحل النصيرات والشجاعية ومدينة غزة ومستشفى الشفاء والتفاح والدرج، أما خان يونس التي قدّروا أن تصفية الكتائب فيها يحتاج لشهرين فأخذهم 4 شهور من القتال اليومي، ليعلنوا الانسحاب مدحورين بعد يوم فقط من الكمين المركب المميز للمقاتلين في الزنة، والذي كلّفهم عشرات القتلى والجرحى.

أما بعد أن حاولوا التصوير وكأن سلطة حماس المدنية انتهت، عاد رجال الشرطة والمؤسسات الحكومية المدنية للعمل، فتركزت التصفيات عليهم بالقنص والمدفعية والطائرات المسيرة، فيما سلطة أوسلو المعادية للمقاومة قلباً وقالباً، جنّدت مخابراتها لتشكيل (قوة أمنية)، من بوابة المساعدات، فاندحرت بكشفها، وانكشف مخططها التخريبي.

كل حساباتهم العسكرية حتى اللحظة باءت بالفشل وحصدت الهزيمة، لذلك تتعالى باستمرار الأصوات التي تعتقد أن لا حلا عسكرياً بيد الجيش، وأن تصفية المقاومة هدف مستحيل، فحتى لو استشهد الآلاف من المقاتلين، كما يزعم الصهاينة، فهناك، وبتقديراتهم وتقديرات الاستخبارات الأمريكية أيضاً، آلاف مؤلفة لا زالت تقاتل، أو تنتظر في عقدها القتالية كما قال ابو عبيدة مرة.

لكل ذلك يبدو الربط بين العملية البرية في رفح و(النصر المطلق) المأمول، منطقياً، من زاوية رغبة نتنياهو بتقديم (نصر ما)، بتصفية (ما تبقى من كتائب حماس) والمقاومة. نفس المعزوفة/البهروجة الإعلامية التي برع فيها نتنياهو منذ 7 أكتوبر، ولم تحصد سوى السخرية والفشل، حتى بات لقبه المعتمد من قبل الإعلاميين والساسة والمحللين الصهاينة (الكذاب الكبير)، فهو يكذب ويكذب، ويمني النفس مرة تلو مرة، فيفشل المرة تلو المرة، كحال المستعمِرين والإمبرياليين دائماً.

أما ما يشاع حول المعارضة الأمريكية للعملية البرية في رفح فهو دعاية مضللة من الدرجة الأولى. الامبريالية الأمريكية شريك رئيس في الإبادة بفعل الدعم السياسي واللوجيستي والميداني، فمن باب أولى أن لا ينطلي على أحد (معارضتها) لعملية برية في رفح، وهي بالمناسبة لم تقل يوماً أنها تعارض العملية المتوقعة، بل تقول بتوفير الظروف (لعدم إيقاع الخسائر في صفوف المدنيين)، وذلك موقف مخادع أيضاً ووجب توضيحه. كعادتها منذ 7 أكتوبر دعمت الإمبرياليات الأمريكية والأوروبية الإبادة وفق شعار (حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها)، فيما نتيجة ضغط الرأي العام في الشارع الأمريكي والأوروبي المعادي للكيان والسياسة الأوروبية والأمريكية، باتت تحسب حساب (عدد) الضحايا المدنيين، لا ضرورة وقف الإبادة، فاستشهاد 150 فلسطيني مدني، وهو رقم تداولته الصحافة والخبراء الأمريكان مرة، كرقم يمكن استيعابه، ويؤشر لتغير في آلية العدوان الذي كان يحصد المئات والآلاف يومياً، وهذا ما قالوه صراحة، فما كان حصداً للآلاف يومياً يمكن أن يتم لا في يوم واحد بل على مدى بضعة أيام، فهذا ليس بمشكلة للإمبريالية الامريكية. إنها (حسابات) الرجل الأبيض العنصري الذي لا يرى للأجناس البشرية خارج عرقه، سوى كائنات لا لزوم لها ويمكن إبادتها، وما فعله في التاريخ وأنشأ حضارته وفقه، يمكن ببساطة فعله اليوم، فالرجل الأبيض الصهيوني هو ذاته الرجل الأبيض الأوروبي والأمريكي، وحسابات الإبادة هي ذاتها، وإن كانت تتم اليوم وفق شعار (حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها)، كشعار يجري تمويهه بشعاري (حماية المدنيين وإدخال المساعدات). لنتذكر: لم يكن للإمبريالية الأمريكية منذ أكثر من 190 يوماً موقفاً يدعو لوقف دائم لإطلاق النار، بل دعوة صريحة لتصفية حماس والمقاومة. هذا الموقف ينسحب على رفح.

لذلك أفشل نتنياهو، ويُفشل باستمرار، أية مقترحات لوقف إطلاق النار الدائم، وانسحاب المحتلين الصهاينة، وعودة السكان للشمال، كخطوة تسبق تبادل للأسرى، فعينه لا على أسراه المحتجزين لدى المقاومة، فهؤلاء آخر ما يشغل تفكيره السياسي والعسكري، بل عينه على تصفية المقاومة واجتياح رفح، لذلك تغدو عملية رفح البرية، التي يجري الإعداد لها، خشبة الخلاص لتقديم (نصر ما)، يكون بمثابته سلم للنزول عن شجرة الأهداف الكبيرة الي وضعها ولم يتحقق منها شيء حتى اللحظة، فلا بأس من بهروجة إعلامية، وهو صار رئيسا للحكومة أصلاً لأول مرة آتياً من حقل الإعلام الحكومي، تشيع وهم أن اجتياح رفح سينهي إلى حد كبير المقاومة، وبالتالي يحقق النصر. أما ما سيلقاه في رفح، حين يفعلها، فسبق ولقيه في النصيرات والشجاعية والزنة وجباليا، وهذا قرار المقاومة منذ اليوم الأول.

في ذكرى يوم المرأة:
الغزيّات
وحدهن يرسمن النهاية

لمى الشطلي
كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

لأن الأرض في صفاتها الأولى مؤنثة تتراءى الرواية في تكوينها على هيئة المرأة، فكيف لو كانت الأرض فلسطينية والمرأة غزاوية تشحذ من شعاع الشمس تفاصيل الحكاية، وتقرأ على مسمع العالم قصص النساء جميعاً «كلنا في عرف الأرض مقاتلات.. كلنا في شقاء الرواية مناضلات مقاومات.. نلد أبطالاً وشهداء.. ولا نعرف النهاية لأنها عجزت عن تسميتنا وأخرجتنا من عدالة العالم لكنها أدخلتنا في عدالة التراب..»

لربما الحديث عن النساء في غزة في يوم استفاض بتعداد حقوق المرأة وتوصيفها ضربٌ من العبث، العبث الذي يقسم العالم على نحوٍ يسمح بالتغاضي عن كل ما يجري للنساء في غزة، ويعلي صوته عالياً في أفواه النسويات من العالم الغربي إذ تعرضت أي امرأة منهن لانتقاص وليس لانتهاك، وكأن النساء في غزة لسن مثلهن، وكأن العالم لايزال يتعامل بسياسة أن يصغي سمعاً لساكن الشمال ويغض الطرف عن أوجاع من يموت في الجنوب.

فالأرقام والحقائق والوقائع التي تسجل اليوم من انتهاكات خطيرة بحق النساء الفلسطينيات عموماً وبحق المرأة في غزة تحديداً صادمة ومخيفة، هذه المرأة التي شهدت حرباً دامية على مدار أكثر من ستة شهور تعرضت خلالها لشتى أصناف المعاناة والانتهاكات، بما فيها أحياناً، حالات التحرش والاغتصاب والاستغلال الجنسي، ناهيك عن تهجير ونزوح من منطقة إلى أخرى وفقدان المعيل والترمل في ظروف كارثية تنعدم فيها أدنى مقومات الحياة، ويخيم عليها شبح المجاعة. وبلغة الأرقام، خلال هذه الحرب على غزة، استشهد حوالي 9000 امرأة، وتُستشهد 63 امرأة بينهن 37 أُمّا يومياً، كما تستشهد 2 من الأمهات كل ساعة وفق أرقام أممية، ومنذ 7 أكتوبر الماضي نزح 1.9 مليون نسمة بينهن نحو مليون امرأة وفتاة، وهناك ما لا يقل عن 3 آلاف امرأة أصبحن أرامل ويحاولن إعالة أسرهن، في ظل عدم توفر أماكن آمنة للناجيات بالقدر الكافي.

وبحسب تقديرات صندوق الأمم المتحدة للسكان، وهو وكالة دولية تعمل على تعزيز حقوق النساء فيما يتعلق بالصحة الإنجابية، وضعت 5500 فلسطينية حملهن في غزة خلال الشهر الأول من الصراع في ظل نقص رهيب للإمدادات الطبية. وقال الصندوق إن فلسطينيات غزة يعشن ظروفاً لا تطاق في مراكز الإيواء ولا يستطعن استخدام دورات المياه إلا بعد الوقوف في طوابير لفترات طويلة، ولا يجدن المياه اللازمة للنظافة والاستحمام، مما يؤدي إلى أزمة نظافة وإصابة العديد منهن بأمراض

نسائية، وأخرى معدية.

ومع استمرار الحصار الصهيوني وإغلاق المعابر توقف إمداد فلسطينيات غزة بالمستلزمات الصحية النسوية. وتفيد تقديرات الصندوق بأن حوالي 700 ألف امرأة وفتاة فلسطينية لا يحصلن إلا بشكل محدود على منتجات النظافة الخاصة، بالإضافة إلى الغياب التام لخصوصيتها في ظل استحالة النوم وحدهن في مراكز النزوح المكتظة.

وبالحديث عن الحوامل في قطاع غزة اللواتي يقاسين ظروفاً تهدد حياتهن ويواجهن احتمال الولادة بعمليات قيصرية دون مسكنات أو تخدير أو تدخل جراحي أو حتى احتياطات صحية، حيث نشرت مؤسسة «أكشن إيد فلسطين» تقريراً صادماً تحدث عن معاناة عشرات الآلاف من النساء الحوامل من الجوع الشديد وسوء التغذية، مما يحد من قدرتهن على إرضاع أطفالهن حديثي الولادة من خلال الرضاعة الطبيعية.

وأضافت «أكشن إيد» أن 50000 امرأة حامل، و68000 مرضع في غزة، طبقاً لبيانات الأمم المتحدة، بحاجة إلى تدخلات وقائية وعلاجية وغذائية فورية لإنقاذ حياتهن، وقالت مسؤولة التواصل والمناصرة في منظمة «أكشن إيد فلسطين»، رهام جعفري: «النساء الحوامل والمراضع وأطفالهن هم الأكثر معاناة، نسمع قصصاً مروعة. هناك أمهات اضطررن إلى مشاهدة أطفالهن وهم يصرخون ويبكون من الجوع بلا حول ولا قوة... عاجزات تماماً عن فعل أي شيء».

وبحسب تقارير صندوق الأمم المتحدة للسكان في الأراضي الفلسطينية فقد باتت عمليات الولادة في غزة محفوفة بالمخاطر. فهناك نحو 180 امرأة في غزة تخضعن يومياً لعمليات ولادة، بينهن أعداد يلدن قبل الأوان بسبب الظروف العصيبة التي يكابدنها يومياً. وفي ظل الحصار الصهيوني انهارت بشكل تام الرعاية الصحية التي تتلقاها الأم الفلسطينية وطفلها في مستشفى الحلو – المستشفى الرئيسي للولادة في مدينة غزة.

وذكرت المقررة الأممية الخاصة المعنية بالعنف ضد المرأة ريم السالم أن النساء في غزة يواجهن أيضاً «تهديدات بالاعتداء الجنسي والاغتصاب»، متحدثة عن تقارير «مروعة» تتحدث عن «تجريد نساء فلسطينيات من ملابسهن وتصويرهن في أوضاع مُهينة، وخاصة أثناء الاستجواب».

وأردفت أن «هناك نساء في غزة تم تجريدهن من حجابهن بعد اعتقالهن وتفتيشهن من قبل ضباط الشرطة الذكور، حيث تعرضن للتصوير وتبادل الجنود الإسرائيليون صورهن فيما بينهم وعلى الإنترنت، في انتهاك لقوانين الحرب».

وأشارت السالم إلى أن هناك نحو 200 امرأة وفتاة من أصل 3 آلاف فلسطيني، محتجزين في غزة بين السابع من أكتوبر و31 ديسمبر من العام الماضي، إضافة إلى 147 امرأة و245 طفلاً من بين 3700 فلسطيني، محتجزين في الضفة الغربية.

وقالت «أعربنا في التقرير عن قلقنا العميق إزاء المعاملة اللاإنسانية والمهينة التي تتعرض لها النساء والفتيات الفلسطينيات. (أولئك الأشخاص) يواجهون معاملة سيئة، مثل الضرب والتنمر والحرمان من المساعدة الطبية وعدم التمكن من الحصول على الرعاية الصحية الكافية والغذاء، ومنعهم من مقابلة المحامين».

وفي ظل هذه الحرب الوحشية أخذت المرأة الفلسطينية في القطاع على عاتقها مهمات كثيرة، معظمها أعمال شاقة لا تتناسب مع طبيعتها الجسدية، تلبيةً لاحتياجات عائلتها لترسم معالم أخرى للحياة أكثر قسوةً واصراراً بالبقاء فعملت على اقتناء وقطع الحطب والأخشاب للحصول بالحد الأدنى على رغيف خبز، ليحمل جسدها المتعب مغبة الجلوس أمام فرنٍ من الطين تنبعث منه أدخنة تتسبب بأمراض مستعصية في الجهاز التنفسي.

المرأة في غزة، امرأة هُدرت كرامتها وانتُهكت كل حقوقها في ظروف من القهر والتمييز والعنف الممنهج، وصلت لحد شرعنة قتلها من قبل كبار قادة الكيان الصهيوني، بحجة أنها تلد الآلاف من «الإرهابيين» الذين يقاتلونه، وهي في عرف الحياة تمارس حقاً طبيعياً مثل أي امرأة في هذا العالم، حقاً كفلته القوانين الدولية والقرارات الأممية، هذه القوانين ذاتها العاجزة عن إيقاف آلة القتل الصهيونية وحربها الدموية والانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ليصير الحديث مجرداً من صفات المنطق ويدخل في تأويل المرأة الفلسطينية مثل أكذوبة كبرى تدق سمع العالم على نداء استغاثتها ولا من مجيب.

واليوم بات الكلام عن المرأة الفلسطينية وحقوقها في عالمٍ يرفع شعارات واهية تسقط أمام هولٍ ما تتعرض لها النساء الغزيَّات تجعلنا نرتطم بالحقيقة، حقيقة لا تنسلخ عن القضية والأرض لكنها تدخل ديانة الصمود والنضال مثل آلهة تخضب التراب بالدماء وتقرأ وصايا الحرية والتحرير على فلذات أكبادها، هناك حيث المعاناة لا تنال من جسد المرأة الغزاوية لأنها تعلّمت حكمة الصبر تحت أصوات المدافع والصواريخ والقنابل لتكتب وحدها نهاية تليق بكلّ الشهداء.. نهاية تليق بفلسطين وقضيتها.

ولّى زمن الهزائم وأتى زمن الانتصارات

صلاح صلاح
أحد مؤسسي حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ثلاثة انتصارات استراتيجية في غاية الأهمية تحققت بفضل «طوفان الأقصى» لها أبعاد تاريخية تؤثر على مستقبل الصراع مع المشروع الصهيوني وتطرح وجود الكيان «إسرائيل» على المحك. وهذا ليس خيالاً ولا وهماً وإنما احتمال له نسبة عالية من الواقعية نلحظها في تطور وتصاعد المعارك على جبهات القتال من غزة والضفة إلى لبنان إلى اليمن والعراق وربما سوريا أيضا ستدخل طرفاً فاعلا.

أولى هذه الانتصارات معجزة العبور «خط بارليف غزة»؛ التي أبدعت بالتغلب على الإجراءات الأمنية والعسكرية التي كلفت العدو مليارات الدولارات وجعلته يشعر أنه في مأمن، فكانت المفاجأة التي لم يتوقعها وهزّت كل أركان كيانه.

والانتصار الثاني في المقاومة البطولية؛ التي فاجأت قوات العدو الإسرائيلي ودخلت شهرها السابع ولا زال يترنح تحت ضرباتها وأفقدته القدرة على الانتقام لنفسه على فشله في السابع من أكتوبر باحتلال قطاع غزة.

لأول مرة في تاريخ حروبه يواجه العدو الإسرائيلي حرباً بهذه الشجاعة والجرأة والبطولة تستمر سبعة أشهر ولا زالت صامدة، يفشل فيها من تحقيق أي من الأهداف التي أعلنها. والأكثر أهمية أنها المرة الأولى التي يخوض فيها العدو حرباً على عدة جبهات ويتكبد فيها خسائر غير مسبوقة تجعله يحسب لهذا المستجد ألف حساب.

والانتصار الاستراتيجي الثالث في «طوفان الأقصى» هو هذا الصمود الأسطوري لأبناء قطاع غزة العزة الصامدون الصابرون في القطاع؛ شعب يستحق لقب البطولة بجدارة، يتحدى الموت، يخرج الأطفال من تحت الأنقاض رافعي راية النصر والشهادة واحدة بالنسبة لهم بالجوع أو بالصاروخ تنهار جدران بيوتهم فوق رؤوسهم ولا يغادرونها.

هذه الانتصارات هي هزائم بالنسبة للعدو الإسرائيلي وحلفائه لا تقبل بها الولايات المتحدة الأمريكية، فتبدأ القيام بدور الوسيط مستعينة بمن سبق وقاموا بهذا الدور في مرات سابقة (قطر ومصر) لعلهم يجدون مخرجاً لحليفهم «إسرائيل» من ورطتّه في القطاع، وتمكينه من تحقيق نصر سياسي يغطي على فشله العسكري.

هنا يُطرح السؤال في كل الأوساط المتابعة باهتمام شديد وترقب حذر ما الذي ستصل له اللقاءات الماراثونية التي تنتقل بين قطر والقاهرة منذ أشهر ولم تصل إلى نتيجة رغم الأجواء المتفائلة التي يشير لها البعض وينفيها البعض الآخر. ففي تقديري أن إمكانية الوصول لاتفاق من خلال المفاوضات الجارية أمر صعب للغاية لان كّل من الطرفين الفلسطيني و «الإسرائيلي» متمسك بشروطه، ولأن الراعي الأمريكي بالأساس يدعم المطالب الإسرائيلية والوسيط العربي لا يستطيع الخروج على السقف الذي يحدده الأمريكي ويركز فيه الاهتمام على إطلاق سراح «المخطوفين» ويبرر للعدو الإسرائيلي حقه بالدفاع عن نفسه واستمرار احتلال القطاع للقضاء على المقاومة خاصة حماس، ولا يعطي وزناً جدياً لرفع الحصار والانسحاب من القطاع، وتحرير الأسرى، وإعادة الإعمار في المقابل لا يستطيع المفاوض الفلسطيني أن يتنازل عن أي من هذه المطالب لأنها محقة وتمثل الإجماع الفلسطيني وتحظى بدعم من محور المقاومة. إضافة إلى كل ذلك فإن أبناء القطاع الذين دُمِّرت بيوتهم وفقدوا عائلاتهم ونهشهم الجوع والعطش يرفضون أن تذهب هذه التضحيات العظيمة

بدون ثمن يستحقها ولا يقبلون تقديم أي تنازل للعدو على حساب دمائهم. وهذه تحيي في الذاكرة الجماعية تجربة الاجتياح عام ١٩٨٢ التي أنهت الثورة الفلسطينية المسلحة تحت ذريعة أن الشعب لم يعد يحتمل حجم القصف والدمار وتقديم الشهداء. في حين أنها فرصة لتصعيد وتفعيل حرب العصابات ضد عدو ينتشر على مساحات واسعة في لبنان المقاومون أدرى بشعابها وجبالها ووديانها.

تكرر نفس الخطأ بعد ستة سنوات من انتفاضة أسطورية انتهت باتفاق أوسلو المذل وتحت نفس الذريعة بأن الشعب لم يعد يحتمل. في حين أن الشعب في الحالتين لم يظهر فيه أي صوت متذمر أو مستسلم، بل العكس هو الصحيح لقد كان التأكيد على ضرورة الثبات في الموقف ورفض تقديم أي تنازل تحت ذريعة أن الشعب تعب ولم يعد يحتمل المقاومة أو الاستمرار بالانتفاضة.

لا شك أن المقاوم الفلسطيني سيتذكر ستة حروب سابقة تدخّل فيها نفس الوسطاء في غزة وقدموا ضمانات لم يكن لها أي قيمة على الأرض، بل قدمت خدمة للعدو. نحن الآن في مرحلة لا تحتمل تكرار نفس الخطأ للمرة الثالثة بعد النكبة عدا ما كان قبلها وما أتى بعدها؛ هذا يعني أن نسبة احتمال تطور الحرب على جبهات القتال تزداد مع كل فشل للتفاوض في القاهرة أو قطر وبحضور الأميركي أو بغيابه.

الحرب الشاملة احتمال يجب أن يؤخذ بكل الجدية وما يمكن أن يترتب عليه من تبعات ومسؤوليات ونتائج على مختلف الصعد الفلسطينية والعربية والدولية.

أتناول هنا ما أتوقعه على الصعيد الفلسطيني.

1.أبدأ بالرفض والإدانة بحده للأصوات التي تظهر من بعض المثقفين الذين نشاركهم رقة قلوبهم والشعور بالألم والمرارة لما يتعرض له شعبنا في غزة من جرائم بشعة ومجازر تدخل تحت عنوان التطهير العرقي والإبادة الجماعية لكن ما يجب أن يغلب على تفكيرنا هو معرفة عدونا هذه هي طبيعته منذ أن بدأ صراعنا معه ما قبل النكبة وما بعدها. من الخطأ الفادح أن يعتبر هؤلاء المثقفون أن العدو «انتصر في هدفه الأساسي مواصلاً شلال الدم والإبادة» وعلى هذا «فلنصده على الأقل هنا» هل يريد هؤلاء من المفاوض الفلسطيني أن يقبل بالشروط التي تعطي العدو نصراً بحجة حماية أرواح المواطنين «من القتل»؟ وينسى هؤلاء أن حروب التحرر ليست نزهة؛ وأن للحرية والاستقلال ثمن وأن لإجبار العدو على الاعتراف بهزيمته والإقرار بالنصر عليه إن ما ّندفعه الذي لا يستطيع تحمّله. وليتذكر هؤلاء المثقفون كم هو الثمن الباهظ الذي دفعته الشعوب وحركات التحرر المنتصرة وفي الجزائر وفيتنام، وكوبا، واليمن الجنوبية، وغيرهم.

2.الحرب المتوقعة قد تكون «الحرب الكبرى» لتحرير فلسطين أو الحرب التمهيدية لذلك بتحرير مزارع شبعا وتلال كفر شوبا والقرى السبع، وربما تمتد لاسترجاع الجولان مما يضطر العدو الإسرائيلي إلى سحب قواته من قطاع غزة وتكريس انتصار المقاومة.

طبعاً لن يكون الأمر سهلاً، ستحصل تداعيات واسعة على الصعيدين العربي والدولي لكنها لن تصل للحد الذي يمنع انتصار محور المقاومة.

3.لأول مرة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية لن تكون هي وحدها صاحبة القرار في مواجهة العدو الإسرائيلي وإعلان الحرب عليه وإنما هي شريك في محور يضم عدة أطراف عربية وله بعد إقليمي. **وهنا تبرز إشكاليات:**

الأولى: أن القوى التي تقود محور المقاومة بما فيها الفلسطينية يغلب عليها الطابع الإسلامي، وهذا يستجوب فتح حوار مسؤول بين قوى المرحلة الجديدة (الإسلامية) وقوى المراحل السابقة (القومية واليسارية) للوصول إلى صيغة عمل مشترك تتغلب على أية تباينات وتعارضات ثانوية ليبق الصراع مع العدو الأساسي.

الثانية: القوى الفلسطينية المشاركة في محور المقاومة، والتي تدفع الثمن في المعارك وتقدم التضحيات مع شعبها ليست هي المرجعية الرسمية المتمثلة في منظمة التحرير التي كانت تقود المرحلة السابقة.

وهذا سيطرح إشكاليات على الصعيد الفلسطيني أهمها:

- هل ستبقى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في موقعها الذي حددته اتفاقيات أوسلو أم أنها ستأخذ من انتصارات المقاومة فرصة للخروج من أوسلو والانتقال إلى موقع جماهيرها التي وُجدت من أجله لتقود الثورة حتى التحرير والعودة ؟ بقاء قيادة المنظمة الحالية تراوح في مكانها سيجعلها خارج الفعل الفلسطيني، أو قد يستخدمها البعض لخلق تناقضات وصراعات داخلية ليست في مصلحة شعبنا ولا قضيتنا.

-فرضية الحرب الكبرى أو الممهدة لها تجعل موضوع الوحدة الوطنية أمراً ملحاً وهذا يستدعي الخروج من النمط التقليدي لمحاولات عديدة لم تنجح لتحقيق الوحدة الوطنية، كما يستدعي الأخذ بعين الاعتبار المستجدات التي ستفرضها تطورات الأحداث واحتمال الحرب ونتائجها. **هذه المحددات الجديدة لتحقيق الوحدة الوطنية في تقديري هي:**

-الالتزام بالمقاومة والانخراط بها إلى أقصى الحدود وبكل الإمكانيات المتوفرة.

-التأكيد على الهدف الاستراتيجي بتحرير كامل التراب الفلسطيني من البحر إلى النهر.

-التخلي المعلن عمليا وممارسة عن اتفاقات أوسلو وتوابعها والتزاماتها

-القبول بالقيادات الجديدة التي ستفرزها الأحداث وتثبت جدارة ميدانية وكفاءة عالية في جميع الميادين العسكرية والسياسية والإعلامية والقيادية

- الانخراط ضمن محور المقاومة باعتباره جبهة مقاومة تخوض حرب تحرير وطني ضد العدو المشترك بجدارة واقتدار وجدية.

ربما يرى البعض أن ما قدمته أعلاه يحمل قدراً كبيراً من التفاؤل، صحيح هذا مبعثه الصمود الأسطوري لشعبنا في غزة والضفة والقدس والمقاومة البطولية على جبهات القتال التي يتداخل فيها الفلسطيني مع محيطه العربي وعمقه الإسلامي. ما يجعلنا نثق بما سبق وطرحه سيّد المقاومة «حسن نصر الله» بأنّه ولىّ زمن الهزائم وأتى زمن الانتصارات.

التنكيل بالأسيرات الفلسطينيات
نهج قديم يتجدد!

إلهام الحكيم ـ كاتبة فلسطينية ـ تركيا

تزامن يوم الأسير الفلسطيني هذا العام مع مرور سبعة أشهر على العدوان الصهيوني الجائر ضد قطاع غزة، فلم يسلم أحد من يد البطش لشعب عانى آلام الحصار المطبق عليه منذ سبعة عشر سنة، تعرض خلالها لويلات الاعتداءات المتكررة «2008 -2012- 2014 -2019 -2021»، تلك الحروب التي جعلت القطاع في ضائقة اقتصادية خانقة زادت أضعافاً مضاعفة مع العدوان الأخير 2023 الذي لم يستطع القضاء على المقاومة أو يستعيد الرهائن المحتجزين لديها فلجأ للضغط عليهم من خلال ممارسة كل وسائل الوحشية والإجرام بحق المدنيين، إبادة جماعية طالت حتى الأجنة في الأرحام، وخلال كتابة تلك السطور مارس ساديّته الإجرامية باستهداف مركز بسمة الطبي وقضى على 5000 نطفة بالأنابيب «جاهزة للإلقاح» وهذا استمرار بقتل الأجنة والقضاء عليهم قبل الولادة!..

شرّد الاحتلال العائلات ولاحقها للقضاء عليها! أطبق الحصار على غزة وضرب البنية التحتية أساس المعيشة والحياة للمواطنين حتى وصل بهم الحال حد المجاعة ثم «الموت جوعاً»، هذا الواقع المأساوي الذي لحق بالقطاع كان تأثيره على كافة فئات المجتمع ولحق الخراب بالجميع خاصة النساء والأطفال الذين كانوا أكثر المتضررين من تلك الحرب الضروس ومثّلوا ثلاثة أرباع الجرحى والشهداء!

• اعتقال النساء والأطفال:

لم يقف الأمر عند حد القتل والتدمير والإبادة بل لجأ العدو الصهيوني لاعتقال آلاف المدنيين بحجة انتمائهم للفصائل وتشكيل حاضنة شعبية للمقاومة ، مارس بحقهم شتى أنواع التعذيب والتنكيل وحتى التهديد بالاغتصاب كونهم يعرفون حساسية هذا الموضوع عند شعبنا وأنه يمكن انتزاع الاعتراف منهم بهذه الطريقة، وطبعاً لم يستثنوا النساء والأطفال من تلك الممارسات اللاإنسانية وكلنا شاهدنا إحدى الشاحنات العسكرية الصهيونية وهي تغصّ بعشرات المعتقلين الرجال العراة المتراصين وبينهم امرأة منزوعة الحجاب، ومثل هذا المشهد تكرر كثيراً بعضها تم تصويره وغيره بقي مطموساً!.

نسلط الضوء على بعض الشهادات لنساء فلسطينيات تعرضن للابتزاز خلال فترة التحقيق وحتى خلال نقلهن من بيوتهن وأماكن إقامتهن إلى السجون الإسرائيلية وطبعاً هذا السلوك ينطبق على المعتقلات من غزة والضفة الغربية والقدس والأراضي المحتلة عام 1948، حالياً يوجد 80 أسيرة فلسطينية في مختلف السجون الإسرائيلية معظمهن في الدامون / 63 منهن من الضفة والقدس، 9 من الداخل الفلسطيني، 6 من قطاع غزة / كما تخضع 22 أسيرة للاعتقال الإداري بلا تهمة ولا محاكمة:

- السيدة «خ ج» تم اقتحام منزلها وانتزاعها من السرير ليلاً، بعد تفتيشها وتقييدها نقلت إلى سجن عوفر حيث تعرضت للضرب واستمر التحقيق معها عشر ساعات متواصلة وهي مكبلة بالقيود البلاستيكية..

- محررة أخرى من الداخل الفلسطيني المحتل تقول للجزيرة نت: «اعتقلت ونقلت لمكتب الشرطة الإسرائيلية القريب من بيتي، تعرضت للتهديد بالقتل والاغتصاب، شتموني بأقذر الشتائم، كما شتموا أمي، رفضت المحققة توثيق تهديدي بالاغتصاب، تعرضت مع أسيرة أخرى للتفتيش العاري ورموا ملابسنا أمام الحمام فوجدنا صعوبة بالوصول لها بوجود السجانين، نمنا مع سبع معتقلات بشكل متلاصق لضيق المكان كما منعوا عنا الطعام!

- الأسيرة المحررة «س ع»: اعتقلوني من منزلي وحققوا معي في مستوطنة كرمي تسور قبل نقلي إلى سجن هشارون ثم الدامون، تعرضت للتفتيش العاري والنوم على فراش مبلل بالمياه العادمة التي تملأ الزنزانة برائحتها النتنة، أفرج عني بعد أربعة أشهر..

- امرأة حامل من غزة قالت أنها تعرضت للتعنيف طوال الطريق إلى السجن، تم خلع حجابها مع استمرار الضرب المبرح على بطنها، وغيرها تم تعريتها وإجبارها على الجلوس بوضعية القرفصاء مع الضرب والتهديد بالاغتصاب! معظم اللاتي تم احتجازهن خُلع حجابهن وتعرضن للضرب والإهانة بوجود أطفالهن والعديد من الناس حولهن..

باعتقال الاحتلال للنساء وممارسة أعنف صنوف التعذيب الجسدي والنفسي ضدهن يضرب عرض الحائط بكل القوانين الدولية ويؤكد على سياسة «الأبارتهايد» ويتجاوز اتفاقية جنيف الرابعة التي تحدد شكل التعامل مع المرأة المعتقلة فالمادة «97» من الاتفاقية تقول: «لا يجوز أن تفتش المرأة المعتقلة إلا بواسطة امرأة «، ومع هذا تُجبر السيدة الفلسطينية على خلع ملابسها والتعري لتفتيشها من قبل السجان بعد تكبيل يديها وتهديدها، إضافة للمئات ممن تعرضن للتعرية والتعذيب ثم الدفن وهن أحياء - خلال العدوان الأخير على غزة -، يتجاهل الاحتلال الصهيوني كافة القوانين والتشريعات الدولية ويقوم بما لم تقم به أي دولة في العالم فهو فوق القانون والمحاسبة وتقف خلفه أمريكا والغرب دعماً وإسناداً مادياً ومعنوياً وتسليحاً، لذلك فهو يمارس كل ما هو ممنوع دون وازع أو رادع فقد اعتقل وعرّى وعذّب ونفى وأجبر المدنيين على النزوح والهجرة في كل الاتجاهات والأماكن بحيث لم يعد هناك مكاناً آمناً في غزة رغم أن المادة «42» من اتفاقية جنيف الرابعة تمنع القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفياً..

الممارسات الصهيونية الحالية ليست حديثة العهد فقد تعرضت عشرات الآلاف

من الأسيرات الفلسطينيات لظروف مشابهة على مدى عدة عقود والعديد منهن أنجبن داخل المعتقل:

- الفلسطينيات «عبلة طه، ميرفت طه، أميمة طه، سميحة حمدان، ماجدة سلايمة، أميمة الآغا، منال غانم، سمر صبيح، فاطمة الزق» وغيرهن تم اعتقالهن من مختلف المناطق الفلسطينية في الفترة بين 1978 و2009 وهن حوامل قام المحققون ثم المومسات بركلهن على البطن لإجهاضهن.. ولدن داخل المعتقل وسط ظروف قاسية وهن مقيدات الأيدي والأرجل بالسلاسل، تم الإفراج عن الأطفال وإبعادهم عن أمهاتهن بعد سنتين من الولادة!

• جنحة اعتقال الأطفال:

طبعاً يعتبر اعتقال الأطفال دون تهمة في ظروف قاسية وإجراءات تعسفية، ثم فصلهم عن أمهاتهم في سن العامين حسب قوانين السجن، - في كلا الحالتين – يعتبر انتهاكاً لحقوق الطفل التي انتهكت أيضاً باعتقال العديد من القاصرات وتعذيبهن على مدى عشرات السنين منهن مثلاً:

- الطفلة سناء عمرو من دورا الخليل اعتقلت وعمرها 13 سنة مع أختها عبير وخضعتا للتعذيب القاسي.. أما الطفلة سوسن أبو تركي فقد اعتقلت وعمرها 14 سنة، تم تعذيبها بشكل همجي فأصيبت برضوض في رأسها ورقبتها مما أدى لاضطراب في الرؤية والمعاناة من مرض عصبي، عزلت بشكل تعسفي بما لا يتوافق مع عمرها وهذا خرق للمادة «5» من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فما بالكم بالطفل «لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطّة بالكرامة».

• التعذيب في السجون الصهيونية:

اتبع العدو الصهيوني أسلوباً ممنهجاً لانتزاع الاعترافات خاصة من الأمهات اللواتي يُحرمن من احتضان أولادهن أو رؤيتهم بشكل مباشر فالزيارة تتم من وراء الشبك المزدوج أو الزجاج العازل، كما يتعرضن لأسوأ أنواع التعذيب والضغط حتى داخل «بوسطة النقل» الحديدية بهدف تركيعهن وإضعافهن، لكن هذا كان يزيدهن عزيمة وإصراراً:

1 - التهديد بالاعتداء الجنسي من قبل الجنود أو المومسات: تقول الأسيرة رائدة شحادة: التهديد بالاغتصاب هو السيف الذي سلطوه على عنقي..»اعترفي وإلا فإن هذا الجندي سيقوم باغتصابك أمامنا «! كنت أستعد لهذه اللحظة.. سَرَت في بدني تيارات هزت كياني هزّاً.. ولم تمض لحظات حتى استجمعت قواي وشجاعتي وقلت: افعلوا بي ما تريدون فلا شيء عندي أقوله لكم!

2 - الضغط النفسي: يتم بأنماط عديدة كما حصل مع الأسيرة «فاطمة الكرد» حيث تم وضعها مع مسدس على طاولة وسط غرفة مليئة بالمرايا العاكسة، ثم وضعت لاحقاً في زنزانة معتمة مع المومسات اليهوديات اللاتي كن يهاجمنها بهدف الاغتصاب، لكنها آثرت أن تكون قوية فسيطرت على نفسها وتغلبت على الرهبة رافضة الركوع والاستسلام، وهذا حصل أيضاً مع «رحاب عيساوي، مريم الشخشير، صفاء دعيبس» إضافة لمنع الأسيرات من المشاركة بالجوانب الإنسانية للعائلة كما حصل مع الأسيرة «خالدة جرار» عند منعها من حضور تشييع ابنتها الشابة «.. أما طالبة علم الاجتماع بجامعة النجاح الوطنية «دعاء الجيوسي» فقد اعتقلت 2001 بملابس النوم، بقيت شهرين في سجن الجلمة بزنازين معتمة وقذرة واستحمام بوجود مجنّدة، تعرضت للضرب والشتائم والتحقيق مدة 12 ساعة يومياً مما أصابها بفقر دم حاد وهبوط ضغط ولا علاج، مع حرمان من الطعام والمرحاض، حكم عليها 3 مؤبدات..

3 – الشبح ومنع النوم بتغطية كامل الرأس بكيس رائحته نتنة تمنع التنفس، مع تقييد اليدين للخلف وترك الأسيرة بوضعية الوقوف أو القرفصاء لساعات طويلة دون نوم أو طعام مما يتسبب بأمراض مزمنة «قرحة، روماتيزم، ضغط، ديسك» على غرار ما تم مع «سهام البرغوثي، ربيحة ذياب» إضافة للحرق بأعقاب السجائر والهز العنيف واستخدام الماء الساخن والبارد بالتناوب!..

4 – أصوات التعذيب والموسيقى الصاخبة: بهدف زرع الرعب والكوابيس في نفوس الأسيرات لإخضاعهن من خلال إسماعهن أصوات الصراخ والاستغاثة والتعذيب ثم وضعهن في زنزانة فيها ثياب مقرفة وممزقة وعصي مدماه!..

5 – الضرب والاعتداء: تقول «خديجة أبو عرقوب «: ضربوني، عذبوني، نتفوا شعري، دفعوا بجندي كالبغل ليختلي بي وبدأ كالوحش يفك ثيابه أمام ناظري، تكرر ذلك مع «عطاف عليّان» التي اعتقلت للمرة الأولى مدة سبع سنوات، أعيد اعتقالها وتكرر تعذيبها بالهراوات والغاز المسيل للدموع والمياه الملوثة ورش الغاز في فمها حتى الإغماء «كما لم تنج» آمنة منى «من كل أشكال التعذيب ثم عزلها مع أخريات إثر ضربهن للسجانات مع التكبير، كذلك «مريم الشخشير، سعاد غزال، رابعة حمايل، رائدة جاد الله، فيروز عبيّات، عائشة مراحيل» مررن بنفس الظروف القاسية..

خلاصة القول: بنظرة فاحصة على أوضاع الحركة الأسيرة النسائية الفلسطينية نلمس تسلسلاً ممنهجاً لآلية التعامل في المعتقل، فقد كانت تتسم مع الكوكبة الأولى من الأسيرات «فاطمة برناوي، تيريزا هلسا، عبلة طه، وغيرهن» بالعفوية والفردية غير المنظمة لكن تواصل المسيرة النضالية وزيادة الوعي التنظيمي للأسيرات حوّل السجون لمدارس نضالية ونظّم العلاقة بين الأسيرات من جهة وإدارة السجون من جهة أخرى وانتزاع حقوقهن الإنسانية عبر الإضرابات المتكررة بالتنسيق مع الأسرى حتى تم فرض شروط الأحرار داخل السجون وانبثقت الحركة الأسيرة خارج الأسر «جمعية أنصار السجين، نادي الأسير الفلسطيني، مؤسسة الضمير لرعاية السجين «.. لكن مع مجيء حكومة أقصى اليمين الديني المتطرفة وتسلّم «بن غفير» مسؤولية ملف الأسرى تم اقتناص كل إنجازات الحركة الأسيرة وعادت سيرة التعذيب والتنكيل وصولاً للقتل مع انتزاع كافة الحقوق التي تكفلها لهم الشرائع والقوانين الدولية..

- المصادر:

- مجلة المجاهد «مقاومة الاحتلال خلف القضبان»، الهام الحكيم، 2003.
- وكالة وفا، الجزيرة نت، القدس العربي.

الحراك الشبابي والطلابي
بين ارتقاء الوعي وطوفان التغيير

محمد منصور
كاتب صحفي فلسطيني/سورية

سبع بقراتٍ عجاف، كانت تلك رؤية ملك فرعوني وانتهت بتحقيق ما قام بتأويله نبي الله يوسف وخلاص مصر من القحط والجفاف، لكن خمس بقراتٍ حمراء تسعى جماعات المعابد اليهودية المتطرفة إلى ذبحها انطلاقاً من معتقد يهودي مزعوم بدخول المسجد الأقصى، الذي حُرم عليهم بسبب الدنس، ومن ثم هدمه لبناء «الهيكل الثالث» على أنقاضه، على اعتقادهم أن ذلك مقدمة لظهور «المسيح المخلص»، وتَحقق الخلاص لليهود، كادت جماعات المعابد اليهودية المتطرفة أن تبدأ بتنفيذ المخطط إلا أن وعي المقاومة الفلسطينية حال دون ذلك، لتعلن عن بدء عملية طوفان الأقصى التي شنتها فصائل المقاومة في قطاع غزة على الاحتلال فجر يوم السبت 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، شملت هجوماً برياً وبحرياً وجوياً على عدة مستوطنات في غلاف غزة، وفق ما نشرته حركة المقاومة الإسلامية حماس في وثيقة «هذه روايتنا – طوفان الأقصى من أجل مواجهة ما يُحاك من مخططات صهيونية تستهدف تصفية القضية الفلسطينية، والسيطرة على الأرض وتهويد مقدساتها وانتهاكها، وإنهاء الحصار الجائر على قطاع غزة.

في واقع الأمر إن معركة الشعب الفلسطيني ليست وليدة 7 أكتوبر – 2023 وإنما هي بدأت منذ عشرة عقود ضد الاستعمار البريطاني والاحتلال الصهيوني بأشكال عدة بداية من الحجر وصولاً إلى إطلاق الصواريخ، وبالنظر إلى كل شكل وزمان نرى الحراك الشبابي والطلابي دائماً في مقدمة المشهد وممراً لصدى عمليات المقاومة وكافة الأحداث التي يشهدها الصراع.

ومن الضروري هنا التمييز بين الحركة والحراك على اعتبار الأولى تأخذ شكلاً منظماً في صور مجموعات أو هيئات ذات أهداف محددة ومتنوعة كالتعليم والثقافة والتنمية، وليس بالضرورة أن تنشأ بسبب حدث ما سواء كان سياسياً أو عسكرياً أو اجتماعياً وغير ذلك، وإنما هي تعبئة للطاقات والخبرات واستثمارها بشكل أمثل، أما الحراك فهو وليد الحدث يأتي في صور الاحتجاجات والحملات والتظاهرات لتغيير وضع ما أو لدعم ومناهضة قضية أو حدث.

انطلاقاً مما سلف وبالتقريب لغوياً وعملياً فإن الحراك هو لصيق الطوفان، فهو القوة الحيوية والدافعة لتعزيز الوعي العام ومناهضة أبرز قضايا الصراع، ويحمل في مضامينه وأنشطته مجموعات مختلفة ينظمها الاندفاع للمناصرة أي لا ينتهي عند حل الصراع الآني، بل هو قوة كامنة تعيد تشكيل نفسها عند اندلاع صراع جديد على عكس الحركات التي يحاصرها تاريخ التأسيس.

الحراك الشبابي والطلابي الدور المتعدد الوجه، في ظل ما تشهده الساحة الفلسطينية من أحداث متتالية في غزة والأراضي المحتلة عقب طوفان الأقصى، تجتمع كفاءات الشباب وخبراتهم في نواة واحدة وضمن هدف واحد، رغم التنوع والتخصص في شتى مجالات الحياة العملية والمهنية من صحافة وإعلام وهندسة وطب وغيرها الكثير، يتبنى الشارع الفلسطيني انتفاضات جديدة ذخيرتها نشر الوعي وهي الأشد على الاحتلال من الرشقات الصاروخية، مثل حملات المقاطعة، التي أطلقتها مجموعات شبابية على مواقع التواصل الاجتماعي بأبسط الوسائل والمرئيات التي تنقل حقيقة عائدات الأرباح التي تجنيها الشركات الداعمة للاحتلال الإسرائيلي، والتي خلقت أزمات وخسائر اقتصادية للشركات الكبرى الصناعية والغذائية تقدر بأكثر من 25 مليار دولار أمريكي خلال عدة أشهر، أبرزها ماكدونالدز وكارفور و«HP».

إن هذا ليس أمراً سهلاً فنحن نتحدث عن تغيير عادات وسلوكيات شراء، على الرغم من اعتقاد فئات قليلة بأن المقاطعة حرب بطيئة إلا أنها ذات تأثير كبير ومستمر ولا يمكن إطفاؤها فمن يجبر المشتري على

شراء منتج معين؟، قد يجيب البعض بأن علوم التسويق والقدرة على إنتاج الشركات لنفس المنتجات بأسماء مختلفة يمكنها الالتفاف على المشتري، لكن المُقاطع أصبح واعياً ومدركاً أنه يدفع ماله لمن يذخر الاحتلال، أي أن حملات المقاطعة استطاعت أن تغير سلوك الشراء تغييراً جذرياً وقبل ذلك استطاعت أن تعيد بناء الوعي، السم الذي لا ترياق له بالنسبة للعدو.

مما لا شك فيه أن حملات المقاطعة التي اثبت حراكها بأن عدم دخول مطاعم مأكولات ومتاجر معينة أو شراء أحد المنتجات هو معركة أيضاً، باتت معظم وسائل إعلام الدول الكبرى وحتى أنظمتها ترصد نتائجها وانعكاسها ليس فقط على الأرباح والخسائر وإنما أيضاً على انتقال الوعي إلى شعوبها، أحد أساليب الحراك، غزوات الحقيقة.

في هذا الصدد، لطالما سعت «إسرائيل» إلى تهجير الفلسطينيين حتى من منفاهم، لكن لم تدرك إلا مؤخراً بأن تهجيرهم هي هجرة الفكرة والحقيقة إلى العالم، وفي شرعية السياسة فإن الجميع يختلفون على الظاهر لكنهم يتفقون على الحقيقة.

في مقابل ذلك هذا ما استثمره الحراك الشبابي والطلابي في أوروبا ضمن جامعاتها وأسواق عملها وشوارعها التي شهدت أكثر من 6211 مظاهرة مؤيدة لفلسطين منذ بداية الطوفان حسب رصد المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام «إيبال»، شملت أكثر من 17 دولة أوروبية، عقبها موجات من تغيير سياسة الحكومات وحتى لهجتها الخطابية لمصلحة فلسطين، أبرزها إدانة رئيس الوزراء الأيرلندي انتهاكات «إسرائيل» ضد الفلسطينيين، وانتقاد النرويج حصار غزة وانتهاكات «إسرائيل» في المقام الأول، وتأكيدها على أن أفعال «إسرائيل» تجاوزت بوضوح حدود القانون الدولي، ورافقتها دعوة حزب بوديموس اليساري الإسباني المشارك في التحالف الحاكم، إلى قطع العلاقات الأوروبية بالكامل مع «تل أبيب»، وكذلك تأكيد الحزب الشيوعي الإسباني، على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة، ورفض وصف حركة المقاومة الإسلامية حماس بالحركة الإرهابية، إنها الحقيقة التي قسمت أوروبا وشتت رأيها ومواقفها.

تأسيساً على ما سبق نجد الحراك الشبابي والطلابي أصبح يتبنى ارتقاء الوعي، السياسة المضادة لكي الوعي، التي يسعى الاحتلال لفرضها من خلال خلق أفكار وقناعات للرضا بالأمر الواقع، لكن الحراك أصبح مدركاً أن «إسرائيل»، ليست فقط ضمن حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة، لذلك اتجه إلى فتح جبهات من الفكر والوعي، أي أنها حرب أرض وعقل، وبالتالي فهو أمام تحديات كبيرة وعليه تجديد أشكاله وفقاً لكل زمان ومكان ووفقاً لكل حدث، وأن لا يقتصر فقط على إطلاق حملات المقاطعة ودعوات إلى سحب الاستثمارات ووقف تصدير الأسلحة أو التظاهر والاحتجاج مثلاً، بل يمتد ليرى الاحتلال نفسه أمام ألوية فكرية ووعي منتشر حتى في ذرات الهواء، من خلال توظيف الخبرة والكفاءة.

فيمكن لطلبة القانون حينها مراقبة وتضليل كل قرارات الشرعية الدولية التي تنافي المنطق والحق ونقلها للشعوب، وكذلك الناشطون من طلبة الإعلام والصحافة، فمن خلالهم يمكن نقل الواقع كما هو من غزة والأراضي الفلسطينية، وتوجيه النظر نحو حرب الإبادة الجماعية واستهداف المشافي وسلسلة الاعتقالات، وليس من الصحيح الاعتماد بشكل كامل على ما تنقله الوسائل الإعلامية والقنوات التلفزيونية، لأنه لا يمكن نقل كل الأحداث من غزة مهما كثر تواجد الوسائل الإعلامية، أما النشطاء فهم متواجدون في كل حي تقريباً وهم أمام مسؤولية كبيرة ولا يمكن الاستهانة بأي مقطع مصور، فعندما قامت المقاومة بتسليم عدد من الأسرى إلى الصليب الأحمر في الأسابيع الأولى للحرب، وصلت رسالة لشعوب الغرب بأن المقاومة ليست جسماً إرهابياً ودليلاً على ذلك ابتسامات الأسرى وحالتهم النفسية وتصريحاتهم للصحافة والإعلام، إذن كل مادة مصورة أو مكتوبة قد تعني الكثير وتسهم في تصحيح المعتقدات المنقولة لغالبية شعوب الغرب بأن الشعب الفلسطيني هو من يقتل ويعتقل ويدمر.

خلاصة القول، إن طوفان الأقصى خلق لنا حالة جديدة من أشكال المقاومة، ترجمها الحراك الشبابي والطلابي، الذي أثبت لنا، أن الجميع قادر على المقاومة وليس من الصحيح أن يكون الميدان كله مسلحاً بالرصاص والصواريخ، فالميدان يحتاج أيضاً إعلامياً وطبيباً ومحامياً، أي أنه يحتاج إلى فئة شبابية تحارب على جبهات أخرى وتنقل الحقائق والوقائع للشعوب ومناصرة مجريات الجبهات العسكرية، وما يقوم به الاحتلال من جرائم ضد الشعب الفلسطيني، لنجد الطوفان بأنه جهود مجتمعة وثمرة اتحاد الخبرات والكفاءات مهما كان تخصصها عسكرية كانت أو علمية ومهنية، ضد كل من يحاول انتهاك المقدسات وطمس الهوية وتصفية القضية.

يوم الأرض الفلسطيني

سؤال الحرب على غزة وفقاعة العالم المتحضر

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

في ظل حرب إسرائيلية شرسة على قطاع غزة دخلت شهرها السابع، تأتي ذكرى «يوم الأرض» الفلسطيني 30 مارس/آذار من كل عام، والتي يحتفي بها الغزيون هذا العام بدمائهم وإصرارهم على التمسك بأراضيهم وممتلكاتهم ورفض مخططات التهجير ورفض سيناريوهات ما يسمى بدول العالم المتحضر الذي أثبت فعليا أنه فقاعة ليس لها علاقة بالتحضر ولا بالإنسانية، بل هو عالم مغمس بالجريمة والإرهاب والتوق للقتل والتدمير وقتل الروح الإنسانية. وإلا بما تصف ما يجري على أرض غزة الفلسطينية من قتل وتدمير بالمئات يوميا وعلى مدار أكثر من نصف عام.

وهذا العالم الذي يدعي الحضارة والإنسانية ويزعم بأنه راعي للحرية ينظر لما يجري بصمت مريب؛ وآخرون من دول هذا العالم تقدم العون والمساعدة والدعم لهذا المجرم الصهيوني الذي ما يزال ومنذ نحو قرن يتمادى في اغتصاب الأرض الفلسطينية وطرد وقتل وايذاء مواطنيها الأصليين والشرعيين؛ وما زال يتمادى ويتوغل بدماء الفلسطينيين على مرأى من العالم أجمع دون أن يتحرك أحد لمساندة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية.

وتحل علينا ذكرى يوم الأرض بطعم مختلف وغزة تتعرض لإبادة، لكنها صامدة وتقول للعالم، الذي لا يحرك ساكنا إزاء جرائم الاحتلال، إننا متجذرون في الأرض، باقون ولن نرحل، ولن نفرط في ذرة من تراب أرضنا.

سنظل متمسكون بأرضنا ووطننا، ولن نهاجر مهما اشتدت قسوة الحرب والإبادة التي تمارس علينا.

وفيما تتوالى فصول الصراع الصهيوني مع الفلسطينيين في الضفة والقطاع وفي الأرض الفلسطينية المغتصبة منذ العام 1948، بات من الضروري السؤال عن المسارات المحتملة التي ستقود هذا الصراع؛ وهذه الحرب الدموية التدميرية الهمجية على الشعب الفلسطيني المواطنين في غزة والضفة؛ وبالتحديد في غزة التي ومنذ أكثر من نصف سنة تجاوز عدد الشهداء ال 40 ألف شهيد؛ وأكثر من مئة

ألف جريح ومصاب؛ ناهيك عن ألوف من المفقودين وألوف من المغيبين.

يحدث هذا في ظل انكفأت فيه دول العالم الذي يدعي الحضارة والإنسانية على الفور، كلٌّ في فقّاعته، وتبدّد أي شعور بالإنسانية المشتركة. رغم أنه ليس واضحًا إلى أين يمكن أن تقود اندفاعات هذا العدو وهذا المحتل الغاصب؟، وما الذي سيستطيع فعله في الواقع أمام صمود الشعب الفلسطيني وتشبثه بأرضه وتراب بلاده ورفضه الانصياع لسيناريوهات إنهاء الحرب القائمة.

بالتأكيد هذه الحرب ستنتهي؛ ولكن مقاومة الشعب الفلسطيني لن تنتهي، وحقوق الشعب الفلسطيني ستظل المطلب الرئيسي لهذا الشعب؛ وتقرير حق المصير سيظل هدف كل فلسطيني حر.

بعض الواهمين - إذا كانوا من المتنفذين الفلسطينيين أو الصهاينة العالميين والإسرائيليين - صبّوا اهتمامهم على مسألة النتائج، اقترحوا ترتيبات استندت إلى آمال غير واقعية وأحيانًا إلى سوء فهم عميق. (كالدعوات مثلًا إلى تولّي السلطة الفلسطينية من جديد السيطرةَ على غزة)،

لذلك، السؤال الذي على الجميع الانتباه له؛ هو «أخبرني: كيف ستنتهي الحرب في غزة»، بل «أخبرني كيف ستتطوّر الأمور»، فالإجابات لا تزال ضبابية بعض الشيء. ثمة الكثير من النقاط الملتبسة المعروفة: ماذا سيحقّق هذا الكيان الصهيوني المجرم في الواقع؟ وكم من الأشخاص سيُقتلون بعد؟ وما مدى خطورة المؤشرات المتزايدة على توتّرٍ أميركي إسرائيلي؟

واقع الحال الآن؛ يقول بأن المؤسسة العسكرية الاحتلالية الصهيونية تُنشئ جيوبًا أصغر وأكثر كثافة داخل غزة عن سابق تصور وتصميم متعمد. وتتعمد إلى إجبار المدنيين في شمال غزة على الانتقال إلى الجنوب. وتدمّر عددًا كبيرًا من المنازل هناك أيضًا. وتلمّح بعض التعليقات الصادرة عن مسؤولين إسرائيليين إلى أن أمرًا منهجيًا يتحضّر – ولكن حتى لو وُضعت الخطط والنوايا جانبًا، من الواضح أن شيئًا ما يحدث. يُرغَم مواطني القطاع ذي الكثافة السكانية العالية إلى التوجّه جنوبًا، ويتكدّسون في جيوب أصغر.

والسؤال الأكثر إلحاحا -هنا- هل سترتكب القوات البرية الإسرائيلية الفظائع؟

كان خطاب القادة الصهاينة في الأيام التي أعقبت 7 تشرين الأول/أكتوبر مخيفًا. لقد كانت التصريحات شديدة التطرّف، وصرّح أحدهم أن أحد خيارات إسرائيل هو إبادة غزة بإلقاء قنبلة نووية عليها. حتى أن هناك تصريحات دموية صدرت عن مسؤولين أميركيين؛ والذي هدّد بجعل غزة أشبه ببرلين وطوكيو بعد الحرب العالمية الثانية؛ وقتل جميع عناصر حماس؛ وإرسال الجنود «من دون قواعد اشتباك».

والخطر الفعلي الذي يمثّله هذا الخطاب الصادر عن المسؤولين ليس في أن الكلام قد يُترجَم إلى أوامر عمليات، بل في أنه يوجّه رسالة إلى الجنود المشاركين في القتال البرّي العنيف بأن جميع الفلسطينيين هم أهداف مشروعة، وبأن ما من عواقب ستترتّب على أولئك الذين يمارسون الانتقام. وهذا ما نراه يحدث الآن خلال التوغل الصهيوني المدعوم اميركيا وغربيا. ومدعوم ايضا بالصمت العالمي من كل دول العالم بما فيها الانظمة العربية.

وهناك -وهم كثر- إسرائيليين واميركيين وغربيين وعرب؛ يريدون تفكيك حركة حماس؛ وهؤلاء لا يعرفون «حماس»؛ وما تشكله حماس للشعب الفلسطيني، فحركة حماس كبيرة ومعقّدة ذات فروع كثيرة عسكرية ودبلوماسية وسياسية وإدارية، وأخرى متعلّقة بالتجنيد والتدريب والاتصالات. ويخوض مقاتليها اليوم ما يوصَف بأنه حرب وجودية مع الكيان الاسرائيلي. وهذا الصراع مصيريًا، ووجوديا. قد يفقد الناشطون دبلوماسيًا مكانتهم؛ وقد يستشهد عددٌ كبير من مقاتلي حماس؛ وقد يستبعد بعض كبار مسؤولي الحركة من مناصبهم. ولكن الثابت بالموضوع، لن تتغير الحركة نتيجةً للحرب الملتهبة الآن رغم ازدياد التضحيات وتكالب الغرب الاستعماري على عدم خروج المؤسسة العسكرية الصهيونية مهزومة من هذه الحرب...(!!!؟).

وهنا سؤال مهم يقع على المقاومة الفلسطينية بشكل عام وعلى حماس: ما هي الخطوات المقبلة التي ستظل فيها المقاومة صامدة ومتحدية هذا العالم الذي يدعي الحضارة والإنسانية وهو يساهم ويساعد ويدعم الاحتلال الصهيوني دون أن يرف له ضمير.

السؤال مفتوحٌ على احتمالات كثيرة....!!!؟

ومفتوح أيضاً على من سيتخذ القرارات عند الكيان الصهيوني في الفترة المقبلة لأنه يتوجب عليه وقف الحرب حتى لا ينتهي دوره الوظيفي..!!!؟

سيتوجّب على القيادة العسكرية الاحتلالية الاسرائيلية اتّخاذ قرارات مصيرية. وهو ما إذا كانت السياسة تعكس استراتيجيات معيّنة أو انعدام الاستراتيجية. وفي الأجواء الراهنة، ما تزال المسائل أكثر ضبابية. فهل الأعمال العسكرية الحالية هي مثلًا جزءٌ من مشروعٍ لتحويل قطاع غزة إلى منطقة «ب» منفصلة، على غرار ذلك الجزء من الضفة الغربية حيث تعمل المؤسسات المدنية الفلسطينية لصالح الفلسطينيين، ولكن إسرائيل تتحرك عسكريًا وأمنيًا كما تشاء؟ أم هل أن الأعمال العسكرية الإسرائيلية مدفوعةٌ ببساطة بالأهداف المُعلنة للحرب الإسرائيلية، والتي تتمثّل في تفكيك حماس وإلحاق الهزيمة العسكرية بها؟

هل رفض الكشف عن أي مقاربات في المدى الطويل هو غطاء لهذه السياسة تحديدًا، أم أنه ينمّ عن عجز حقيقي عن التفكير أبعد من الغد؟ وهل تصاعُد العنف ضدّ الفلسطينيين في الضفة الغربية هو مأزقٌ لا تريد القيادة أن تُضطرّ إلى التعامل معه، أم أنه يتيح فرصةً لتثبيت الضمّ بحكم الأمر الواقع؟

غالب الظن أن الإجابات عن هذه الأسئلة ستتبلور مع مرور الوقت رغم ان المؤشرات الحالية تنم عن ان المقاومة الوطنية الفلسطينية ستستمر والحاضنة الشعبية من الشعب الفلسطيني في غزة والضفة وفي الأرض الفلسطينية المغتصبة عام 1948؛ ستظل تحتضن مقاوميها فهم أبناء هذا الشعب الفلسطيني... وإن غداً لناظره لقريب..!!.

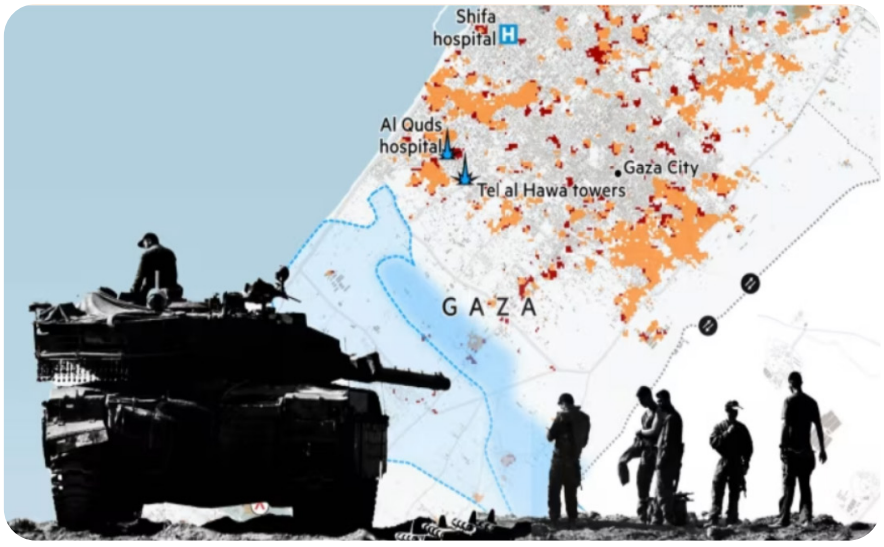

تداعيات السابع من أكتوبر

◂ **حاتم إستانبولي** ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

السابع من أكتوبر وتداعياته الأمنية والعسكرية والسياسية فرضت سؤالاً جوهرياً عن إسرائيل لماذا كل هذه الحماية والتغطية والاستثنائية لإسرائيل؟
السابع من أكتوبر طرح تساؤلات عن الدور التاريخي لإقامتها وامكانية استمرار هذا الدور بكل جوانبه وأبعاده في منطقة ما زالت تعتبر المفصل لحركة دورة رأس المال العالمي.
إسرائيل كفكرة كان إنشاؤها ناتج عن ضرورة رأسمالية تلاقت فيه المصالح رأس المال اليهودي مع الرأسمال الغربي في مرحلة ظهور القوميات الغربية التي فرضت مفهوم المواطنة الذي تطلب الغاء الخصوصية الدينية أمام الشكل القومي للدولة الأوروبية الحديثة وفرض مفهوم المواطنة وسيادة القانون بغض النظر عن الخلفية الدينية.

وفي ظروف انتصار ثورة أكتوبر في روسيا ترافقت مع مرحلة انحسار الاستعمار المباشر حيث أصبح هناك ضرورة لإيجاد شكل جديد من السيطرة غير مباشرة خصوصا في منطقة تحظى بأهمية اقتصادية وعسكرية وسياسية وجغرافية من الممكن أن يشكل استقلالها ووحدتها خطرا على المصالح الغربية وفي هذا السياق كان هناك ضرورة لإقامة كيان من خارج سياق البنى الاجتماعية السائدة في المنطقة مرتبط عضويا بالعجلة السياسية والاقتصادية والعسكرية للدول الغربية ومراكز نفوذها الرأسمالي.

هذا يوضح أن اسرائيل هي كانت وما زالت ضرورة رأسمالية غربية يمارس الغرب من خلالها هيمنته على المنطقة من جهة وبذات الوقت يمنع أي تطوير أو تنمية لشعوب المنطقة ويضعها في تناقض مع هذا الجسم الغريب الذي يعمل كأداة محلية لتنفيذ كل توجهاته السياسية والاقتصادية والعسكرية ويبقى التناقض الرئيسي مع هذا الكيان مما يعيق التطور الطبيعي لدول المنطقة.

السابع من أكتوبر كان في الجوهر إسقاط لِدورِ ولِبنية أمنية وسياسية واجتماعية واقتصادية تم العمل عليه على مدى مئة عام للكيان الإحلالي الغاصب لفلسطين.

خلال أربع ساعات تم القضاء على اسطورة هذا الكيان وسارعت العواصم الغربية الخمسة إلى الإعلان عن دعم غير مسبوق وإطلاق مجموعة من الإجراءات السياسية والقانونية والعسكرية والمالية لإيقاف الانهيار لما يشكله هذا السقوط من تداعيات على ما أنجز من إخضاع المنطقة على مدار مئة عام.

السابع من أكتوبر رفع الغطاء عن الوهم الذي زرع في الوعي العربي الرسمي أن هذا الكيان هو قدر لا يمكن إسقاطه أو هزيمته بل كشف إن هذا الكيان لا يمكن أن يستمر أو يدافع عن نفسه عند المواجهة الحقيقية مع المقاومين الفلسطينيين واللبنانيين واليمنيين إلا من خلال المعونات المالية والعسكرية بل إن السابع من أكتوبر والانهيار الذي أصاب جيش الاحتلال فرض على الدول الخمسة أن تعلن وبلا ريب عن إن ما أصاب هذا الكيان هو ضربة في الصميم لمشروعها الاستعماري الإحلالي في فلسطين وفي هذا الإطار تُفهَم كل القرارات السياسية والعسكرية والاقتصادية والزيارات المتتالية للرؤساء والوزراء لإظهار الدعم المعنوي والسياسي لهذا الكيان الاستعماري الصهيوني الإحلالي في فلسطين.

السابع من أكتوبر أظهر مدى سيطرة وتحكم الحركة الصهيونية في القرار السياسي والعسكري والمالي لمعظم الدول الغربية وكشف الجوهر اللاأخلاقي للمفاهيم الليبرالية الرأسمالية التي سقطت أخلاقيا وسياسيا وانكشفت وسائلها الإعلامية التي فرضت تعتيما منهجيا على المجازر التي ترتكب في غزة والضفة الغربية والممارسات العنصرية على فلسطينيي ال٤٨ ومنعهم من التعبير عن موقفهم المناهض لِلمجازر والابادة الجماعية في غزة.

السابع من أكتوبر كشف أن الفكر النازي العنصري والفاشي ما زال يعشش في ذهنية بعض الساسة الأوروبيين وخاصة الألمان منهم الذين مارسوا سياسة عمياء داعمة للمجازر الصهيونية في غزة تحت تبريرات الشعور بالذنب لما ارتكبته النازية في الحرب العالمية الثانية ضد شعوب أوروبا وخاصة شعوب الاتحاد السوفييتي وضد اليهود الألمان والبولونيون الذين كانوا مواطنين ألمان وبولون وروس.

ما سيق من تبريرات سياسية لتوريث حق هؤلاء المواطنين اليهود الألمان والبولونيون والروس لدولة استعمارية استيطانية إحلالية أسست ما بعد الحرب العالمية الثانية ومارست ذات الممارسات الإجرامية النازية بحق الفلسطينيين تحت ضغط الذنب الإجرامي للنازية والفاشية الالمانية والايطالية هو كذب سياسي لا أخلاقي يكشف أن النازية والصهيونية هما

وجهان لعملة واحدة والضحية كانت اليهود الفقراء والشعب الفلسطيني الذي تحمل عبء النازية والصهيونية القديمة والحديثة حقوق ضحايا النازية وتعويضهم يجب أن يكون لدولهم لانهم مواطنين يحملون جنسية ومواطنة دولهم التي خاضت حربا ضد النازية وأعوانها لا يمكن أن ترث دولة أنشأت ما بعد الحرب العالمية شرف إسقاط النازية وتحصر الجرائم النازية والفاشية بفئة دينية متعددة الجنسيات ويتم تناسي ملايين الضحايا من القوميات والجنسيات التي واجهت النازية والفاشية.

لا يمكن تحت أي مسمى ان تدعي مناهضة النازية وفكرها وأساليبها الإجرامية وبذات الوقت تمارس ممارساتها الإجرامية بل تتفنن في عمليات الابادة الجماعية المفتوحة وفي بث حي مباشر على الشاشات وتجد من قادة واشنطن وبرلين ولندن وباريس وروما هذا الدعم اللا محدود السياسي والعسكري والإعلامي والمالي.

السابع من أكتوبر أسقط المنظومة الإعلامية الغربية وكشف تحيزها الكامل لِلممارسات النازية والفاشية الإجرامية الإسرائيلية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني.

السابع من أكتوبر أسقط الوهم السياسي لمنظومة التطبيع وكشف تآمرها على القضية الفلسطينية.

السابع من أكتوبر كشف كذب المبررات الصهيونية في الدفاع عن النفس هذه الأسطوانة التي عزفها سياسيو واشنطن ولندن وبرلين وروما وباريس بل أكدت أن معضلة الإحتلال الإحلالي لفلسطين هي مع الهوية الفلسطينية ومع المخيم الفلسطيني الذي انطلقت منه المقاومة من أجل الحفاظ على الهوية السياسية والثقافية والاجتماعية والقانونية للشعب الفلسطيني وباعتبار أن غزة تعتبر هي مخيم فلسطيني كبير لأنها تعتبر أكبر تجمع فلسطيني مهاجر منذ جريمة النكبة عام ١٩٤٨ فهي هدف للمحتل الصهيوني الإحلالي وعلى هذا الأساس تُفهَم الإبادة الجماعية للبشر والحجر وتُفَسَر العبارات التوراتية التي تطلق من قبل جنود وضباط جيش الاحتلال الإحلالي الصهيوني التي تعيد للذاكرة حلم شارون الذي أطلقه أنه يحلم بأن يصحو يوما وغزة غير موجودة.

السابع من أكتوبر أسقط المنظومة الأخلاقية للغرب التي بنيت على أساس حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة وكشف بعض القوى الليبرالية التي تلاقت مع اليمين العنصري في التفريق بين الضحايا على أساس القومي والديني وبعضها اعتمد اللون في سياق موقفه بين ضحايا (أوكرانيا وغزة).

السابع من أكتوبر أسقط منظومة العدالة الغربية وكشف معاييرها المزدوجة في النظر إلى الصراع في أوكرانيا والجرائم التي ترتكب في غزة.

فقد تطلب تحرك المدعي العام في محكمة الجنايات الدولية بضعة أيام للتحرك ضد ادعاءات غير مؤكدة لجرائم في أوكرانيا في حين منذ ١٩٣ يوماً من الجرائم اليومية المعلنة وسياسة التجويع المعلنة والتي تؤكدها تصريحات القيادة والضباط والجنود الاسرائيليين لم تتخذ محكمة الجنايات أي إجراء فوري أو تصدر مذكرات توقيف كما حدث مع الرئيس بوتين.

هذا يكشف أن الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين هو في الجوهر احتلال صهيوني غربي أما من حيث الشكل هو مستعمرة لليهود الصهاينة الغربيين ليمارسوا جرائمهم وهلوستها الغيبية في إطار خدمة المشروع الاستعماري الغربي للمنطقة.

السابع من أكتوبر أظهر ضرورة إعادة بناء المنظومة الوطنية الفلسطينية سياسيا واجتماعيا وثقافيا على قاعدة تأكيد ضرورة المقاومة وأحقيتها وثقافتها وهذا يتطلب أهمية تحويل شعار المواجهة من مواجهة فصائلية إلى مواجهة وطنية عامة تكون على مستوى أهمية موقع وجوهر القضية الفلسطينية كقضية سياسية وقانونية واجتماعية وثقافية وتاريخية وأنها كانت وما زالت هي المعيار والناظم للموقف من العدالة ببعدها القانوني والسياسي والثقافي.

قلما ما تجتمع المقولتان المعيار والناظم في قضية مركبة ومتعددة المستويات ومختلفة الأوجه من حيث التعاطي معها من القوى الداخلية المكونة لها أو من القوى الخارجية المؤثرة في مسارها التي عملت على مدار الدقيقة والساعة واليوم والسنة لإنهائها ولكن جميع الجهود المتعددة الأوجه سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً سقطت أمام عدالة القضية الفلسطينية ومقاومة شعبها الذي واجه تآمرهم وعدوانهم على ما يزيد عن مائة عام.

السؤال الذي يطرح نفسه: كيف كان يمكن لفلسطين أن تواجه كل هذا الحجم من التآمر؟

عدالة القضية الفلسطينية ومقاومة شعبها وتضامن الشعوب العربية والعالمية هي الجواب والأدق أن القضية الفلسطينية هي جمعت وبشكل فريد ومميز معيار وناظم العدالة الإنسانية ولذلك فهي كانت تجسد الحقيقة المطلقة لِمفهوم العدالة الإنسانية بِمعيارها وناظمها وهي كانت وما زالت تعمل على كشف كل من تآمر واعتدى عليها والقائمة طويلة من حيث الأدوات والوسائل التي استخدمت وما زالت تمارس وإن غلفتها بعض الأحيان الجمل والتعابير الرنانة جميعها سقطت أمام امتحان ناظم و معيار العدالة الإنسانية في الامتحان اليومي حول القضية الفلسطينية.

السابع من أكتوبر والدم الفلسطيني الذي يهدر أعاد الاعتبار لمفهوم العدالة الإنسانية بأبعادها وضرورة تحقيقها وأطلق مناصريها في كل ميادين مدن العالم في مواجهة الطغمة السياسية والقانونية والعسكرية والمالية والثقافية والإعلامية الصهيونية التي عملت على مدى مائة عام لِبناء منظومتها العدوانية ضد شعوب العالم.

إعادة بناء ثقافة وِحدة المخيم الفلسطيني المقاوم في كل أماكن تواجده واعتباره المفصل التي يتفرع منه كل الشتات الفلسطيني بغض النظر عن الهوية المدنية القائمة هي المهمة الملحة للمثقفين الفلسطينيين لربطها بالهوية الوطنية الجامعة للشعوب والمجتمعات العربية في المنطقة لإسقاط ثقافة مئة عام من الاحتلال الإحلالي السياسي والثقافي والاقتصادي والإعلامي للوعي الفلسطيني والعربي والعالمي إن كان احتلالا مباشرا في فلسطين أو من خلال وكلاء في نظام سايكس بيكو ووعد بلفور.

المرأة الفلسطينية وتداعيات الحرب

◄ د. انتصار الدنّان ـ كاتبة سياسية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

يقول الشاعر محمود درويش: «سنحاصر حصارنا بالجنون والجنون وبالجنون، ذهب الذين نحبهم ذهبوا، فإما أن نكون أو لا نكون».

ينتابهن شعور أحيانًا بأن الصاروخ التّالي سوف يسقط فوق رؤوسهن، صراخ أطفال الجيران قاسٍ ومفزع، ومحزن في الليل الذي لا ينتهي. يتساءلن بينهن وبين أنفسهن عن نوع القذائف التي ستقترب منهن، وإذا ما اقتربت، ما الذي سيحصل؟ هل سينهار المبنى بشكل كامل أم جانبيًّا فوق رؤوسهن؟ وهل سيبقين على قيد الحياة أم سيكنّ في باطن الأرض ولن يشعرن بموتهن المحتمل في كل دقيقة؟ سؤال تسأله النساء في غزة مع كل رفة جفن، وهو سؤال مشروع، خاصة بعدما يسمعن الأخبار التي تخبر بأن الغزيين اختاروا طواعيّة أن تكون بيوتهم قبورهم وعدم تسليمها لجيش الاحتلال الصهيوني.

مع الإبادة الجماعية التي تقوم بها دولة الكيان الصهيوني بعد السابع من أكتوبر 2023 الذي جاءت مبادرة المقاومة ردًّا على الاعتداءات اليومية المتكررة على القدس ونابلس وطولكرم، وجنين ومدن وقرى الضفة الغربية، استهدف العدو الصهيوني في حربه هذه النساء بشكل كبير، النساء اللواتي يواجهن تحديات كبيرة جراء هذا العدوان الذي ما زال مستمرًا، وكيف لا تكون مستهدفة، وهي التي تقع على عاتقها الأمومة بالدرجة الأولى، وعليه، فإن أكثر من 150 ألف امرأة حامل ومرضعة لا يستطعن الحصول على حاجاتهن اليومية من السعرات الحرارية التي تحتاجها المرأة في هذه الحالة، هذا عدا عن احتمال تعرضهن للأمراض وعدم استطاعتهن الحصول على الدواء، وعدم استطاعتهن الحصول على الماء والطعام والعيش اللائق في وسط الجو الملوث والنفايات المتراكمة منذ أكثر من ستة أشهر لعدم إمكانية نقلها إلى أمكنة بعيدة عن الناس، هذا بالإضافة إلى عدم استطاعة الفتيات التعامل مع نظافة الدورة الشهرية، وهن يعشن في خيمة قد تسقط فوق رؤوسهن في أي لحظة ممكنة.

كما يقع على المرأة الفلسطينية إعطاء الأولوية لأطفالها وعائلتها، وربما لجيرانها، ولكبار السن. في وسط هذه الزحمة من المسؤوليات الواقعة عليها، تجد نفسها أمام تحديات إما أن تخوضها وإما أن تخوضها، لا مفر من ذلك، فهي تجهد للتكيّف مع هذا الواقع المرير، الحصار والدمار، لا كهرباء ولا ماء ولا اتصالات، وخدمات طبية شحيحة، رعب وخوف. كل هذا تواجهه المرأة الفلسطينية في ظل الحرب الهمجية التي يقوم بها جيش الاحتلال الصهيوني.

تعيش المرأة الفلسطينية تحديات الحياة، فالعديد منهن انقضّت صواريخ على بيوتهن وحولت منازلهن إلى قبور لهن ولأولادهن، لأن المسعفين لا يستطيعون الوصول لجثثهن وجثث أبنائهن وأحفادهن، فهن رفضن ترك بيوتهن وفضلن البقاء فيها، ومن أُجبرن على النزوح يشتكين بأنّهن غير قادراتٍ على تأمين احتياجاتهن واحتياجات أطفالهن سواء من مأكلٍ أو ملبسٍ أو حتى فراشٍ للنوم، في الوقت الذي ما زال فيه الآلاف يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ويلتهمهم

الجوع والعطش.

العديد من النسوة يشعرن بالذعر، لا من شيء مهم، إنما لأن براميل مياه الشرب في المنازل التي ما زالت صامدة فرغت من المياه، ماذا سيفعلن؟ حتمًا سيقمن بتعقيم المياه العادية عن طريق غليها، حيث إن الحصول عليها صعبٌ جدًّا.

أما عن تحدي الخبز، فهذا تحدٍ لم يكنّ يتوقعنه، لكنهن حاولن وفكرن في تأمينه، فمنهن من قامت بخبز العجين، وبالفعل استطعن ذلك، لكنهن تفاجأن بأنهن لن يستطعن الاستمرار في إعداد الخبز لأن جرة الغاز قد تفرغ بسرعة، والغاز غير متوفر في البيوت.

يحاولن التكيف مع الحياة الجديدة، مع ثقافة الحياة في ظل هذا العدوان الإسرائيلي الغاشم، إلى أن تنتهي هذه الأزمة، وينجون ويكن بخير وكرامة.

كل ليلة يصبن بالذعر، فالليالي ليست متشابهة في غزة، كل ليلة أقسى من التي سبقتها، حيث الموت يقترب مع كلّ صاروخٍ ارتجاجي من الطيران وكلّ قذيفةٍ مدفعية. لاتغفو أجفانهن، ويتشبثن بأفراد أسرهن وصديقاتهن وصغارهن مع كلّ قذيفة. من خلف الزجاج المتبقي يراقبن قنابل الإنارة، وألسنة اللهب التي تندلع مع كل صاروخ، يختنقون جميعًا برائحة الفسفور، ويحاولون تجنّب الرائحة بوضع قطع من القماش المبلل على أنوفهم، ويتمنون أن ينشقّ الفجر سريعًا، وحتى مع انبلاج الفجر تظل الصواريخ والقذائف تنهمر كالمطر.

النساء في غزة يدركن حتمية الموت، لكن الخوف هو من الموت احتراقًا بالفسفور الأبيض الذي يخفي معالم الشخص بشكل كلّي، فلا يمكن التعرف عليه.

مئات الشهداء، سقطوا بهذه القنابل التي أحرقتهم وفتتتهم، ولم يستطع أحد التعرف إلى هوية الشهيد/ة، لأنهم تحولوا إلى أشلاء، وهذه الأشلاء توضع في أكياس بلاستيكية وتدفن بمقابر جماعية، وكل كيس من الممكن أن يحوي جثتيْن أو أكثر، والحفرة تسع مئة كيس أو أزود. أما الجرحى فلا يجدون علاجًا، وينتظرون طويلًا حتى يصلهم الدور في الحصول على جزء بسيط من العلاج.

تنتظر النساء في غزة إشراقة الشمس بلهفة، ويشعرن بالفرح المؤقت، لأنهن ما زلن على قيد الحياة ليوم جديد، وعندها يسرعن في كتابة رسائل الاطمئنان لأحبتهن وأقاربهن وأصدقائهن، وربما ينسين أحدًا منهم، لكنهن يكن سعداء عندما يذكرهن أحدهم برسالة أو باتصال ليطمئن إن كن ما زلن على قيد الحياة، لكنهن لسن بخير، لأنهن حتى بعد شروق الشمس لم يتجاوزن ظلام الليل السابق ورعبه، حيث تستمر الطائرات والبوارج من البحر والمدفعية من الشرق بإلقاء حممها فوق غزة، غزة التي لم يعد فيها مكان آمن حتى للحيوانات، فتنال ممن خدعهن بزوغ النهار، وذهبن للاستجابة لإلحاح الأطفال الذين لا يفهمون لماذا لايستجيب لهم آباؤهم وأمهاتهم لتلبية احتياجاتهم الصغيرة، رغم أنهم توقفوا مع الوقت عن المطالبة ببعض من قطع الشكولاتة أو الشيبس، ولكن على الأقل ذهبن إلى مخبز يردن شراء بعض من الخبز أو ذهبن لبقالة الحي، لربما يحصلن على ما تبقى من المعلبات أو الأرز أو الحبوب الجافة ليطعمن أولادهن الجوعى الذين صاروا أشلاء ممزقة، لأن قائد الطائرة تخلص من حمولته، وهي أطنان من المتفجرات، فوق رؤوسهم بادعاء أنه رأى رغيف الخبز عن بعد صاروخًا متجه نحو طائرته.

إن حرمان الشعب الفلسطيني من ماء الشرب وتجويعه، وعدم السماح بدخول المواد الغذائية هو دفاع عن دولة بما تسمى «إسرائيل» من صواريخ المقاومة، لهو سواد يوازي سواد الليالي التي يعيشها سكان غزة، سواد يعكس السواد في عقول وقلوب قادة الحرب المجرمين، الذين يجب أن تتم محاكمتهم محاكمة مجرمي حرب.

تجهد النساء في غزة في أن يكن قويات، يشددن من أزر أنفسهن، لعلهن يتجاوزن إحساس الشعور بالعجز أمام عدم قدرتهن على المساعدة في ظل وجود تلك الطائرات الملعونة التي لا تسمح لهن بالحركة، بل لا تسمح لهن بالنظر نحو السماء، حيث يسكن الفضاء قاتل مهووس يتربص بكل سكان غزة، قاصدًا الأطفال والنساء والشيوخ.

تواجه النساء في غزة الموت في كل لحظة من لحظات حياتهن، حيث رائحة البارود والدخان الأسود تعشّش في الأنفاس، والقلق والتوتر من القادم يغزو النفس ويستولي الخوف على الأطفال، وعيون أمهاتهم تتوسّل الرجاء ببعض الأمان كي يتمكنّ من تهدئتهم.

هذا عدا عن السؤال الذي يراود المرأة الفلسطينية في حال دفعهم العدو الصهيوني إلى التهجير القسري مرغمين، ما الممكن فعله في هذه الحالة، وهو الذي يدعوهم إليه بشكل متكرر، سواء عبر رسائل صوتية على هواتف المواطنين، أو عبر مناشير ترميها الطائرات على مناطق معينة، طالبت فيها الناس بالرحيل، أو من خلال القصف المستمر الذي دمّر البيوت والعمارات والشوارع، ما دفع الناس للنزوح مُجبرين لا مُخيّرين.

في ظل هذه الحرب المستمرة، تدفع المرأة الفلسطينية الثمن الأعلى تكلفة، حيث تعرضت للعنف والاعتقال، حيث اعتقل العدو الصهيوني عددًا كبيرًا من النساء، كما قام بإعدامات ميدانية للنساء، كما تعرضن لممارسات وحشية، في أثناء سيرهن في شارع صلاح الدين نحو الجنوب، حيث جرى توقيفهن على حاجز نتساريم ووضعهن في حفرة عميقة لساعات طويلة تحت قوة السلاح، لكن مع كل ذلك الترهيب والتخويف تستمر المرأة الفلسطينية في نضالها لإنهاء الاحتلال.

مسؤولية الشعوب العربية في مجابهة المشروع الصهيوني

◄ د. عابد الزريعي
مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والإنتماء

جاءت معركة طوفان الأقصى في لحظة معاكسة لواقعنا العربي على المستويين الرسمي والشعبي، ودخلت سفر الصراع مع الكيان الصهيوني على أكثر من مستوى. أولاً على المستوى الزمني بوصفها المعركة الأطول مدى، قياسا بكل المعارك التي خيضت ضد هذا الكيان منذ تأسيسه، وقد دشنت شهرها السابع دون أن يلوح في الأفق حتى اللحظة محطة زمنية لتوقفها. وثانياً على مستوى عنف المواجهة والتضحيات التي قدمت خلالها، وما واكبها من صمود أسطوري في كافة مناحي حياة أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. وثالثاً على مستوى ما أفرزته من قناعات راسخة بان المشروع الصهيوني وبالرغم من كل القوى التي تقف من خلفه، هو مشروع ينضوي على هشاشة عميقة، وقابل للانحدار والهزيمة النهائية، وليست الإنجازات التي حققتها المعركة في مجملها إلا علامات وإشارات حاسمة على طريق انجاز هذا الانتصار. وعلى المستوى الرابع فقد شكلت هذه المعركة مصباحاً كاشفاً سلط الضوء الساطع على خلل ما، يشوب الفعل الجماهيري العربي على مستوى الدعم والإسناد، بل وعلى مستوى القدرة على الحركة الفاعلة والمؤثرة، التي ترتقي إلى مستوى التقاط اللحظة التاريخية، التي وفرتها معركة الطوفان، وما وفرته لها من فرصة للقيام بدورها الفاعل وتحملها لمسؤوليتها في مجابهة المشروع الصهيوني.

هذه الأرضية تستدعي وضع مجموعة من القضايا التي قد تسمح بتلافي حالة الخلل القائمة، والدفع بقوة الفعل المحدودة إلى الأمام لتشكل في مسارها المتنامي قوة فعل حقيقية. الأمر الذي يفرض طرح سؤال ما العمل.؟ والاجتهاد في تقديم إجابات شافية عليه. هذا المقال محاولة لتناول الموضوع ضمن العناوين الواردة أدناه:

أولاً: ملامح ومحددات معركة الطوفان: وتتحدد في مسألتين هما:

1 ــ معركة وطنية ــ قومية: أن معركة طوفان الأقصى التي يدور رحاها بشكل رئيس على مساحة قطاع غزة، وامتدت بلظاها إلى الضفة الغربية، تدار بأدوات وطنية ممثلة في فصائل المقاومة الفلسطينية، بحكم جريان وقائعها في بؤرة الحسم المركزية مع المشروع الصهيوني على أرض فلسطين التاريخية، كما أنها معركة قومية وذلك بحكم طبيعة المشروع الصهيوني الذي يشكل عامل تهديد متنامي للوطن العربي برمته كما أن مصير الوطن العربي من المحيط إلى الخليج بنتائج هذه المعركة، لذلك شكل انخراط قوى وفصائل المقاومة المسلحة (التي نمت من خارج إطار النظام الرسمي العربي) في هذه المعركة والتي لعبت دور الداعم المسلح لمواقع الاشتباك المباشر أو المساند من مختلف مواقع المقاومة (اليمن ــ لبنان ــ العراق) ترجمة حقيقية لهذا الوعي.

2 ــ المسؤولية الجماهيرية الشعبية: أن المعركة بمستوييها الوطني والقومي، تحتاج إلى حزام جماهيري يتجاوز حدوده الوطنية إلى جماهير الأمة من محيطها إلى خليجها. ومن الملاحظ أن مستوى الفعل الجماهيري على المستوى القومي لم يرتق إلى مستوى التحديات المطروحة، وعندما نقول إن مستوى المشاركة الجماهيرية على المستوى القومي أقل، فذلك ناتج عن مسألتين، أولهما مدى كثافته واستمراريته على المستوى التقني، ومدى تأثيره في القرار الرسمي وقدرته على دفعه في إعلان الموقف والقيام بخطوات عملية أقلها الاحتجاج والتذمر لدى داعميه الدوليين الذين يدعمون الكيان الصهيوني على المستوى السياسي، والمساهمة في توفير آليات الدعم المباشرة على المستوى المادي. وبمقارنة المشاركة الجماهيرية العربية بما يجري في عديد الساحات العالمية، يمكن الاستنتاج بأن هناك من اشتغل في تلك الساحات على جعل القضية الفلسطينية عنوانا أخلاقيا لجيل كامل. مثال على ذلك (طلبة من أجل العدالة في فلسطين) التي تأسست في أمريكا عام 3991 أي في ظل سطوة العولمة بجبروتها، وتوقيع اتفاق أوسلو، ووادي عربة 4991، واستمرت وأصبح لديها الآن ما يقارب 002 فرع في الجامعات الأمريكية، وباتت تشكل الآن ثقلا رئيسا في الحراك الجماهيري في الشارع الأمريكي، وتقود النضال على المستوى الأكاديمي ضد الحركة الصهيونية.

ومن ناحية ثانية فقد شهدت نفس الفترة المشار إليها حالة انحدار على المستوى العربي، كان أبرز ملامحها تحول التناقض الرئيس مع الكيان الصهيوني إلى مستوى ثانوي.

ثانيا: محددات عوائق النهوض الأساسية: وتتمثل في قضيتين:

1 ــ أن وعي التناقض مع المشروع الصهيوني بوصفه تناقضا رئيسيا من حيث الأهمية، و أوليا من حيث الترتيب، وتناحريا من حيث الحل النهائي، كمسألة حاسمة في تحمل مسؤولية مجابهة المشروع الصهيوني، لم يتم غرسها في عمق الوعي الجماهيري، بحيث تصير ضابطا للسلوك والحياة والتوجهات، وأداة تحليل وحكم على كافة القضايا سياسية كانت أو اقتصادية، وموجه لتصرفاتها تجاهها. لقد تم الارتهان إلى مجموعة من العناوين والشعارات العامة حول الصراع مع الكيان الصهيوني، وهو ما وفر الفرصة للنظام الرسمي العربي في واجهته الأكثر ارتماء والتحاقا ذيليا بالقوى الامبريالية، وبحكم حيازته على وسائل الإعلام الموجهة والمدعومة، من اختراق تلك الشعارات وتهرئتها في كثير من الأحيان، لصالح الارتهان للعدو والاقتراب منه، وبذلك بقيت قطاعات واسعة من الجماهير العربية رهينة في معرفتها بالكيان الصهيوني لتصوراتها الأولية للصراع القائمة على صراع يهود ومسلمين والإرتهان إلى ردود أفعال في لحظات الصدام والمواجهة. يضاف إلى ذلك تراجع وعي التناقض مع المشروع الصهيوني على مستوى جزء كبير من النخبة الثقافية والسياسية التي انجرت إلى عديد التناقضات الثانوية ودفعت بالتناقض الرئيس الحقيقي إلى الخلف، بما ترتب على ذلك من اشتغال كثير من هذه النخب كآليات إقصاء متبادلة في الساحة العربية.

2 ــ إن غياب الوعي العميق بالتناقض سيقود بالضرورة إلى ردود أفعال وليس إلى أفعال مؤسسة، ورد الفعل قد يكون صاخبا وكثيفا في لحظة ما، لكنه يفتقد لآليات الدفع والاستمرارية والتراكم عندما يطول الصراع، وهذا ما يفسر حالة الانكفاء الحاصلة في اللحظة الراهنة. كما يقود غياب الوعي بجوهر التناقض إلى عدم الوعي بمتطلبات الصراع من تضحيات قاسية في كثير من الأحيان، وبالتالي تتحول الجماهير من حالة نضالية إلى حالة بكائية يساهم في تغذيتها استراتيجيات التأثير الإعلامي التي يديرها العدو من خلال كثافة بث المشاهد المأساوية، بهدف تغذية وتعزيز هذه الحالة. يضاف إلى ذلك سيادة خطاب اللاجدوى والانتقاص من قيمة العمل الذي يمكن أن تقوم به الجماهير على قاعدة ماذا بأيدينا أن نفعل.؟ بما يعنيه ذلك من عدم الوعي بأهمية كل فعل وشكل من أشكال الفعل والنضال في مسار طويل. علما أن المشروع الصهيوني قد مضى بذات الاتجاه التراكمي وان كانت عملية التراكم قد استفادت في لحظات معينة من الحضور الاستعماري الذي دفع بها خطوات إلى الأمام تفوق قدرتها على التراكم الطبيعي.

ثالثا: محددات النهوض وتحمل المسؤولية: وتتلخص في ثلاثة قضايا تنهض على أساس تحديد الأهداف المطلوبة. وتتحدد في حماية انجاز الطوفان، وحماية الجماهير الفلسطينية من التغول الصهيوني، وحصار العدو وملاحقته وكل المتواطئين معه، وذلك في سياق توفير كل متطلبات الدعم والإسناد التي تحتاجها المعركة، وذلك يتطلب ثلاثة قضايا هي:

1 ــ بناء الوعي النظري بكل ما يتعلق بالمشروع الصهيوني من قضايا ومفاهيم. سواء على مستوى تجسده في قلب الوطن العربي أو على مستوى تحالفاته الخارجية والقوى الإقليمية الداعمة له. وتعميق الوعي بخطورته حتى على المستويين القومي والقطري والإنساني. بما يترتب على ذلك من جعل كل معركة مع الكيان معركة مباشرة لكل لجماهير العربية.

2ــ بناء الوعي العملي المتعلق بتقنيات النضال الجماهيري وأشكاله ووسائله وأهدافه، بما يساعد على امتلاك أدوات القدرة على ممارسة أشكال النضال الجماهيري بالنسبة لكل الفاعلين الاجتماعيين.

3 ــ تفعيل عملية الانخراط في العمل الميداني بكل جوانبه، والانتباه الى مسألة تكثيف مشاركة القطاعات الاجتماعية والمهنية، خاصة عندما يتم استهداف القطاعات الموازية في فلسطين من قبل العدو، (القطاعات الطبية ــ التعليمية ــ المرأة ــ الطلبة.. الخ) إن التنزيل القطاعي للعمل الجماهيري بالقدر الذي يوسع قاعدة المشاركة فإنه يجعلها تصبح أكثر تحديدا ووضوحا لكل قطاع بل لكل فرد.

خاتمة: لقد أعادت معركة طوفان الأقصى التناقض مع العدو إلى موقعه الصحيح، ليس تنظيرا فقط وإنما من خلال الممارسة بالسلاح والدم، وإضافة للإنجازات التي حققتها فقد ولدت تحديات كثيرة، مما استدعى تحديد ملامح اللحظة، وعوائق القيام بالدور وتحمل مسؤولية المجابهة، والتأشير باختصار نحو عناوين أساسية تسمح بالنهوض والتقدم على طريق مجابهة ودحر المشروع الصهيوني.

اليمن ـ القادم أعظم

ماذا يعني توسيع هجمات «أنصار اللّه» إلى المحيط الهندي؟

◄ **عادل عبده بشر** ـ صحفي وكاتب سياسي ـ اليمن

كمن يتدرج سُلماً من بدايته، ويمضي بثبات واتزان صعوداً، عين على اليابسة، وأخرى للبحر حارسة، لا سقف لرحلته غير السماء السابعة.

هكذا هو اليمن في موقفه المساند لشعبنا الفلسطيني المُحتل ترابه المقدسة منذ 1948م.

لم تكن الشمس قد بلغت كبد السماء نهار 21 أيلول/سبتمبر 2023م، وأكبر ميدان للعروض العسكرية في اليمن وهو ميدان السبعين بالعاصمة صنعاء، يمتلئ بعشرات الآلاف من مختلف التشكيلات العسكرية والأمنية، وجانباً من الترسانة العسكرية اليمنية المُصنعة والمطورة محلياً، وأبرزها ما يتعلق بالقوتين الجوية والبحرية، التي كانتا قبل العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي على اليمن في آذار 2015م، أضعف من أن يُطلق عليها قوة عسكرية.

لم تمضِ لحظات، على العرض المُهيب حتى انخرط محللين سياسيين وعسكريين وناشطين على التواصل الاجتماعي، في السُخرية من تلك القوة والتقليل من أهميتها وجدواها، والقول إنها «هياكل كارتونية» مطلية بألوان زيتية.

هرولت عجلة الأيام كعادتها، حيث لا تنتظر أحد، فإما أن تكون حاضراً بما أوجدك الله عليه حُراً أبياً مؤمناً شامخاً، وفياً لقضايا الأمة الإسلامية الأولى، فيضعك التأريخ في أنصع صفحاته، ولن يكون ذلك دون ثمن باهظ، أو أن تتجنب ذلك الثمن من خلال الخنوع وتقبيل أقدام بشرٌ مثلك يزعمون أنهم حُكام العالم..

على مدى 15 يوماً من 21 أيلول/سبتمبر 2023م والأفواه الساخرة، تلوك العبارات المتندرة بالعرض العسكري الذي شهده ميدان السبعين في العاصمة صنعاء، وحين سطعت شمس الأبطال من غزة هاشم صباح السابع من تشرين الأول/أكتوبر، ورأى العالم أجمع كيف استطاع ثلة من مقاتلي القسام وبقية الفصائل الفلسطينية، خلال بضع ساعات، إسقاط أسطورة «الجيش الذي لا يُقهر»، موقعين في الصهيوني هزيمة لم يشهدها منذ زرعه في الجسد العربي كنبتة شيطانية، حينها انقسم المُحللون والخبراء والدعاة والناشطون، بين مؤيدين ومنتقدين، وهؤلاء الأخيرين معروفة مواقف أغلبيتهم السابحة في بحار الأمركة والصهينة، وفي ذات الوقت وجهوا سياط ألسنتهم لليمن متسائلين بسخرية (أين هي الصواريخ الكارتونية التي عُرضت في السبعين، لماذا لا تقصف إسرائيل؟)، فجاء إعلان وزارة الدفاع الامريكية بتاريخ 19 من ذات الشهر، ليقول أن بوارجهم الحربية التي قدمت إلى المنطقة حماية للكيان العبري قد تصدت لصواريخ باليستية ومُسيرات يمنية شمال البحر الأحمر كانت في طريقها إلى جنوبي الأراضي الفلسطينية المحتلة.

توالت هجمات اليمن مستهدفة مواقع حساسة في أم الرشراش المحتلة (إيلات) ولم يكتمل تشرين الأول إلا بإعلان رسمي من صنعاء بدخول الحرب ضد الكيان الصهيوني إلى جانب شعبنا الفلسطيني، فقال المتندرون، ولماذا تذهبون إلى إيلات وسفن إسرائيل تمخر البحر أمامكم، اضربوها إن كنتم صادقون.. معتقدين أنهم بذلك سيُفحمون قيادة وجيش وشعب اليمن الحُر، وتم توجيه حملة إعلامية مسعورة بهدف التقليل من الموقف اليمني المساند لغزة، منذ أول صاروخ أُطلق على (إيلات).

منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 2023م، صعد المتحدث الرسمي للقوات المسلحة اليمنية العميد يحيى سريع، إلى منصة إطلاق البيانات الباليستية، معلناً تنفيذ توجيهات السيد عبدالملك الحوثي، بالانتقال إلى المرحلة الثانية من مراحل إسناد شعبنا الفلسطيني وهو الحظر البحري للسفن الصهيونية، في البحرين الأحمر والعربي، وكانت فاتحة ذلك الاستيلاء على سفينة «جلاكسي ليدر» في 19 من ذات الشهر

واقتيادها إلى سواحل مدينة الحديدة على البحر الأحمر، لتتصاعد الحملات الإعلامية الممولة ضد صنعاء واصفة ما حدث بأنه عبارة عن مسرحية لا جدوى منها.

تطورت الأوضاع في البحر الأحمر ارتباطاً بتصاعد العدوان على غزة، وبدأ مفعول الحصار اليمني البحري على (إسرائيل) يؤتي أكله باعتراف سلطات الاحتلال في إيلات، والتي أكدت في أكثر من تصريح أن العمليات اليمنية في البحر الأحمر حتى نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2023م اصابت ميناء (إيلات) بالشلل، محذرة من أن استمرار هذا الامر للعام 2024م سيكون عواقبه وخيمة على حكومة الاحتلال بشكل عام، فتداعت أمريكا وبريطانيا مع دولاً أخرى لحماية السفن الصهيونية والمتجهة إلى موانئ الاحتلال في البحر الأحمر وتورطت واشنطن ولندن في تنفيذ ضربات جوية عدوانية على صنعاء ومدن يمنية أخرى بتاريخ 12 كانون الثاني 2024م، وأعلنت أنها تمكنت من إضعاف القدرات العسكرية لصنعاء، غير أن الكلمة الأهم كانت للقوات المسلحة اليمنية، التي أعلنت توسيع ساحة المعركة البحرية لتشمل السفن الأمريكية والبريطانية وجميع السفن المتجهة إلى موانئ الاحتلال، وتواترت الأحداث، ليتحول البحر الأحمر وباب المندب إلى أمواج حمراء بنيران القوات اليمنية التي اعترف جنرالات البحرية الأمريكية وبحرية المملكة المتحدة صراحة أنهم لم يسبق أن تعرضوا لمثل هذه الهجمات التي وصفوها بالخطيرة جداً، على مدار الساعة منذ الحرب العالمية الثانية.

أظهرت التطوّرات في البحر الأحمر وخليج عدن، عملية التدرّج التي تعتمدها القوات المسلحة اليمنية في عملية إسنادها لشعبنا الفلسطيني، حيث تمكّنت أولاً من تثبيت معادلة الحصار على الكيان المؤقت، مقابل حصاره على قطاع غزة، وأفشلت المحاولات الأمريكية والبريطانية لفكّ الحصار عن هذا الكيان المارق، ثم عمدت إلى رفع سقف معركتها البحرية ووسعت بنك أهدافها ليشمل معاقبة حماة (إسرائيل)، بمنع مرور السفن التجارية الأمريكية والبريطانية، وتمكّنت من استهداف عدد كبير منها، ووصل الضرر إلى الأسواق البريطانية والأميركية. ثم رفعت سقف أهدافها، إلى استهداف البوارج والمدمّرات الأجنبية، ومضت صنعاء وأنصار الله على هذا النحو بشكل مدروس، يؤكد أنّ الهجمات التي تنفّذها ضد سفن ومدمّرات عسكرية أميركية، هي عمل محدّد الأهداف، يمهّد لعمليات استراتيجية ستفاجئ الأعداء، فجاء خطاب السيد القائد عبدالملك الحوثي في 14 آذار/ مارس 2024، بتوسيع ساحة المعركة البحرية لتشمل استهداف السفن الصهيونية في المحيط الهندي وطريق رأس الرجاء الصالح، والإعلان عن تنفيذ عمليات ضد سفن صهيونية في المحيط الهندي، وبذلك انتقلت اليمن إلى مرحلة جديدة من التصعيد والردع، وذهبت بالمعركة إلى أسقف جديدة لم تخطر على بال أمريكا وحُماة الصهاينة، وتمضي صنعاء في هذه المعركة بخطوات إستراتيجية وخطط عسكرية مدروسة بدقة، ونابعة من واقع القوة والاقتدار الحربي الذي وصل إليه يمن العروبة والإسلام، وبالتالي فإن توسيع دائرة العمليات إلى المحيط الهندي سيعمل على فرض خناق بحري جديد، ضد ما تبقى من خيط تجاري ضئيل لشريان الاقتصاد الصهيوني، وهو ما دفع بالباحث الصهيوني «شلومو جويتا» إلى القول في مقال تحليلي نشرته الصحافة العبرية بتاريخ 11 نيسان 2024م، إلى القول «أنه وحتى الآن، لا تظل قيادة الحوثيين ملتزمة بالحملة الحالية فحسب، بل تهدد أيضًا بتوسيع نطاقها ليشمل المحيط الهندي وحتى السفن التي تسلك طريق رأس الرجاء الصالح - وهي شجاعة لا تدعمها بالضرورة القدرات العملياتية».

يعلم العدو أن القدرات التي يمتلكها اليمن، وتؤكدها المصادر العسكرية في صنعاء، أصبحت على مستوى متقدم تخوّلها بلوغ مستوى أوسع من الهجمات، بتكنولوجيا متطورة من أسلحة بحرية استراتيجية تمكنها من ضرب أي هدف في البحرين الأحمر والعربي والمحيط الهندي، وتنفيذ عدة عمليات على أهداف عدة في وقت واحد.

ومن شأن توسيع العمليات اليمنية إلى المحيط الهندي أنّ يزيد الضغط على الاحتلال الصهيوني، والنظامين الأمريكي والبريطاني الذين عجزا عن حماية سفن الكيان والسفن التابعة لهما في البحر الأحمر وخليج عدن، فكيف هو الحال باتساع رقعة الاستهداف إلى المحيط الهندي، كما من شأنه أن ينقل المنطقة إلى مزيدٍ من التصعيد وإلى توسيع دائرة الحرب، في حال استمر العدوان على غزة.

كل هذه التطورات تدلّ على أنه لدى صنعاء الكثير من خيارات وأوراق القوة التي تستخدمها بوتيرة تصاعدية، تجعل من يدها هي العليا في المعركة البحرية المساندة لشعبنا الفلسطيني، ومع تأكيد السيد عبد الملك الحوثي بتوسيع العمليات اليمنية إلى أماكن لا يتوقّعها الأعداء، متوعداً بالقول» «نقول للأعداء إنّ القادم أعظم بكلّ ما تعنيه الكلمة.. ونترك المجال للفعل ثم نعقّب عليه بالقول»، فالباب مفتوحٌ على مصراعيه للمزيد من المفاجآت، ويُدرك ثلاثي الشر (الإسرائيلي والأميركي والبريطاني) أنّ تهديدات سماحة السيد هي حقائق يتم فرضها على أرض الواقع، وما شهدته الأشهر الماضية خيرُ دليلٍ على ذلك.

المرأة العربية
بين محاربة الاستعمار والصهيونية ومواجهة الجهل والعنف والتقاليد

تساءلت من أين أبدأ في نقاش تلك الاشكالية المطروحة أمامي، أو، بالأحرى، التي طرحتها على نفسي. أأدخل في الموضوع من باب اللغة والتعريف عن نفسي بصفة «نائب» أو «نائبة» أو بصفة «امرأة» جمعها - «نساء» - لا ينتمي إلى المؤنث السالم؟ أم أدخل من باب التناقض المدوّي بين الدور الذي تلعبه اليوم نساء غزة، وفلسطين عموما، ولبنان، وقبلهن الكثيرات على امتداد العالم العربي، في مواجهة عدوانية الاستعمار وعنف الاستيطان ومجازر الابادة، وبين الجهل والتقاليد وما نتج عنها من قوانين ترى في المرأة «عورة» وإنسانا ناقص الأهلية، فتلجأ إلى تهميش دورها الاجتماعي والوطني وتمنع عنها حق المشاركة الفعلية في صنع القرار؟

◄ ماري ناصيف-الدبس
المنسقة السابقة للقاء اليساري العربي
نائبة الأمين العام السابقة للحزب الشيوعي اللبناني

وأنا أفكّر في الأمر، مرّت في ذاكرتي كل الأسماء التي ساهم تاريخها المجيد في تكوين إنسانيتي وفي تحويلي من مجرّد امرأة صابرة على الظلم اللاحق بها إلى مناضلة تسعى إلى تغيير الصورة النمطية التي حشرت داخلها. أسماء تعد بالمئات، لا بل بالآلاف، لذا لن أتمكن من ذكرها في هذه العجالة. أسماء رسمت وترسم خارطة الوطن العربي من المحيط إلى الخليج وتنير لشعوبنا دروب النضال والتضحية على كافة المستويات، بدءا من هدى شعراوي، التي شاركت في ثورة 1919 في مصر، وكل المناضلات النسائيات المصريات، إلى شادية أبو غزالة ومعها كل المناضلات والمقاومات الفلسطينيات البطلات اللواتي تركن بصمة من نور في كل زاوية وعلى كل حبة تراب من فلسطين، إلى الشهيدة وردة بطرس ابراهيم ورفيقاتها في الحركة العمالية والنسائية اللبنانية، ومن ثم في المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الصهيوني للبنان، إلى المناضلات في سوريا والعراق والأردن واليمن، بل وكل الخليج. ولا ننسى بالطبع كنداكات السودان، ولا النساء الطليعيات في كل بلدان المغرب العربي اللواتي ساهمن في تحرير أوطانهن من نير الاستعمار الفرنسي، وعلى رأسهن جميلة بوحيرد وجميلة بوباشا ومليكة قايد...

والتناقض بين دور المرأة العربية وحقوقها كإنسان كامل الانسانية، الذي أشرنا له في هذه المقدمة، هو وليد التقاليد والأعراف وما راكمته على مر السنين من جهل، وعنف ذكوري، وتمييز على كافة المستويات، بدءا بالعائلة

والمجتمع ووصولا إلى القوانين والسياسة. وتجدر الاشارة إلى أن مواقف الأنظمة والحكومات العربية، كلها ودون استثناء يذكر، متطابقة من حيث رفض الاعتراف بحقها في المساواة مع شريكها في العائلة والعمل والنضال بمختلف مستوياته وتفرعاته. والأمثلة على ذلك كثيرة.

أهم تلك الأمثلة ما يتعلّق بالتحفظات الموحّدة التي وضعت على المادتين 9 و16 من «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة»، اللتين تنصان على المساواة بين المواطنين والمواطنات في اكتساب الجنسية أو إعطائها[1]، أو في كافة الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية[2]، وبالأخص الحقوق والمسؤوليات بوصف المرأة والرجل أبوين أثناء الزواج وعند فسخه. فالمساواة في الحقوق الشخصية مخيفة، على ما يبدو، للأنظمة العربية والقيّمين عليها، كونها تؤدي إلى تحوّل اقتصادي واجتماعي جذري سينعكس بدون شك على البنى التحتية، أولا، بما يعني اتباع المساواة في الإرث وتقاسم الثروة الاجتماعية، الأمر الذي يقود إلى التحرر الاقتصادي والاجتماعي وإلى إلغاء الارتهان المادي والعبودية اللتين تمارسان ضد النساء. أما الانعكاس الثاني للمساواة، على البنى الفوقية، فهو سيؤدي إلى تغيير في أشكال وأساليب تداول السلطة، وبالتالي في أنظمة الحكم نفسها. وفي كلتا الحالتين، ستكون النتيجة كسر قضبان السجن التي وضعت فيه لتساهم في بناء المجتمعات وتطويرها والمشاركة في صنع القرار على كافة المستويات، خاصة وأن مساهمتها في مجالات النضال التحرري، عمليا وفكريا وأيديولوجيا، لم تعد بحاجة إلى دليل أو برهان.

رب قائل إن الوقت الحالي لا يصلح لمثل هذا النقاش، في ظل توسّع ما يسمى مجازا «الحرب العالمية الثالثة» التي يشنها حلف الناتو باسم القوى الامبريالية وبقيادة الولايات المتحدة الأميركية من أوكرانيا إلى تايوان، مرورا ببلداننا العربية، وبفلسطين على وجه الخصوص. فالأولوية، اليوم، تكمن في مواجهة جريمة الابادة الجماعية الجديدة التي يرتكبها الصهاينة منذ سبعة أشهر، والتي أودت بحياة عشرات الآلاف من الفلسطينيات في غزة لوحدها[3]، عدا عن مئات الآلاف من اللواتي طالهن التهجير والجوع والعطش والمرض، وعن الجرائم التي تطال النساء والفتيات في الضفة الغربية المحتلة وفي المعتقلات الصهيونية. أما في السودان، فالنساء والفتيات يشكلن، منذ حوالي السنة، وقودا للصراع الجديد المستعر على السلطة، حيث الافقار والتهجير والسبي والخطف والاغتصاب والقتل طال أكثر من مليوني امرأة... وأما في اليمن، فالنساء والفتيات هن أكثر من عانى ويعاني من الحرب والحصار المستمرين... كل ذلك صحيح، لأن الانعكاسات السلبية الأساسية للحروب والنزاعات المسلحة غالبا ما تطال النساء في بلداننا. لذا لا بد من لفت النظر، أيضاً، إلى تلك الانعكاسات، ومنها بشكل خاص جرائم تزويج الطفلات القاصرات التي ازدادت في كل العالم العربي، في السنوات العشر الأخيرة، نتيجة للنزوح والتهجير القسري، إن في اليمن أم في سوريا والسودان ولبنان والعراق... كما لا بد من تسليط الضوء على المعاناة الناجمة عن تزايد العنف الأسري، والعنف الأسري القاتل... ولا ننسى جرائم الختان التي تتعرض لها العديد من الفتيات ابتداء من سن الثالثة عشرة، وحتى قبل ذلك، والتي، وإن انخفضت في بعض البلدان العربية، فهي لا تزال واسعة الانتشار[4]، على الرغم من اعتبار الختان جريمة عقوبتها السجن في بعض هذه البلدان.

لكل ذلك نقول إن الصراع بالنسبة لنا نحن النساء له ثلاثة أوجه تتكامل في ما بينها لتشكّل الحل. الوجه الأول، ويكمن في مستوى مساهمتنا في النضال الوطني التحرري من كل أشكال الاستعمار، الجديد منها والقديم، ومن الصهيونية ضمنا كونها تمثل الوجه الأكثر إجراما لهذا الاستعمار. أما الوجه الثاني، فيكمن في مستوى مساهمتنا في الصراع الطبقي الهادف إلى الخلاص من الأنظمة التابعة التي فرضتها الرأسمالية العالمية علينا، ومن أجل فرض التغيير الديمقراطي المستند إلى العدالة الاجتماعية داخل مجتمعاتنا. وأما الوجه الثالث، فيكمن في كيفية الانتهاء من العادات والتقاليد التي أسست لتهميش موقع المرأة ودورها عبر نضال أيديولوجي يعمل على تغيير المفاهيم الذكورية واستبدالها بمفاهيم إنسانية صحيحة مفادها المساواة بين الناس في الحقوق الأساسية التي أكدتها ثورة أكتوبر البروليتارية والتي صاغها ماركس كالتالي: «وفي الطور الأعلى من المجتمع الشيوعي، بعد إن يزول خضوع الأفراد المذل لتقسيم العمل ويزول معه التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي ؛ وحين يصبح العمل، لا وسيلة للعيش وحسب، بل الحاجة الأولى للحياة أيضاً ؛ وحين تتنامى القوى المنتجة مع تطور الأفراد في جميع النواحي، وحين تتدفق جميع ينابيع الثروة العامة بفيض وغزارة. حينذاك فقط، يصبح بالإمكان تجاوز الأفق الضيق للحق البرجوازي تجاوزاً تاماً، ويصبح بإمكان المجتمع إن يسجل على رايته: من كل حسب كفاءاته، ولكل حسب حاجاته»[5].

الحواشي:

1 المادة 9 :

1. تمنح الدول الأطراف المرأة حقوقا مساوية لحقوق الرجل في اكتساب جنسيتها أو تغييرها أو الاحتفاظ بها. وتضمن بوجه خاص ألا يترتب على الزواج من أجنبي، أو على تغيير الزوج لجنسيته أثناء الزواج، أن تتغير تلقائيا جنسية الزوجة، أو أن تصبح بلا جنسية، أو أن تفرض عليها جنسية الزوج.
2. تمنح الدول الأطراف المرأة حقا مساويا لحق الرجل فيما يتعلق بجنسية أطفالهما.

2 المادة 16:

1. تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات العائلية...

3 تشير الأرقام الموثقة خلال 6 أشهر من تاريخ بدء العدوان على غزة إلى استشهاد 9 آلاف امرأة؛ ومن الممكن أن تكون هذه الأرقام أقل من الواقع. هذا، وتفيد هيئة الأمم المتحدة للمرأة أن ما معدله 63 امرأة يقتلن كل يوم في غزة، من بينهن 37 أما، مما يترك أسرهن مدمرة وأطفالهن بلا حماية.

4 في مصر، مثلا، طالت 36,8 بالمئة من الفتيات ما بين 15 و17 سنة في العام 2021، بحسب إحصاءات المجلس القومي للمرأة. علما أن القانون يجرم مرتكبيها.

5 كتاب «نقد برنامج غوته» لماركس (1975).

تقرير

عن نتائج المواجهات بين حزب الله وحلفائه من جهة والصهاينة من جهة أخرى على الجبهتين اللبنانية والسورية

◄ إعداد: د. جمال واكيم
أستاذ في التاريخ والعلاقات الدولية ـ لبنان

منذ اندلاع عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023 بين المقاومة الفلسطينية من جهة والاحتلال الصهيوني من جهة أخرى، خرجت العديد من الأصوات تشكك بموقف حزب الله ومن خلفه سورية وإيران من هذه العملية وتتهمه بأنه لا يقدم دعما للمقاومة الفلسطينية، على الرغم من أن الحزب دخل في هذه الحرب كجبهة إسناد للمقاومة الفلسطينية في غزة منذ اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى، أي في 8 أكتوبر 2023 وبذل تضحيات جسام هو وفصائل لبنانية أخرى وفلسطينية، إضافة الى التضحيات التي بذلها السوريون والإيرانيون على هاتين الجبهتين. من هنا فلقد ارتأيت إعداد تقرير حول نتائج المواجهات على الجبهة اللبنانية والسورية، يوثق الخسائر التي تعرض لها العدو الصهيوني من جهة، والتضحيات التي تكبدها اللبنانيون والفلسطينيون والسوريون والايرانيون والعراقيون على هاتين الجبهتين. والجدير ذكره أن التقرير لا يتضمن العمليات التي قامت بها فصائل المقاومة العراقية ضد القواعد الأميركية وضد إسرائيل، كما لا يتضمن اسهام اليمنيين في معركة طوفان الأقصى.

سرد للمواجهات بين 8 أكتوبر و1 ابريل

في 8 أكتوبر 2023، أطلق حزب الله صواريخه على مواقع إسرائيلية في مزارع شبعا معلنا دخوله في المعركة الى جانب المقاومة الفلسطينية في غزة ضد الاحتلال الإسرائيلي في أكبر تصعيد للصراع بين حزب الله وإسرائيل منذ حرب لبنان عام 2006. وفي اليوم التالي، شنت إسرائيل سلسلة من الغارات الجوية على جنوب لبنان بالقرب من بلدات مروحين وعيتا الشعب وظهيرة في قضاء بنت جبيل. وجاء ذلك بعد أن تسلل عدد من المجاهدين الفلسطينيين إلى الجليل المحتل حيث سقط اثنان منهم بنيران قوات الاحتلال. وأعلن مصدر إعلامي في حزب الله أن أحد مجاهديه استشهد بنيران الاحتلال، فيما أعلنت حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية مسؤوليتها عن عملية التسلل. وأعلن حزب الله في وقت لاحق استشهاد مجاهدين اخرين فيما قتل جنديان إسرائيليان والمقدم عليم عبد الله، نائب قائد اللواء 300 في جيش الاحتلال الإسرائيلي، وجرح ثلاثة آخرون.

في 11 أكتوبر، أطلق حزب الله صواريخ مضادة للدبابات على موقع لجيش الاحتلال موقعا إصابات في صفوفه. وقصف الجيش الإسرائيلي المناطق المدنية اللبنانية ما أدى الى جرح ثلاثة مدنيين. وقد أمر جيش الاحتلال الإسرائيلي المستوطنين في الجليل المحتل بالنزول الى الملاجىء.

وقد أطلق الجيش الإسرائيلي نيران المدفعية على جنوب لبنان في أعقاب انفجار تسبب في أضرار طفيفة لجزء من الجدار الحدودي الإسرائيلي اللبناني بالقرب من كيبوتز هانيتا. ونشر الجيش الإسرائيلي لقطات لهجوم بطائرة بدون طيار أدى، حسب قوله، إلى استشهاد ثلاثة متسللين من لبنان بالقرب من مارجاليوت كانوا أعضاء في حماس وحزب الله. وبعد الظهر أطلق حزب الله 50 قذيفة هاون وستة صواريخ مضادة للدبابات باتجاه خمس مواقع اسرائيلية في مزارع شبعا. وقد أدى القصف الإسرائيلي بقذائف فوسفورية إلى استشهاد مدنيين اثنين في قرية شبعا.

في 15 أكتوبر، أطلق حزب الله خمسة صواريخ مضادة للدبابات باتجاه شمال إسرائيل مما أدى إلى مقتل مستوطن وإصابة ثلاثة آخرين في شتولا. كذلك قُتل الملازم أميتاي غرانوت، قائد الكتيبة 75 من لواء الجولان التابع للجيش الإسرائيلي وابن الحاخام تامير غرانوت، في هجوم صاروخي على موقع للجيش الإسرائيلي على الحدود مع لبنان. وبينما كانت مجموعة من صحفيي رويترز ووكالة فرانس برس والجزيرة تبث بثًا مباشرًا بالفيديو لموقع عسكري إسرائيلي في علما الشعب، أطلقت قذيفتان من الدبابات الإسرائيلية ما أدى الى استشهاد مصور وكالة رويترز عصام عبد الله وجرح صحفيي الجزيرة كارمن جوخدار وإيلي براخيا، بالإضافة إلى زميلهما في وكالة فرانس برس ديلان كولينز. كذلك أصيبت مصورة رويترز كريستينا عاصي بجروح خطيرة في انتهاك خطير للقانون الدولي.

في 16 أكتوبر، أفادت منظمة العفو الدولية أن الجيش الإسرائيلي أطلق قذائف الفسفور الأبيض على الديرة، مما أدى إلى جرح تسعة مدنيين إلى وإضرام النار في منشآت مدنية. وقد أفادت التقارير أن العديد من المدنيين اصيبوا بعوارض الاختناق بعد أن أطلق الجيش الإسرائيلي قذائف الفسفور الأبيض على القرية. في المقابل أصيب ثلاثة مستوطنين بعد سقوط صاروخ مضاد للدبابات أطلق من لبنان على بلدة المطلة المحتلة. وقال الجيش الإسرائيلي إنه قتل أربعة مجاهدين أثناء محاولتهم زرع قنابل على الجدار الحدودي. وأعلن حزب الله أن خمسة من أعضائه استشهدوا في ذلك اليوم.

في 19 أكتوبر، قال الجيش اللبناني إن مدنيا استشهد وأصيب آخر بعد أن

استهدفت إسرائيل مجموعة من سبعة صحفيين إيرانيين بالرشاشات. وفي وقت مبكر من بعد ظهر يوم 21 أكتوبر، أُطلقت عدة صواريخ من لبنان باتجاه مزارع شبعا. في هذا الوقت شن الجيش الإسرائيلي غارة بطائرة بدون طيار على فريق المجاهدين الذين أطلقوا الصواريخ من دون التمكن من تحقيق إصابات في صفوفهم. وبعد فترة قصيرة، تم إطلاق صواريخ موجهة مضادة للدبابات من لبنان باتجاه مستوطنتي مرغليوت وحنيتا ما أدى الى جرح مستوطنين. وفي المساء، تم إطلاق صاروخ موجه آخر مضاد للدبابات من لبنان باتجاه موقع برعم ما أدى الى جرح ثلاثة جنود صهاينة.

وفي 24 أكتوبر شن الجيش الإسرائيلي غارات جوية على موقعين عسكريين سوريين في جنوب غرب سوريا للمرة الأولى منذ بدء لعدوان الإسرائيلي على غزة. بالتوازي مع ذلك أعلن حزب الله أنه هاجم 19 موقعًا عسكريًا للجيش الإسرائيلي بالصواريخ وقذائف المدفعية وأطلق طائرات بدون طيار هجومية باتجاه واحد على موقع للجيش الإسرائيلي للمرة الأولى منذ بدء الصراع.

وفي خطابه الأول الذي طال انتظاره منذ بدء الحرب على غزة في 3 نوفمبر/تشرين الثاني، قال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله إن وجود السفن الحربية الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط لا يخيف الحزب. وفي 5 نوفمبر، أسقط حزب الله طائرة إسرائيلية بدون طيار من طراز إلبيت هيرميس 450 فوق النبطية، وسقط حطامها على المنازل في مدينتي زبدين وحاروف. كذلك قُتل مستوطن إسرائيلي عندما أصابت صواريخ مضادة للدبابات كيبوتس يفتاح. وفي اليوم نفسه جرح أربعة مسعفين لبنانيين عندما استهدف الجيش الصهيوني سيارتي اسعاف. وفي وقت لاحق، أصابت غارة جوية إسرائيلية سيارتين مدنيتين في لبنان تقلان أفراداً من نفس العائلة كانوا يقودون سياراتهم بين بلدتي عيناتا وعيترون، مما أدى إلى استشهاد امرأة وثلاث من حفيداتها تتراوح أعمارهن بين 10 و14 سنة، وإصابة ابنتها بجروح خطيرة. وردا على ذلك، أطلق حزب الله النار على كريات شمونة، مما أدى إلى مقتل مستوطن إسرائيلي.

وقد أعلنت كتائب القسام مسؤوليتها عن إطلاق 16 صاروخا من لبنان استهدفت مناطق جنوب حيفا. في غضون ذلك، أبلغت إسرائيل عن إطلاق ما لا يقل عن 30 صاروخًا من لبنان على المستوطنات الصهيونية في الجليل. كما شن حزب الله وكتائب القسام أربع هجمات عبر الحدود على الجليل المحتل. وقال نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم إن الحزب جهز لتوسيع دائرة الصراع مع العدو لإسناد المقاومة في غزة.

في 10 نوفمبر، أطلق حزب الله صواريخ مضادة للدبابات على موقع للجيش الإسرائيلي في المنارة مما أدى إلى إصابة ثلاثة جنود صهاينة. كما شن حزب الله ثلاث هجمات بطائرات بدون طيار على مواقع للجيش الإسرائيلي في الجليل المحتل وأعلن عن استشهاد سبعة من مجاهديه. وقد قصف جيش الدفاع الإسرائيلي مستشفى ميس الجبل، مما أدى إلى إصابة طبيب. وأدانت وزارة الصحة اللبنانية الهجوم، معتبرة أن «السلطات الإسرائيلية تتحمل المسؤولية الكاملة عن هذا العمل غير المبرر والذي كان سيؤدي إلى نتائج كارثية»، ودعت إلى إجراء تحقيق. وفي 11 نوفمبر أعلنت حركة أمل استشهاد احد مجهديها مقتل مقاتل في هجوم صاروخي على قرية رب الثلاثين أدى أيضًا إلى جرح اخرين.

في 12 نوفمبر، أدت هجمات حزب الله بالصواريخ المضادة للدبابات وقذائف الهاون إلى مقتل مستوطن اسرائيلي وجرح 21 آخرين من بينهم سبعة جنود صهاينة. كما أعلن حزب الله أنه ضرب جرافة اسرائيلية في هجوم منفصل. وقد شن الجيش الإسرائيلي غارة بطائرة بدون طيار على مجموعة من المجاهدين، فيما استشهد مجاهد من حزب لله في اشتباكات وقعت في منطقة أخرى. وفي أعقاب غارة شنها حزب الله في 13 نوفمبر، قام الجيش الإسرائيلي بقصف عنيف عبر جنوب لبنان مما أدى إلى استشهاد مدنيين اثنين. وأطلق مقاتلون مجهولون صواريخ موجهة مضادة للدبابات مما أدى إلى جرح مستوطنين اثنين بالقرب من نيتوعا.

في 16 نوفمبر، أطلق حزب الله ثمانية صواريخ مضادة للدبابات استهدفت القوات الإسرائيلية والبنية التحتية العسكرية. وفي فترة ما بعد الظهر، هاجم حزب الله العديد من المستوطنات القريبة من الحدود واستهدف تجمعات عسكرية في شتولا وحداب يارون. من جهته قصف الجيش الإسرائيلي بشدة في جنوب لبنان وأغارت الطائرات الحربية الإسرائيلية على أهداف تابعة لحزب الله. وأعلن حزب الله استشهاد اثنين من مجاهديه.

وبعد أربعة أيام، تعرضت قاعدة بيرانيت الاسرائيلية لأضرار جسيمة من قصف حزب الله باستخدام صواريخ بركان. واغارت طائرات مقاتلة صهيونية على العديد من المواقع العسكرية لحزب الله. وقد تعرضت كنيسة القديس جاورجيوس ذات الأهمية التاريخية لأضرار بالغة في يارون بعد أن قصفها الجيش الإسرائيلي. كما تعرض منزل النائب عن حركة أمل قبلان قبلان لقصف صاروخي. وفي 21 تشرين الثاني/نوفمبر، أدت غارة جوية للجيش الإسرائيلي في كفركلا إلى استشهاد امرأة مسنة وإصابة حفيدتها. وتم استهداف فريق آخر من الصحفيين في غارة شنها الجيش الدفاع الإسرائيلي بالقرب من طير حرفا، مما أسفر عن استشهاد ثلاثة مدنيين، هم صحفيان من قناة الميادين ودليلهما. وفي اليوم نفسه، استشهد أربعة من مجاهدي كتائب القسام بعد أن قصف الجيش الإسرائيلي سيارة بالقرب من الشعيتية. كما استشهد أحد أعضاء حزب الله في هجوم منفصل في الخيام.

بعد وقف إطلاق النار المؤقت بين إسرائيل وحماس في 24 نوفمبر، أوقف حزب الله عملياته العسكرية لفترة وجيزة. الا انه سرعان ما عاد الى عملياته ضد إسرائيل. ففي 1 ديسمبر، أعلن حزب الله مسؤوليته عن خمس هجمات على الحدود الإسرائيلية اللبنانية. وقصف الجيش الإسرائيلي مدينة حولا، مما أسفر عن استشهاد اثنين من المدنيين. كم قصف جيش الاحتلال قرية جبين، مما أسفر عن استشهاد مدني آخر. كما قصف الجيش الإسرائيلي موقعا لحزب الله وخلية تابعة لحزب الله كانت تستعد لتنفيذ هجوم بالقرب من المالكية. وأعلن حزب الله استشهاد أحد أعضائه في إحدى غارات الجيش الإسرائيلي. وفي اليوم التالي، أطلق حزب الله عدة صواريخ على مواقع للجيش الإسرائيلي على طول الحدود. وردت إسرائيل بغارات جوية وقصف مدفعي على مواقع حزب الله ما

أدى الى استشهاد أحد مجاهديه.

في 3 ديسمبر، أطلق حزب الله صاروخًا موجهًا مضادًا للدبابات استهدف قاعدة للجيش الإسرائيلي في بيت هليل، مما أدى إلى إصابة 11 مستوطنا، وأعلنت الشؤون العالمية الكندية أن مواطنًا كنديًا قُتل في لبنان. وفي 4 ديسمبر، أعلنت حركة حماس عن إنشاء وحدة جديدة في لبنان باسم «طلائع طوفان الأقصى» ودعت «شباب ورجال شعبنا إلى الانضمام إلى طلائع المقاومين والمشاركة في تشكيل المستقبل وتحرير القدس والمسجد الأقصى». وفي نفس اليوم استشهد جندي لبناني وأصيب ثلاثة آخرون في هجوم إسرائيلي على قاعدة للجيش اللبناني في العديسة. كذلك استشهد عامل مزرعة من سوريا، في هجوم مدفعي إسرائيلي على مزرعة دواجن بالقرب من أرنون، مما أدى أيضًا إلى جرح اثنين من أقاربه. في هذا التقى وزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالانت مع رؤساء البلديات ورؤساء المجالس المحلية في نهاريا شمال إسرائيل لمناقشة التهديد الذي يشكله حزب الله لسكان الشمال. وقال جالانت إنه إذا فشلت الدبلوماسية، فإن إسرائيل ستستخدم جيشها لإجبار حزب الله على الانسحاب الى شمال نهر الليطاني.

وفي 11 ديسمبر/كانون الأول، استشهد رئيس بلدية قرية الطيبة في جنوب لبنان في غارة جوية إسرائيلية. كذلك استشهد مجاهدان آخران من حزب الله في غارات جوية وقصف مدفعي إسرائيلي في عيترون، وأصيب ثلاثة مدنيين. ونفذت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي غارات جوية أخرى، مما أدى إلى تدمير خمسة منازل وإلحاق أضرار بـ 17 منزلا آخر. وقد اعترضت منظومة القبة الحديدية أربع دفعات من الصواريخ أطلقت من لبنان باتجاه الجليل المحتل، فيما أعلنت المقاومة الإسلامية أنها هاجمت عدة مواقع إسرائيلية. وذكرت وسائل إعلام إسرائيلية أن ثلاثة جنود جرحوا. وقد هاجم حزب الله وحلفاءه تسع مستوطنات ومواقع عسكرية إسرائيلية.

في 15 ديسمبر أعلن الحزب السوري القومي الاجتماعي في لبنان استشهاد أحد أعضاء جناحه العسكري، نسور الزوبعة. وفي 16 ديسمبر، قُتل جندي اسرائيلي من الكتيبة 129 وجرح جنديان اخران في غارة جوية بطائرة بدون طيار تابعة لحزب الله بالقرب من مارجاليوت، مما تسبب أيضًا في نشوب حريق في أحد المباني. وفي وقت لاحق، ضرب سلاح الجو الإسرائيلي عدة أهداف لحزب الله داخل لبنان، بما في ذلك مواقع إطلاق الصواريخ والبنية التحتية العسكرية. وأعلن حزب الله استشهاد أحد أعضائه.

في 22 ديسمبر، قُتل جنديان اسرائيليان من اللواء 188 مدرع جراء هجوم صاروخي لحزب الله في منطقة شتولا. وفي صباح يوم 23 ديسمبر، قصفت الطائرات الصهيونية منزلاً في كفار كلا، كما وقع إطلاق نار مدفعي مكثف على مشارف دير ميماس. وشن الجيش الإسرائيلي غارة بالقرب من مركز قوة الأمم المتحدة على طول نهر الخردلي. وأصيب مصور قناة المنار بجروح في عينه بعد هجوم للجيش الصهيوني على طريق في منطقة الخردلي فيما أعلن حزب الله عن استشهاد اثنين من مجاهديه. وفي 24 ديسمبر، استشهد الجنرال في الحرس الثوري الإيراني رضي موسوي في غارة جوية إسرائيلية على دمشق. في 26 ديسمبر، أصاب صاروخ مضاد للدبابات تابع لحزب الله مستوطنة إسرائيلية ما أدى الى جرح تسعة جنود صهاينة بالإضافة إلى مستوطن. في 30 ديسمبر/كانون الأول، استهدفت الغارات الجوية الإسرائيلية شحنة أسلحة إيرانية في مدينة البوكمال الحدودية السورية، مما أسفر عن استشهاد 25 من رجال المقاومة العراقية.

في 2 يناير، شنت إسرائيل غارة جوية على حي الضاحية في بيروت، مما أدى إلى استشهاد صالح العاروري، نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إضافة إلى استشهاد ستة أعضاء آخرين. ردا على ذلك، وفي 6 يناير، أطلق حزب الله ما يقرب من 40 صاروخًا على الجليل المحتل مستهدفا قاعدة جوية استراتيجية بالقرب من جبل ميرون، مما ألحق بها أضرارًا كبيرة. وفي 8 يناير، اغتالت إسرائيل وسام الطويل، نائب قائد قوة الرضوان التابعة لحزب الله، والذي اتهمته بتنفيذ الهجوم على قاعدة ميرون الجوية قبل يومين. رداً على استشهاد الطويل، شن حزب الله هجوماً بطائرة بدون طيار على مقر القيادة الشمالية الإسرائيلية في صفد في اليوم التالي، والذي يقع على بعد حوالي 20 كيلومتراً من الحدود. وفي 11 يناير، استشهد اثنان من أفراد البحث والإنقاذ المرتبطين بحزب الله وأصيب عدد غير محدد من المدنيين خلال غارة جوية إسرائيلية على بلدة حنين. وقال الجيش الإسرائيلي إنه قتل أربعة مسلحين تسللوا إلى الحدود الإسرائيلية عبر شبعا بينما كانت وحدة تابعة للجيش الإسرائيلي تقوم بدورية في مكان قريب في 14 يناير، وأصيب خمسة جنود اسرائيليون بجروح. من جيش الدفاع الإسرائيلي. وأعلنت «كتائب المجد الإسلامي» مسؤوليتها عن الهجوم، وأعلنت استشهاد 3 من أعضائها وتمكن اثنين من الفرار. وفي اليوم نفسه، قتل مستوطنان بصواريخ حزب الله المضادة للدبابات في كفار يوفال.

في 20 يناير، استشهد العميد صادق عميد زاده، ضابط المخابرات في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني في سورية، إلى جانب أربعة ضباط آخرين في الحرس الثوري الإيراني، في غارة جوية إسرائيلية في دمشق. وأدت الغارة أيضا الى استشهاد سبعة سوريين. وفي اليوم التالي، نجا فادي سليمان، وهو قائد ميداني كبير في حزب الله، من محاولة اغتيال إسرائيلية بالقرب من نقطة تفتيش عسكرية في كفرا، فيما استشهد حارسه الشخصي. وفي الفترة ما بين 3 و5 فبراير استشهد خمسة من مجاهدي حركة أمل في غارات جوية على البليدة وبيت ليف. وفي 10 فبراير، ضربت طائرة إسرائيلية بدون طيار سيارة بالقرب من صيدا، مما أدى إلى استشهاد مدنين وإصابة اثنين آخرين. وقال مصدر أمني إسرائيلي إن هدف الغارة هو المسؤول في حماس باسل صالح الذي أصيب «بجروح غير معروفة». وكان صالح مسؤولاً عن تجنيد مجندي حماس الجدد في غزة والضفة الغربية. وفي 12 فبراير، وقعت محاولة اغتيال أخرى استهدفت المسؤول في حزب الله محمد عبد الرسول علوية في سيارته في بنت جبيل.

في 14 فبراير، في أكثر أيام القتال دموية، أُطلق وابل من 11 صاروخًا من لبنان على صفد وقاعدة عسكرية في شمال إسرائيل، مما أسفر عن مقتل جندي إسرائيلي وإصابة ثمانية آخرين. وقامت إسرائيل بغارات جوية واسعة النطاق ضد أهداف قالت إنها تابعة للبنية التحتية لحزب الله في جبل البريج وكفر ونة وكفر دونين وعدشيت والسوانة، مما أسفر عن استشهاد

عشرة مدنيين. وفي النبطية، أدى هجوم على مبنى سكني إلى استشهاد سبعة أفراد من عائلة واحدة، بينهم طفل. وأدى هجوم آخر في بلدة الصوانة إلى استشهاد امرأة وطفليها. وقد اعلن حزب الله عن استشهاد سبعة من مجاهديه.

في 21 فبراير، أدت غارة جوية إسرائيلية على منطقة سكنية في دمشق بالقرب من مجمع محصن تستخدمه قوات الأمن السورية إلى استشهاد مدنيين اثنين. وفي اليوم نفسه، أدت غارة جوية إسرائيلية على قرية مجدل زون إلى استشهاد أم وطفلها. بالإضافة إلى ذلك، قصفت القوات الإسرائيلية موقع مراقبة لحزب الله في رامية وقصفت منطقة قريبة من عيترون بالمدفعية «. وفي وقت لاحق، هاجمت الطائرات الإسرائيلية موقع مراقبة في الخيام، وموقعًا عسكريًا في زبقين ومنشآت أخرى تابعة لحزب الله. وفي 22 فبراير، ضربت طائرة إسرائيلية بدون طيار مبنى سكنياً في كفر رمان، مما أسفر عن استشهاد اثنين من مجاهدي حزب الله وإصابة ثلاثة آخرين. وفي اليوم التالي، أدت غارة إسرائيلية على عيادة تابعة لحزب الله في بيلدا إلى استشهاد اثنين من المسعفين المدنيين ومجاهد من حزب الله وجرح عدد من المدنيين.

في 24 فبراير، انطلقت صفارات الإنذار في عرب العرامشة وحنيتا ومزارع شبعا وكريات شمونة في الجليل ومرتفعات الجولان المحتلين بسبب إطلاق الصواريخ. وكان الجيش الإسرائيلي قصف عدة مواقع في مناطق رب الثلاثين وعيتا الشاب والبليدة. وفي وقت لاحق، اغارت طائرة إسرائيلية بدون طيار على خلية تابعة لحزب الله تدخل مجمعا عسكريا في جنوب لبنان من دون إيقاع إصابات في صفوفهم. وفي 26 فبراير، بعد أن أسقط حزب الله طائرة بدون طيار اسرائيلية من طراز هيرميس 450 بصاروخ أرض جو، شنت إسرائيل هجماتها الأولى على شرق لبنان واستهدفت مواقع الدفاع الجوي لحزب الله ما أدى لى استشهاد مجاهدين للحزب. ردا على ذلك أعلن حزب الله إنه أطلق 60 صاروخ كاتيوشا على مقر للجيش الإسرائيلي ردا على الهجوم.

في 4 مارس، أدى هجوم صاروخي مضاد للدبابات لحزب الله على مارجاليوت إلى إصابة مقتل مستوطن وجرح سبعة اخرين. وفي اليوم التالي، أدت غارة جوية إسرائيلية على الحولة، إلى استشهاد رجل وزوجته وابنهما وثلاثة اخرين. وفي 9 مارس، ستشهد ثلاثة مجاهدين لحزب لله ومدنيين اثنين وجرح تسعة اخرون في غارة شنها الجيش الإسرائيلي على منزل في خربة سلم. رداً على الهجوم أطلق حزب الله 37 صاروخ كاتيوشا على بلدة ميرون في الجليل المحتل. وفي 12 مارس، أدت الغارات الجوية الإسرائيلية على بلدة النبي شيث في وادي البقاع إلى استشهاد مجاهدين من حزب الله وجرح ستة مدنيين. وفي 13 مارس، أدت غارة جوية إسرائيلية على طريق بالقرب من مخيم الرشيدية للاجئين الفلسطينيين في لبنان إلى استشهاد مدنيين وجرح اثنين اخرين من بينهم قائد قوات حماس في لبنان هادي علي مصطفى. وبعد أسبوع، تم تسليم مراهقين سوريين (عمرهما 17 و16 عاماً) إلى السلطات اللبنانية بتهمة التجسس لصالح إسرائيل. وأفيد أنهما اعترفا بأنهما حصلا على ما يعادل 11 دولارًا لكل منهما من امام مسجد محلي لزرع جهاز تتبع في سيارة مصطفى دون علمهما وقد تم القبض على الشيخ الجاسوس.

في 27 مارس، أدت غارة جوية إسرائيلية على مركز للمسعفين تابع للجماعة الإسلامية في الهبارية إلى استشهاد سبعة منهم. رداً على العدوان، أطلق حزب الله حوالي ثلاثين صاروخاً باتجاه الجليل المحتل، مما أسفر عن مقتل مستوطن في كريات شمونة وإصابة آخر بجروح طفيفة. وبعد غروب الشمس، تم الإبلاغ عن غارات جوية إسرائيلية في طير حرفا والناقورة، مما أسفر عن استشهاد تسعة مدنيين من بينهم مسعفون من الجمعية الصحية الإسلامية وجمعية كشافة الرسالة الإسلامية التابعة لحركة أمل. كذلك استشهد قائد محلي لحركة أمل، إلى جانب اثنين من مجاهدي حزب الله. وفي 29 مارس، أدت غارة جوية إسرائيلية استهدفت مطار حلب الدولي إلى استشهاد 38 جنديًا سوريًا و7 من مجاهدي حزب الله و7 من رجال المقاومة العراقية، في أعنف ضربة إسرائيلية على سوريا في السنوات الثلاث الماضية. وشنت إسرائيل غارة جوية أخرى في البازورية بلبنان أدت الى استشهاد نائب قائد وحدة في حزب الله. وفي 30 مارس، أفادت وكالة رويترز أن غارة إسرائيلية أدت إلى إصابة ثلاثة مراقبين للأمم المتحدة ومترجم كانوا يراقبون الأعمال العدائية على طول الخط الأزرق.

وفي 1 أبريل، أدت غارة جوية إسرائيلية استهدفت مبنى ملحق بالقنصلية الإيرانية بجوار السفارة الإيرانية في دمشق بسوريا إلى استشهاد ثمانية أشخاص، من بينهم قائد كبير في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني هو العميد محمد رضا زاهدي، وخمسة أعضاء في الحرس الثوري الإسلامي واثنين من المستشارين الإيرانيين إضافة الى عدد من الموظفين السوريين.

الاضرار الاقتصادية

بنتيجة المواجهات مع قوات الاحتلال تعطلت تجارة الزيتون في جنوب لبنان، وهي مصدر الدخل الرئيسي للكثيرين، حيث أوقف المزارعون محصولهم خوفا من القصف الاسرائيلي. ووفقاً لوزير الزراعة عباس الحاج حسن، فقد احترقت 40 ألف شجرة زيتون بسبب الحرائق الناجمة عن قصف الجيش الإسرائيلي. إضافة الى ذلك، أفيد عن أن 790 هكتارًا من الأراضي الزراعية تضررت ونفق 340 ألف رأس من الماشية. وتوقع صندوق النقد أن الناتج المحلي الإجمالي للبنان قد ينخفض بنسبة واحد في المئة بحلول نهاية العام وبنسبة 30 في المئة في عام 2024 في حال تواصلت الحرب.

وقد تم استهداف العديد من البلدات في جنوب لبنان بشكل أكبر من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي، مما أدى إلى نزوح السكان. وأفاد مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية أن 90 ألف لبناني نزحوا من منازلهم. وفي 5 فبراير، قال وزير الخارجية عبد الله بو حبيب إن حوالي 100,000 شخص نزحوا من جنوب لبنان. اعتبارًا من 21 فبراير 2024، أعلنت وزارة الصحة العامة اللبنانية عن إصابة 914 شخصًا. اعتبارًا من 21 مارس 2024، وفقًا لمكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، استشهد 54 مدنيًا لبنانيًا، من بينهم 31 امرأة وطفلًا وثلاثة صحفيين وسبعة من عمال الإنقاذ. واستشهد نحو 200 مجاهد غالبيتهم من حزب الله.

«رأس الحكمة» .. وجبل الجليد

د. أحمد الخميسي
قاص وكاتب صحفي ـ مصر

لم تعد صفقة «رأس الحكمة» التي وقعتها مصر والإمارات في 23 فبراير 2024 خبراً جديداً، لكنها تظل واقعة بحاجة إلى نظرة متفحصة، والذهاب إلى أعمق من سطحها الظاهر، لأن تلك الصفقة في واقع الأمر هي الجزء الأعلى من جبل أوضاع اقتصادية وسياسية يختفي تحت السطح.

الإعلان عن الصفقة جاء بصفتها عقداً لتطوير وتنمية مدينة رأس الحكمة باستثمارات تقدر بنحو مئة وخمسين مليار دولار يحصل الصندوق السيادي الإماراتي بموجبها على حق تطوير 170 مليون متر مربع تمتد على نحو 50 كيلومترا من أفضل شواطئ الساحل الشمالي المصري، وتحصل مصر على 35 % من إجمالي أرباح المشروع، منها أحد عشر مليار إسقاط ديون. وقد لاحظ المراقبون الغموض الذي أحاط بتفاصيل الصفقة منذ الاعلان عنها، والاكتفاء بالحديث عن خطوطها العامة، بل ومازالت الأسئلة المثيرة للقلق معلقة في الفراغ : على أي أساس سيتم تسعير الأرض؟ ما هي الطرق التي سيحصل بها المستثمرون الإماراتيون على خمسة وستين بالمئة من عائدات المشروع، كيفية تعويض القبائل التي تسكن تلك المنطقة؟ وعلاوة على كل ذلك فإن الحكومة لم تعلن أي خطة بشأن انفاقها الدفعة الأولى التي ستتسلمها والتي تبلغ 15 مليار دولار. ومن اللافت للنظر أن اتفاقية كبرى كهذه لم تعرض على البرلمان لإقرارها. أخيرا، وربما أولا، يبقى مجهولا مصير الأراضي الشاسعة التي سيقوم عليها المشروع وما إن كانت ستؤول إلي الشركة الاماراتية؟ أم أن هناك عقد انتفاع بالأراضي لمدة محددة؟. وتصبح المخاوف على أرض الوطن مشروعة تماما إذا علمنا أن الصفقة تمت في ظل تعديل اللائحة التنفيذية للقانون رقم 14 لسنة 2012 بقرار آخر رقم 215 في 2017 يسمح بتمليك العرب والأجانب الأراضي المصرية، هذا في الوقت الذي أقرت فيه حكومة الإمارات في 30 يناير 2021 تعديلات على قوانين التجنس لديها تسمح بحصول الأجانب على الجنسية الإماراتية، كان من نتيجتها أن حصل خمسة آلاف اسرائيلي على الجنسية الإماراتية مع احتفاظهم بجنسية الكيان الصهيوني. وعلى ضوء السماح المصري بتمليك الأجانب أراض مصرية، وعلى ضوء تجنس الاسرائيليين بالجنسية الاماراتية، يقفز السؤال واضحا: هل تصبح قطعة ضخمة من أرض الوطن ملكا لمستثمرين اسرائيليين يتخفون وراء جوازات سفر عربية؟ جدير بالذكر أن صحيفة «هآرتس» العبرية أشارت بهذا الصدد في فبراير 2021، إلى أنّ النظام الحاكم في الإمارات استهدف الإسرائيليين تحديدا بتعديله قوانين الجنسية، وأوضحت «هآرتس» أن الحصول على جنسية الإمارات «فرصة للإسرائيليين ليس فقط للعمل في أبو ظبي، بل وللحصول على جنسية ستمكّنهم من زيارة دول محظور عليهم زيارتها». وفي ظل التساؤلات العديدة التي تحيط بالصفقة الغامضة، وشروطها، فإننا نجد أنفسنا في واقع الأمر أمام ليس رأس الحكمة بل رأس التغلغل الصهيوني في أهم مواقع الأمن القومي، بعد تغلغله في الاقتصاد، ذلك أن رأس الحكمة تقع على بعد 70 كيلومترا فقط عن موقع القاعدة البحرية الضخمة لمصر في شرق مرسى مطروح، و80 كيلومترا غرب محطة الضبعة النووية، ومن ثم ستضع دولة الكيان يدها على قطعة غالية من أرض الوطن من دون قتال بفضل أو بسبب دور الإمارات وكيلا متقدما لدولة الكيان، تربطه بها علاقات تجارية وسياسية واقتصادية وثيقة، بلغت حد قيام الإمارات بإنشاء خط بري لتصدير السلع إلى الكيان من ميناء دبي عبر السعودية والأردن. وتأتي صفقة رأس الحكمة في سياق سياسة مصرية سمحت بخصخصة الموانئ والمطارات وقطاع الاتصالات وكلها مرافق تمس الأمن القومي المصري مباشرة، كما يدور الحديث حاليًا عن صفقة مماثلة لدولة خليجية أخرى في منطقة رأس جميلة في شرم الشيخ.

ويشير على القماش في كتابه « الكتاب الأسود في قطاع الأعمال وبيعه إلى الصهاينة « إلى أن التغلغل الصهيوني في الاقتصاد المصري وركائز الأمن القومي بدأ مع سياسة الخصخصة عهد رئيس الوزراء عاطف عبيد الذي ترأس الحكومة من 1999 حتى 2004، وأن مسئولا مصريا كبيرا في البورصة صرح لصحيفة « معاريف» بأن الصهاينة يستطيعون:» الاستثمار في أسهم الشركات المصرية، وانه لا توجد بهذا الشأن أي معوقات أو تعليمات تمنع ذلك». وفي ذلك الاطار تم بيع الفنادق الكبرى والشركات السياحية والقصور التاريخية والحدائق وهدم مؤسسات بالعمد للاستفادة ببيع أرضها وجرت أكبر عملية تصفية لمؤسسات القطاع العام وصولا إلى 30 مايو 2021 حين تمت تصفية أكبر مصنع للحديد والصلب في الشرق الأوسط في 30 مايو 2021، وهو المصنع الذي تم انشاؤه عام 1954 وساهم في تسليح الجيش وبناء الجسم الرئيسي للسد العالي، كما بلغ عدد المصانع التي أغلقت في مصر في السنوات الأخيرة بمختلف الذرائع نحو أحد عشر ألف مصنعا، كان آخرها مصنع أبو قرقاص لإنتاج السكر في يناير هذا العام ، وعمره يزيد عن مئة وخمسين عاما. وقد لا يتسع المجال هنا لتسجيل كل المصانع والشركات القومية الكبرى التي أغلقت بالعمد، وأعلن عن إفلاسها بالعمد، مما أدى إلى تدمير الصناعة الوطنية. وبالرغم من سياسة « بع كل ما يمكن بيعه» فإن الدين الخارجي على مصر بلغ 164 مليار ونصف مليار جنيه، أما فوائد وأقساط الديون وحدها فتبلغ حتى سبتمبر 2024 واحدا وخمسين مليار دولار!

وعلاوة على آثار السياسة الاقتصادية التي مكنت التغلغل الصهيوني حتى رأس الحكمة، فإن مصر تعيش للمرة الأولى

في تاريخها في ظل خطر وجودي يمس نهر النيل شريان حياتها، وذلك بعد توقيع اتفاقية الخرطوم الخاصة بسد النهضة في 23 مارس 2015 التي غيرت جذريا الوضع القانوني لنهر النيل من نهر دولي تتشارك فيه أكثر من دولة، إلى نهر عابر للحدود، بما يمنح أثيوبيا الحق في بناء أي سدود عليه بمفردها. ويتضح من كل ذلك مدى صدق العبارة التي قالها كيسنجر من أن مصر لا بد أن تظل « طافية على السطح مثل سفنجة كبيرة، لكن بلا وزن»، وحجر الزاوية في ذلك التدهور المتسارع هو اتفاقية كامب ديفيد التي وقعها السادات مع مناحم بيجن في 17 سبتمبر 1978، والتي أطلقت يد الكيان ليعربد في المنطقة ويقوم بإبادة الشعب الفلسطيني في غزة، ويشن غاراته على سوريا، ولبنان، ويشارك في بناء سد النهضة، وتقسيم السودان، وتدمير ليبيا والعراق. وقد جاءت الاتفاقية السيئة الصيت نتيجة لخوف الطبقة المصرية الحاكمة من الكفاح ضد اسرائيل، لأنها تعلم أن قوة الشعب ستظهر في مجرى ذلك الكفاح ، وأن صوته سيعلو مطالبا بحقوقه في ثروات بلاده، بينما الأفضل لتلك الطبقات الحاكمة أن تعيش وكيلا للاستعمار تحظى بفتات ما يلقيه بدلا من خسارة كل شيء في فوران وضع شعبي ثوري، وهو خوف وصل بالطبقة الحاكمة إلى التنازل مجانا عن جزيرتي تيران وصنافير للسعودية شكلا، وللكيان الصهيوني فعلا. وهكذا فإن صفقة « رأس الحكمة « هي مجرد رأس جبل الجليد الذي يطفو على سطح الأوضاع الاقتصادية والسياسية المصرية العامة التي بلغت في ظلها الفروق في الدخول حدا خياليا، وبهذا الصدد نشرت جريدة الشروق المصرية في 10 مارس 2014 نقلا عن مجلة «فوربس» أن هناك ثمانية مصريين يملكون 156 مليار جنيه.. بينما تنفق 83% من الأسر المصرية أقل من ألفي جنيه شهريًا. ولا شك إن إضعاف مصر بهذه الصورة يمثل أقصى طموح لدولة الكيان وأهدافها، ذلك أن شعار اسرائيل « من النيل إلى الفرات» لا يعني أن تحتل اسرائيل تلك المناطق احتلالا مباشرا بل أن تخضعها سياسيا واقتصاديا لدوائر الاستعمار العالمي وفي مقدمتها أمريكا.

الغياب العربي عن صراع المشاريع في إقليم ملتهب

◄ رضي الموسوي
كاتب صحفي ـ البحرين

فجّر طوفان الأقصى منافسة محتدمة، هي قائمة أصلا، بين المشاريع التي يتم التخطيط لها في المنطقة العربية الغنية بثروات كبرى والمتمتعة بموقع جغرافي تسيل له لعاب المتنافسين للدرجة التي تقتضي تكشير الكيان الصهيوني عن أنيابه النازية للشروع في حرب إبادة جماعية وتطهير عرقي بحق الشعب الفلسطيني وخصوصا في قطاع غزة الذي تخوض فيه المقاومة الفلسطينية ملحمة لم يشهد التاريخ الحديث مثيلا لها، رغم اختلال موازين القوى بينها وهي الخاضعة لحصار شامل منذ سبعة عشر عاما، وبين العدو الصهيوني المدعوم من القوى الغربية العظمى وفي مقدمها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمانيا، حيث تقدم له الدعم اللامحدود وتشاركه في العدوان وتختبر أسلحة الدمار والفتك على أهل فلسطين في قطاع غزة. لم تكن غزة غائبة عن صراع المشاريع الإقليمية والدولية، بل ربما تكون هي في صلب هذا الصراع وعنوانه الأبرز، في الوقت الراهن على الأقل.

لقد كشفت الحرب الصهيونية على غزة نيات وأهداف القوى المتصارعة على المنطقة، وبدت خيوط اللعبة تتضح أكثر كلما زاد العدوان فاشية وتعطشا للدم، من جهة، وتعاظم صمود المقاومة وإصرارها على هزيمة المشروع الصهيوني، من جهة أخرى.

أمريكا المتورطة

لم تتردد الإدارة الأمريكية التي يقودها رئيس هرم، جو بايدن، المحشور في زمن الانتخابات الرئاسية القريبة، عن الإعلان منذ اليوم الأول لطوفان الاقصى عن تقديم كل الدعم اللامحدود للكيان الصهيوني وإعادة الثقة بنفسه إثر تلقيه صفعة السابع من أكتوبر التي أفقدته توازنه. فقد أعادت واشنطن ترتيب أولوياتها و«كوعت» قواتها للمنطقة العربية بعد انسحاب جزئي تنفيذا لقرار الأولوية لبحر الصين وخليج تايوان، حيث يشتغل التنين، الصيني بتأني، على حفر قبر «الامبريالية الهرمة»، وفق الزعيم الصيني ماوتسي تونغ صاحب نظرية العوالم الثلاث نهاية ستينات القرن الماضي في حقبة الحرب الباردة. وجدت الإدارة الأمريكية نفسها أمام مفصل الفراغ الذي سيتركه هزيمة القاعدة العسكرية الثابتة في الوطن العربي، الكيان الصهيوني، على أيدي ثلة من المقاتلين الحفاة الذين آمنوا بقضيتهم وتحصنوا بإرادة سقوها من دمائهم وصلّبوا عودها منذ كان جيفارا غزة (محمد محمود مصلح الأسود) يحكم غزة ليلا دون أن يجرأ الجُند على مواجهته حتى استشهاده المثير في 1973 وأجبر وزير الدفاع الصهيوني الأسبق موشي دايان على تقديم التحية لجثمانه كبطلٍ أرّق الاحتلال لعدة سنوات. سارع البنتاغون إلى إرسال حاملتي طائرات وغواصات ووضعت قواعدها العسكرية المنتشرة في البلدان العربية على أهبة الاستعداد القصوى وشغلت جسرا جويا لتقديم العتاد العسكري المتطور جدا وحركت ديبلوماسيتها بأقصى سرعة حتى فرضت المواقف التي يريدها الكيان.

كانت الإدارة الامريكية متورطة في نزاع مفصلي في بحر الصين الجنوبي، تحاول فرض هيمنتها هناك، تنفيذا لتحذيرات بايدن: «إن لم نسارع في التحرك فسيأكل الصينيون غذائنا»، وحماية لحلفائها في آسيا، حيث يراقب الكوري الشمالي الوضع هناك ويتلهى بتجارب جديدة من السلاح النووي والباليستي طويل الأمد. تتحرك واشنطن في المنطقة العربية كراعية للنظام الرسمي وحامية له من نوائب الثورات والتغيرات والعواصف المفاجئة التي تفرضها طبيعة التاريخ والتطور، فوجدت نفسها غارقة في نازية نتنياهو وفاشيته التي أسقطت الكثير من الأقنعة عن قيم الغرب

وأخلاقياته في حقوق الإنسان والديمقراطية وحقوق المرأة والطفل، إذ شاركت في سفك دماء أهل غزة بلا تردد ولا تحفظ. هذه الإدارة تجد نفسها وكأنها وقعت في فخ نزعة نتنياهو رئيس الوزراء الصهيوني للنفاذ بجلده مما ينتظره من محاكمة بتهم الفساد، فأراد تمديد العدوان إلى أقصى مداه حتى ترفع غزة الراية البيضاء، لكن مقاومتها فرضت معادلتها التي اذهلت العالم فقدمت القرابين لتحيا الأرض ولتستمر الحياة.

لم تجد إدارة بايدن ما يمكن الدفاع عنه، فانزلقت، كعادتها، في تسليح الصهاينة بكل العتاد، وقدمت آخر عطاياها لهم 26 مليار دولار، فوق ما قدمته من عشرات المليارات من دافعي الضرائب، لتجديد آلة القتل والتدمير واستمرار حمام الدم، في وقوع مريع بدائرة التيه الذي أصابها من تقدم التنين في الجبهات الأخرى بسلعه الرخيصة وابتكاراته المتصاعدة وغزوه لأسواق كانت حصرا على دول الغرب وحلفاؤها. فلم تفلح إدارة بايدن في تطويع الصين التي تسير بخطى بطيئة لكنها ثابتة لانتزاع زعامة الاقتصاد العالمي من واشنطن المشتتة بين أوكرانيا وبين مواجهة طلبة الجامعات الذين ينتصرون لغزة، فتاهت أحلامها بين الشرق الاوسط الذي كانت تعتزم تسليم قيادته للكيان الصهيوني والانسحاب منه والتوجه إلى آسيا. لكن، كانت غزة تقاوم مشروعا شيطانيا استثنائيا وتردد «لنعش منتصرين أو لنمت أمجادا».

تركيا الحائرة

عندما تسلم حزب العدالة والتنمية السلطة في تركيا عام 2002 بعد فوزه في الانتخابات التشريعية بأغلبية مطلقة وتمكنه من تشكيل حكومة بمفرده، تغيرت الأوضاع الداخلية وخصوصا الجانب الاقتصادي، فتراجع التضخم تدريجيا وبدأت العملة الوطنية (الليرة التركية) التعافي في سعر صرفها، وتمكن الحزب الحاكم من السيطرة على الفساد ومكافحته ما قاد إلى زيادة شعبيته وفوزه في الانتخابات البلدية والتشريعية اللاحقة، حيث وجد الأتراك ضالتهم في الحزب (الإسلامي) الذي جاء متعهدا بإنهاء عصر الطبقة الفاسدة التي حكمت تركيا لعقود طويلة. رفع الحزب شعار صفر مشاكل مع الجيران، ووضع خططا لزيادة التبادل التجاري مع الدول المجاورة ومضاعفتها مع سوريا والعراق وإيران ومصر والدول الأخرى مثل ليبيا التي قام نجم الدين اربكان زعيم الحزب الحاكم في التسعينات بأول زيارة للخارج لها، كما امتدت علاقاته إلى الدول الإسلامية البعيدة نسبيا مثل ماليزيا واندونيسيا. في سنوات قليلة تمكنت تركيا من زيادة الناتج المحلي الإجمالي وتقليص نسبة البطالة وتعزيز الدخل الفردي لمواطنيها، لكن العام 2011 كان فارقا، وبدلا من صفر مشاكل مع الجيران دخلت في مشاريع مبهمة ومشبوهة لتبدأ المشاكل مع سوريا والعراق وايران ومصر. كانت تركيا تحلم بعضوية الاتحاد الأوروبي الذي قرر أغلب أعضاءه رفض عضوية بلد إسلامي يضاهي عدد سكانه أكبر وأقوى دولة في الاتحاد وهي ألمانيا. وضعت العراقيل الكثيرة في وجه تركيا لمنعها من دخول النادي الأوروبي، حتى أيقنت أنقرة أن اللعب في الإقليم أجدى من الركض وراء سراب، خصوصا وأن الحزب الحاكم كان يحلم بإعادة إحياء الامبراطورية العثمانية التي قُبرت في عشرينيات القرن الماضي على أيدي كمال اتاتورك بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

في طوفان الأقصى، حاولت تركيا إعادة الوهج لمشروعها في قيادة المنطقة، وطرحت في البدء تصفير المشاكل ثم قدمت نفسها على أنه بالإمكان التوفيق بين المقاومة الفلسطينية التي تدافع عن وجودها ووجود شعب فلسطين، وبين الكيان الذي ينفذ مشروع التطهير العرقي وتطبيق قانون الدولة القومية العنصري الذي يفضي إلى التهجير. لم تفلح أنقرة في ذلك، فوجدت نفسها في حيرة بين خيار سعيها لزعامة المنطقة، وبين مصالحها الاقتصادية والعسكرية الاستراتيجية مع الكيان الصهيوني. طرحت نفسها في البداية كوسيط، لكن حجم الدم المتدفق في غزة فرض عليها إعلان مواقف أغضبت الكيان وواشنطن. فلم يكن تصريح الرئيس اردوغان الذي اتهم الكيان: «إسرائيل ليست سوى بيدق في المنطقة سيتم التضحية به عندما يحين الوقت (..) وإن نتنياهو كتب اسمه في التاريخ بصفته جزار غزة».

عطل طوفان الأقصى التفاهم الصهيوني التركي على مد أنبوب الغاز من الكيان إلى تركيا فأوروبا، لكنه لم ينه مشروع تركيا الذي تحلم به منذ عقود والقاضي بتأسيس قوة اقليمية عظمى في منطقة ملتهبة.

إيران المتوثبة

بعد إلغاء انسحاب أمريكا في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب من الاتفاق النووي بين إيران والدول (٥+١) زاد منسوب التوتر بين الجانبين، وسعت إدارة ترامب لتقوية حضورها في المنطقة العربية بحكم الأمر الواقع ووجهت إهانات للعديد من زعاماتها، لكن محور المقاومة امتلك يدا ضاربة، بينما تمكنت طهران من فرض معادلات جديدة على الجميع، وأعلنت دعمها للمقاومة التي تواجه النفوذ الأمريكي في المنطقة وتحارب العدو الصهيوني، حتى جاء طوفان الأقصى ليفرض معادلاته الجديدة على الجميع. تعتبر إيران نفسها قوة إقليمية كبرى في منطقة تزخر بمصادر الطاقة، النفط والغاز، شريان الحياة للدول الصناعية الكبرى، وهي تدرك أهمية موقعها الجيوسياسي في الخليج العربي الذي تنتج دوله قرابة 18 مليون برميل يوميا يصدر أغلبها لأوروبا واسيا، فضلا عن الغاز. وبعد تعثر الاتفاق النووي وزيادة التهديدات الصهيونية والأمريكية، تُراجع اليوم طهران عقيدتها النووية وتعيد النظر في الفتوى الشرعية بتحريم انتاج السلاح النووي.

إيران حددت موقعها من الصراع مع الكيان الصهيوني واعتبرته عدوا رئيسيا، فدعمت المقاومة اللبنانية والفلسطينية وأوجعت واشنطن وقواعدها العسكرية في المنطقة ودفعت أثمانا غالية في سبيل تشكيل محور المقاومة. طهران لها مشروع واضح وتسعى لتجسيده على أرض الواقع.

غياب المشروع العربي

ليس هناك مشروعا عربيا يمكن القياس عليه. أغلب الدول العربية إما وقفت متفرجة أو تواطئت مع العدوان الصهيوني، فيما انبرت بعضها للعب دور الوساطة وكأن فلسطين لا تعنيها. فالدول العربية لا تمتلك مشروعا استراتيجيا أصلا، فبقت تلعب دور التابع للدول الكبرى، وزادت عندما انخرط بعضها في نادي التطبيع مع العدو على حساب القضية المركزية. الدول العربية المحورية تعاني من معضلات جوهرية تتعلق بالوحدة الداخلية والفشل في التنمية والغرق في الديون الخارجية ومواجهة أوضاع اقتصادية واجتماعية جمة. وهذه معطيات تعطل أي دور فاعل يمكن القيام به تجاه فلسطين ومواجهة حرب الإبادة في غزة، فكيف إذا كان النظام الرسمي العربي وجامعته مرتهنة قراراته للدوائر الغربية بقيادة الولايات المتحدة بذريعة أنها تمتلك كل أوراق اللعبة في المنطقة!!

غياب المشروع العربي وتخلي النظام الرسمي عن القضية الفلسطينية قاد إلى دخول الآخرين على الخط وطرح مشاريعها والدفاع عنها، بما فيها الكيان الصهيوني الذي طرح مشروع الشرق الاوسط الجديد منذ ثلاثة عقود ويسعى إلى تجسيده على الواقع. لكن المشروع المقابل له يحقق تقدما ملحوظاً ويتمثل في محور المقاومة الذي تجلت قدرته على تشكيل جبهات إسناد لغزة ومقاومتها، وهو المشروع الوحيد الذي يعول عليه في مسألة التحرير والنهوض العربي. وهذا مشروع يراهن عليه.

الأطماع الأمريكية في غزة وأبعادها السياسية

مسعود أحمد
صحفي وكاتب سياسي من عمان

لاشك بان ما بعد 7 أكتوبر 2023 ليس كما قبله، بينما بأي اتجاه ما زالت معالمة غير واضحة، إلا ان الأمر الذي لا خلاف عليه بان القضية الفلسطينية دخلت منعطفاً تاريخياً، وإذا كانت الخطوط العريضة للأطماع الأمريكية الاستعمارية معروفة بشكل عام، فان تفاصيلها لم تتضح بما فيه الكفاية بعد، غير أن الإعلان الأمريكي عن إنشاء ميناء مؤقت في غزة قد كشف جزء من تلك الأطماع وأبعادها.

ويبدو بان الإدارة الأمريكية ترمي لما هو أبعد، جوهره ومضمونه تصفية المشروع الوطني الفلسطيني، إذ لا يمكن تصور ان تنشئ ميناء لمجرد تقديم خدمات إنسانية للشعب الفلسطيني، ولا يتصور كذلك ان تقدم على مثل هذه الخطوة دون هدف استراتيجي أبعد.. ورغم أن الأطماع الاقتصادية واردة، حيث تؤكد بعض الدراسات وجود كميات كبيرة من الثروات في بحر غزة وأنها وجدت الوقت والمدخل المناسبين للسيطرة عليها، وأن هذا الاحتمال يتطابق مع طبيعتها الامبريالية الكولونيالية، إلا أني أعتقد بان البعد السياسي يتخطى الأبعاد الأخرى في هذه المرحلة، وقد لا يفهم ذلك خارج موجبات المواجهة القائمة والمحتملة على الصعيد العالمي التي باتت تتطلب حشد إقليمي أوسع، ما زالت القضية الفلسطينية تحول دون تحقيقه بالشكل الذي تراه الولايات المتحدة الأمريكية مناسبا. وبما أن التحديات وسياقاتها تفرض نفسها فلا مناص من بعض التقاطعات مع المطالب الإقليمية والدولية الداعية لحل - كيفما كان - يطوي ملف القضية الفلسطينية نهائيا، وبما أن الحل المقبول وطنيا وقوميا مستبعد في هذه الفترة، فإن تهيئة الأرضية الوطنية التي تهبط بسقفه إلى أدنى مستوياته مهمة امبريالية صهيونية قائمة وإلى حدا ما تلتقي عليها أطراف إقليمية ولها امتداد داخلي، وأن نجاحها بحسب وجهة نظرهم مشروط بإحداث تغيير جذري في بنية المجتمع الفلسطيني المتمسك بحقوقه التاريخية وحقه المشروع في المقاومة حتى زوال الاحتلال، وأن التغيير المطلوب يترجم عمليا من خلال الوجود الأمريكي المباشر الذي يمثل الميناء المزمع إنشاء لبنته الأولى بحيث يتم تحويله بالتوافق مع إرادة المانحين إلى محطة لاستقبال جميع المساعدات الإقليمية والدولية - في حال تم حصر المواجهة في حدودها الراهنة والتوصل إلى هدنة طويلة نسبيا - ومن خلالها تسعى الإدارة الأميركية وشركاؤها لتحقيق هدفين رئيسين : الأول ضمان عدم وصول المساعدات لفصائل المقاومة وقاعدتها الشعبية من جانب وخلخلة التركيبة الداخلية للمجتمع الفلسطيني من جانب آخر؛ وذلك عبر حزمة من الاجراءات الاقتصادية والأمنية لجهة خلق شريحة اجتماعية تتغذى من تتدفق الأموال المتاحة وزجها في عملية إعادة الإعمار التي تتطلب مئات المليارات من الدولارات وعشرات السنين من العمل، على أن تضطلع التيارات اليمينية البرجوازية الكمبرادورية والتكنوقراطية ذات الميول الانحرافية والارتباطات المشبوهة بدورا محوريا، وبقدر ما تجني الشركات الكبرى أرباح خيالية بقدر ما توفر فرص هائلة لقطاعات اجتماعية واسعة مضغوطة بواقع معيشي قاس، بحيث تتوسع قاعدة المنتفعين وتفتح أمام شرائحهم المختلفة منافذ لتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وبما يترتب عليه من أنماط سلوكية وثقافية تتنافى مع خيار المقاومة والصمود الوطني بل وتصطدم معه مع المدى الزمني الطويل، ولعل بوادر هذا المخطط يكمن في الترويج لدور الزعامات التقليدية وما يرافقها من توليد فئة اجتماعية يتم توظيفها على قاعدة خلق مرجعية اجتماعية بديلة عن منظمة التحرير وفصائل الثورة وضرب نفوذهم الوطني وربط تلك الشرائح الطفيلية بشبكة من التحالفات والروابط التنظيمية التي تمكنها من ممارسة دور اجتماعي فعال، وقد تتحول لاحقا إلى إطار سياسي يحتل موقع متقدم في الخارطة السياسية، ومعروفا علميا بان تغير البني التحتية الاقتصادية والاجتماعية يعكس نفسه على البنى الفوقية الفكرية والسياسية وبالتأكيد فان مثل هذه السيناريوهات تحظى بدعم الرجعية العربية المطبعة والمتخاذلة، وقد يكون هذا المخطط تطويرا وتحديثا لتجربة روابط القرى المعروفة، وإذا كانت الساحة الفلسطينية تاريخيا قد استطاعت إجهاض تلك الظاهرة ومحاصرة آثارها فإن ذلك يرجع وقتها لتوفر عوامل ذاتية وموضوعية مختلفة، منها تمسك منظمة التحرير بالميثاق وبالبرنامج السياسي والحد الأدنى من التضامن العربي ووجود المعسكر الاشتراكي المساند السياسي والمعنوي، بالإضافة لسبب آخر مهم، وهو بعد تلك الظاهرة عن التدخلات العربية الرجعية الضارة، كل هذه العوامل لم تعد كما كانت عليه سابقاً، غير أن نجاحه مرتبط بأفق سياسي معين، وربما يتم تنشيط عملية السلام بإشراك أطراف دولية تضفي عليها صفة الجدية كما يرغب أكثر من طرف، بيد أن النتيجة يراد لها أن تفضي إلى شكل حكم إداري ذاتي تحت مسمى دولة تضمن القوى الإقليمية والدولية حمايتها مع ضمان شطب الحقوق التاريخية في العودة والدولة المستقلة الكاملة السيادة وتثبيت حل دائم في ظل ظرف ذاتي فلسطيني انقسامي منهك، وحالة عربية مستسلمة ومتواطئة، هذا التوجه قد اختبر في العديد من الأقطار العربية وقد أفرز الواقع القائم حاليا. بينما الهدف الثاني: يتمثل في تفريغ غزة من سكانها، وهذا الاحتمال غير مستبعد تماما بحيث يعطى الكيان الصهيوني الضوء الأخضر ببدء عملية قصف جوي واجتياح بري من الاتجاه المعاكس ودفع المواطنين بتجاه البحر حيث تستقبلهم البواخر ومنها إلى الأماكن المعد لهم. ولا أعرف كل هذا القلق والحساسية حيال الموانئ إذ كلما تذكر سيرتهم تتدفق إلى الذهن رواية الشهيد غسان كنفاني «عائد الى حيفا» وذلك المشهد الرهيب الذي تتدافع فيه الجموع العزل إلى الميناء هربا من بطش العصابات الصهيونية الإرهابية ومنهم من ترك أبنائه بحثا عن أقاربه وسط الأفواج البشرية المتلاطمة، ولم يدر بخلده بأنه بمجرد أن تطأ قدميه عتبة منزله سيترتب عليه منفى قسري يمتد ل 67 سنة، وبقدر ما تحاكي الرواية واقعا حقيقيا بقدر ما تضيء أفقا استشرافيا، وبصرف النظر عن إمكانية تحقيق هذه المخطط من عدمه، إلا أن الذين يملكون التجربة المريرة لا يمكنهم أن يطمئنوا. وأظن تلك هي الأطماع السياسية الأمريكية في غزة التي تتعدى الجوانب الإنسانية والاقتصادية. وبعد هذه الجولة في أهدافها وغاياتها.. يبقى السؤال القديم الجديد ما العمل فلسطينيا وعربيا لدفن أطماعها وأوهامها في غزة بحرا وبرا؟

الانتخابات المحلية في تركيا رئاسة بلديات أم بداية تغيير؟

حسن الطهراوي - إعلامي وكاتب سياسي فلسطيني/تركيا

هي المرة الأولى التي يتذوق فيها حزب العدالة والتنمية الحاكم فى تركيا طعم الهزيمة منذ تأسيسه فى العام 2001 وتربعه على السلطة فى البلاد فى أول انتخابات دخلها الحزب في العام 2002 وفاز فيها وظل يقود البلاد حتى يومنا هذا.

الانتخابات المحلية التي جرت في تركيا في 31 آذار/ مارس الماضي أظهرت نتائجها فوزا تاريخيا لحزب الشعب الجمهوري المعارض وضعته في موقع الحزب الأكبر فى تركيا متقدما على حزب العدالة والتنمية الحاكم بفارق يزيد عن نقطتين وأهلته للفوز برئاسة معظم المدن الرئيسية والمهمة فى تركيا وفى مقدمتها إسطنبول وأنقرة وإزمير وبورصة وحصل الحزب على نسبة 37.8 في المئة من أصوات الناخبين.

وفى نفس الوقت أظهرت نتائج الانتخابات هزيمة كبيرة للرئيس رجب طيب أردوغان وحزبه العدالة والتنمية الحاكم حيث خسر الحزب رئاسة الكثير من البلديات فى المدن وحصل الحزب فى عموم تركيا على نسبة 35.5 في المئة من الأصوات.

ويبدو أن أهم الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج المفاجأة للجميع داخل وخارج تركيا هي الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمر بها تركيا والارتفاع الكبير في نسبة التضخم وغلاء الأسعار وتراجع قيمة الليرة التركية أمام العملات الأجنبية وانعكاس هذا الوضع بشكل مباشر وسلبي على حياة المواطن وعدم قناعته بالوعود والخطط الاقتصادية التي تحدثت عنها حكومة اردوغان وعبر المواطنون عن اعتراضهم على الوضع الاقتصادي بالتصويت لصالح حزب الشعب الجمهوري أكبر أحزاب المعارضة في تركيا وإظهار البطاقة الصفراء التحذيرية للرئيس رجب طيب أردوغان وحزبه الحاكم .

العدوان الصهيوني على غزة كان حاضرا وبقوة فى الحملات الانتخابية للأحزاب السياسية وعلى الرغم من الخطاب السياسي والسقف العالى للانتقادات التى كان يتحدث به الرئيس اردوغان تجاه الكيان الصهيوني ورئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو إلا أن أحزاب المعارضة التركية أثارت موضوع العلاقات التجارية بين تركيا وإسرائيل التى ظلت متواصلة بنفس الوتيرة التى كانت عليها قبل العدوان الصهيوني على غزة واعتبرت المعارضة التركية التجارة مع اسرائيل جريمة لا تغتفر والأموال التى تعود منها مغمسة بدماء أطفال ونساء وشيوخ غزة.

وفى الأشهر التي سبقت الانتخابات كشفت بعض وسائل الإعلام والأحزاب السياسية بالأدلة والوثائق عن حركة سفن لم تنقطع تنقل الوقود والخضروات والحديد والإسمنت من موانئ تركيا إلى الكيان الصهيوني.

المؤكد أن التجارة مع اسرائيل قد أثرت على نتيجة الانتخابات وتراجع شعبية حزب العدالة والتنمية فعدد كبير من أنصار ومؤيدى الحزب لم يتوجهوا إلى صناديق الاقتراع احتجاجا على سياسة الحزب سواء الاقتصادية أو تلك المتعلقة بموقف تركيا من العدوان على غزة.

الحكومة التركية وفى محاولة للتخفيف من الاحتجاج والانتقادات وبعد أيام من الانتخابات المحلية أصدرت قرارا بفرض قيود على تصدير بعض المنتجات إلى الكيان الصهيوني ويشمل القرار 54منتجا منها وقود الطائرات والإسمنت والحديد والفولاذ لكن هذا القرار لم يلب مطالب حركة مقاطعة إسرائيل فى تركيا ومؤسسات شبيهه تنشط فى شوارع وميادين وجامعات تركيا تطالب بقطع العلاقات بشكل كامل مع دولة الاحتلال.

نتائج الانتخابات هل هي بداية تغيير؟

لا يمكن النظر إلى الانتخابات المحلية بأنها فقط منافسة على رئاسة بلدية فى هذه المدينة أو ذاك فعلى الرغم من أهمية ذلك إلا أن نتائج هذه الانتخابات تعكس مزاجا جماهيريا وتحمل رسائل واضحة يقدمها الناخب عبر صندوق الاقتراع للحزب الحاكم أولا ولأحزاب المعارضة ثانياً.

حزب الشعب الجمهوري المعارض ذو التوجه العلماني قرأ نتائج الانتخابات بأنها بداية للتغيير فى تركيا وتفويضاً منح له من قبل الناخبين لإعداد طواقمه وبرامجه استعدادا لتسلم السلطة فى البلاد فى الانتخابات الرئاسية والبرلمانية القادمة فى حال جرت فى موعدها المقرر في عام 2028 أو ذهبت تركيا إلى انتخابات مبكرة وهو أمر متوقع بحسب رأى الكثير من السياسيين والمتابعين.

وبالنظر إلى تاريخ الانتخابات فى تركيا يمكن القول إن الحزب الذي يحقق فوزا كبيرا فى الانتخابات المحلية يحقق لاحقا فوزا مهما فى الانتخابات البرلمانية وخير مثال على ذلك الفوز الذي حققه حزب الرفاه الإسلامي نهاية التسعينيات، وحينها نجح رجب طيب أردوغان بالفوز برئاسة بلدية اسطنبول وبعدها نجح اردوغان بالفوز فى الانتخابات البرلمانية ووصل إلى السلطة في تركيا.

وفى مشهد مشابه لتجربة اردوغان السياسية أظهرت هذه الانتخابات ظهور أسماء شابة تقدمت المشهد السياسي أهم هذه الأسماء هو رئيس بلدية اسطنبول المنتخب للمرة الثانية أكرم إمام أوغلو الذي ينظر إليه في تركيا بأنه أقوى المنافسين المحتملين للرئيس اردوغان في أي انتخابات قادمة.

الرأي العام العالمي وغزة ... هل تغيّر فعلاً؟

جعفر خضور ـ كاتب سياسي سوري

مثّلت أحداث طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ هزة قوية في أوساط الكيان الصهيوني، ليس فقط في الآلة العسكرية بل في الآلة الدعائية الإعلامية هذه الأخيرة التي تعد من الأدوات الرئيسة للسياسة الخارجية «الإسرائيلية» والتي تعمل بدورها على إدماج «إسرائيل» في نسيج المنطقة العام، خاصةً بعد صفقات «التطبيع» والشراكات الأمنية التي تدخل في الرصيد الاستراتيجي لمشروع بسط هيمنة الصهيونية ونفوذها، هذا الدور الذي يعمل على اجتذاب الرأي العام لإعادة بناء واقع جديد يكوّن الصورة الذهنية لـ«إسرائيل» في العقل العربي، من خلال احتكار الرواية الإعلامية حول القضية الفلسطينية وتشويهها، في ظل غياب سردية عربية لم ترقَ لأهمية وفاعلية القضية الفلسطينية.

يبدو هذا الكلام مهماً، لكن تغييراً طرأ بعد طوفان الأقصى، شوهدت تفصيلاته من خلال التحول في الرأي العام العالمي الغربي على وجه الخصوص، لدى الفئة الشابة، بعدما فُضحت المجازر الصهيونية بحق أهالي قطاع غزة وممارسة التطهير العرقي والإبادة الجماعية التي غدَت كالسيل الجارف الذي يقتلع كل ما في وجهه. وهنا يبرز سؤال بحثي ضروري، ما الذي أدى لهذا التحول، وهل من نتائجه تحصيل دعم دوليّ حقيقي للقضية، وما المؤشرات التي يمكن الاستناد إليها لفهم حالة التحوّل ومعرفة إذا ما كان تغيّراً انفعاليّاً إنسانياً يسهم في فرض واقعٍ سياسيّ جديد؟

بدايةً، دأب المستوى الأمني والسياسي للعدو في حرب الإبادة على غزة -وبتكرار- على ذكر أن هجوم المقاومة لم يسبقه أي استفزاز «إسرائيلي» أو أي عمل عدائي تُجاه غزة، وذلك يستهدف تكريس فكرة أن المقاومة هي المفتلعة للحدث، وبالتالي يجب أن توجّه الإدانة لها. لكن سرعان ما تبدد ذلك بعد أن لاحظ المجتمع الغربي تجاوز «إسرائيل» تعاملها مع حجم الحدث من خلال حربها الانتقامية الشرسة، والتي تفلّتت من كل الضوابط الشرعيّة والقانونيّة. هذه الضوابط التي يشرعنها الأميركي لصالح العدو ضمن ما سمَّه بـ«دفاع إسرائيل عن نفسها»، وذلك لإظهار أنها المعتدى عليها، والتمهيد لتأمين وتوفير غطاءٍ دوليّ يبرر لها حربها الإجرامية.

تاريخياً، عملت الصهيونية على استغلال الأحداث الكبرى لتثبيت دعائم مشروعها التوسّعيّ، ففي بداية ثمانينات القرن التاسع عشر بدأت الهجرة الجماعية للمستوطنين اليهود إلى فلسطين، وعُرِفت الموجة الأولى ١٨٨٢ لـ ١٩٠٣ باسم «أحبَّاء صهيون» التي انطلقت بين يهود روسيا وانتشرت في دول أوروبا

الشرقية، ويعتبر تاريخ ١٨٨٢ نقطة تحوّل في تاريخها، حيث اندلعت فيه موجة الاضطرابات إثر اغتيال القيصر الليبرالي «الكسندر الثاني» على يد أحد القوميين الروس في آذار/١٨٨١ وأدى لنشوء أعمال عنف ضد اليهود الروسية لاتهامهم بالمشاركة في الاغتيال في ظل ظروف اقتصادية - اجتماعية صعبة كانت تعاني منها روسيا، وهذه الأحداث حفّزت النزعة الصهيونية لدى يهود روسيا ودفعتهم للهجرة والاستيطان في فلسطين كما دفعتهم للولايات المتحدة الأميركية. لذا، كان العامل الخارجي - الاضطهاد الروسي - الأكثر فعلاً في حركة نشوء «أحبّاء صهيون» التي تطلّعت لإنشاء مركز قومي يهودي في فلسطين عبر الاستيطان، إذ وجد بعض المثقفين الفرصة المواتية للتحرك ضد فكرة الاندماج، -أي اندماج اليهود مع غيرهم من الشعوب- التي نادى بها «دوفنوف».

أدت وسائل الإعلام دوراً فعالاً في الرأي العام العالمي، وبشكل أساسي إعلام المقاومة الذي وثّق مشهدية توغل آلة الحرب الصهيونية بكل أنواعها وأشكالها بين الأبنية السكنية، إضافةً للمجازر المرتكبة بحق الأطفال والنساء، وتدمير البنى التحتية ولا سيما المستشفيات كالشفاء والمعمداني، وما تجدر الإشارة إليه، أن رواية العدو سقطت أيضاً، عندما حاول تصدير وحشية حربه على أنها ضد المقاومة، ولكن المحصلة كانت أن وقع في تيه كذبه.. طالما أنها ضد المقاومة فلماذا تُقصف المشافي والمدارس والجوامع والمساكن؟

حققت المشهدية التي قدّمها الإعلام المقاوم بأداء متطور بعداً إنسانياً ألهب عواطف كل من وصلته. وهنا مربَطُ الفرس، حيث يبدو وبعمق، أنّ التغيّر في الرّأي جاء في خلفية التفاعل العاطفي مع المشهدية المذكورة، والتي أظهرت الوحشية الإسرائيلية وأسقطت سرديتها التي تشيطن الفلسطيني والمقاومة، في الآن ذاته، يظهر أنه من غير الواضح أن التغيّر أو التحوّل يمكن له أن يحقق قفزةً في الاعتراف بأحقية القضية الفلسطينية عالمياً؛ لأن جلّ ما حققه هذا التعاطف -برأيي- اعترافاً بالمظلومية، لا بالأحقية التي يمكن للرأي بمفهومه الواسع أن يؤمن بها. حيث أنه وبالرغم من أهمية السابقات الدولية كـ رفع دعوى من جنوب إفريقيا لـ محكمة العدل الدّوليّة، فقرار المحكمة يطلب من الكيان الصهيوني منع القتل، ومنع التسبّب بضرر جسدي أو نفسي خطير للفلسطينيين، من دون أن يطلب وقف العمليات العسكرية في القطاع المحاصر.

وصدور قرار من مجلس الأمن «بوقف النار» وهو ما انبأ حينها بأن تأخذ المعركة بعداً سياسيّاً في وقتٍ لاحق، استمرت «إسرائيل» في حرب الإبادة بل وذهبت فيها لأبعد الحدود؛ لتهجير أهالي القطاع، وتأليب البيئة الحاضنة للمقاومة عليها، والدفع لانتزاع ولو رأي واحد معارض لفكرة المقاومة واسترداد الحق، إضافةً لتوسيع رقعة الاعتداءات في ضوء تعدد جبهات المواجهة.

ترتكز أخلاقية الرأسمالية على الحرب باعتبارها فكرة ضرورية في دول الجنوب، حتى تحافظ على حياة الفئة الرأسمالية في الشمال، وهي استهلاكية هدرية تقوم على هدر الإنسان والبيئة، ولا ينفصم ما يجري في غزة عن هذه «الأخلاقية». وربطاً بما سبق، لا يمكن لهذا التحول في الرأي -وإن كان تطوراً لافتاً- أن يحدث تغييراً ما لم تنقلب الموازين السياسية، لا سيما في ظل انتعاش وصعود القوى الآسيوية وتعدد وتشابك تحالفاتها.

تلعب أربعة عوامل أساسية في عودة القضية الفلسطينية للواجهة، وهي من تجعل ظروف العالم في فم تغيير ينبئ بولادة على موت، وهي:

-أولاً: خلخلة السردية الإسرائيلية وتعريتها، بعد فضح جرائمها وخرقها المتكرر للقانون الدولي والمواثيق الأممية.

-ثانياً: العالم يتمتع بتعددية الروايات بسبب القوى الموجودة اليوم كروسيا والصين وإيران.

-ثالثاً: الرأي العالمي بحسب تصريحات وسائل إعلام العدو يتغير لصالح الفلسطينيين.

-رابعاً: بعد عمليات اليمن البحرية والرد الإيراني الأخيرة برز أيضاً للواجهة وبشكل كبير التأييد لحركات المقاومة وايران لدفاعها عن فلسطين.

بعض الإحصائيات في ضوء الرأي العام العالمي - الغربي:

أشار تقرير لمعهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي The Institute for National Security Studies (INSS) إلى أن عدد المظاهرات المؤيدة لـ"إسرائيل" والفلسطينيين في العالم خلال الفترة 2023/10/27-7 هو على النحو التالي:

أ. في الولايات المتحدة: جرت 182 مظاهرة مؤيدة لـ"إسرائيل" مقابل 402 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين ومعارضة لـ"إسرائيل".

ب. عدد المظاهرات المؤيدة لـ"إسرائيل" في كل العالم خلال الفترة نفسها هي 359 مظاهرة، مقابل 3,482 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين.

ج. تشير دراسة أخرى إلى أن عدد المظاهرات خلال الفترة نفسها كان 3,761 مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين مقابل 529 مؤيدة لـ"إسرائيل"، أي أن التاييد هو نحو 86% لصالح الفلسطينيين[1].

أظهر استطلاع للرأي العام الأمريكي فيما بعد السابع من أكتوبر، حدوث انقسام سياسي؛ حيث أشار إلى وجود تعاطف مؤيد للفلسطينيين بين الديمقراطيين، فنحو 25 في المئة فقط ممن صوتوا للرئيس جو بايدن، يُعتبرون مؤيدين لإسرائيل، وهو ما لا يزيد كثيراً عن نسبة 20 في المئة التي تدعم الفلسطينيِّين. وعلى النقيض من ذلك، فإن 76% من ناخبي دونالد ترامب، مؤيدون لإسرائيل، ويتَّضح من هذا التحوُّل، أن بايدن يواجه الآن صدعًا مفاجئًا داخل حزبه بشأن الشرق الأوسط، بينما يتَّجه إلى حملة إعادة انتخاب صعبة، على الأرجح ضد الرئيس السابق ترامب، وبالتالي فان واقع الحال، هو أن بايدن سيواجه صعوبة في تحقيق الفوز في ولايات مثل ميتشجن وأوهايو وبنسلفانيا[2].

[1] https://palinfo.com/865637/04/12/news/2023/

[2] المصدر ذاته.

الإرهاب في روسيا العائدة قطباً دولياً

◄ محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

يوم 2024/3/22 تم الإبلاغ عن إطلاق نار مكثف جماعي وانفجارات متعددة في قاعة "كروكوس سيتي الموسيقية» في كراسنو غورسك، وهي مدينة روسية تقع على الطرف الغربي للعاصمة موسكو..

اشترك في الهجوم خمسة مسلحين فتحوا نيران رشاشاتهم على حشد من الجمهور في القاعة، مما أسفر عن مقتل قرابة 139 مدنياً وجرح أكثر من 142 آخرين، حيث يعتبر الهجوم الأكثر دموية في روسيا، منذ أزمة رهائن مدرسة بيسلان عام 2004، والهجوم الأكثر همجية على موسكو منذ تفجيرات الشقق السكنية عام 1999.

قبل أسبوعين من موعد الهجوم حذّرت سفارتا واشنطن ولندن من «خطط متطرفة» تستهدف تجمعات سكانية كبيرة في المدن الروسية، وفي 2024/3/19، وصف الرئيس الروسي بوتين التحذيرات الغربية بأنها «ابتزاز صريح"..

يوم 2024/3/23 صرّح المتحدث باسم الكرملين بأن جهاز الأمن الاتحاد الروسي أبلغ الرئيس بوتين «باعتقال 11 إرهابياً في أعقاب الهجوم» وأن أربعة منهم مشتبه بهم، وهم ضالعون بالهجوم على نحو مباشر.. وأضافت أجهزة الأمن الروسية أن المشتبه بهم كانت لديهم «جهات اتصال» في أوكرانيا إلى حيث كانوا يعتزمون اللجوء، بينما نفت أوكرانيا أي علاقة لها بالحادث « واصفة الواقعة بـ «العمل الإرهابي»!

لماذا يعود الإرهاب الآن؟

يأتي الهجوم الإرهابي على كركوس سيتي الموسيقية عقب جملة من الإنجازات الروسية في مقدمها الانتصار في الحرب على أوكرانيا والغرب وإعادة نوفو روسيا بالكامل إلى حضن الوطن الأم – مصطلح روسي يشمل جنوب وشرق أوكرانيا من خاركيف إلى أوديسا مروراً ببلوغانسك ودونتيسك وزابوروجيا وخيرسون والقرم – ولن يغفل الهجوم الإرهابي الأخير دور روسيا كقوة محافظة في العالم تهتم بالقيم الأسرية ورفض الإباحية والانحلال في المجتمعات الغربية، وإعادة بناء «عالم متعدد الأقطاب» وحشد "الشرق والجنوب العالمي" في وجه الغرب الرأسمالي المتوحش والسافل، من وجهة نظر الكرملين!

حمل الرئيس بوتين معه منذ صعوده للحكم في نهاية عام 1999 سمات ونهج الأمناء العامّين للحزب الشيوعي السوفييتي السابق، بالرغم من نقده المتكرر لمؤسس الدولة الشيوعية فلاديمير لينين في أكثر من مناسبة، وإشاراته في كثير من الخطابات والمقالات إلى أن «روسيا كانت الخاسر الأكبر من انهيار الاتحاد السوفييتي»! فضابط الاستخبارات السابق بوتين الذي اضطر للعودة إلى بلاده من ألمانيا في نهاية الثمانينات من القرن الماضي قبل انهيار المنظومة الاشتراكية، قال في نيسان 2005 إن «انهيار الاتحاد السوفييتي أكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين»، وأضاف «من لا يندم على انهيار الاتحاد السوفييتي ليس له قلب، ومن يريد إعادته إلى شكله السابق ليس لديه عقل كافي».. من المؤكد أن بوتين لا يريد أن يذكره التاريخ ضمن صفحات القادة السوفييت، لكن تعامله مع معارضيه يعيد التذكير بسنوات «النهج الستاليني» في ثلاثينيات القرن الماضي!.. ومع هبوط الدخل القومي من صادرات النفط والغاز مؤخراً باتت روسيا أشبه بسنوات «الجمود في مرحلة ليونيد بريجنيف" في سبعينات ومطلع ثمانينات القرن الماضي.. وبدا واضحاً أن الرئيس بوتين بدأ العمل منذ ولايته الثانية 2004 على إعادة مشاريع التكامل مع بلدان الاتحاد السوفييتي السابق، لكن على أسس جديدة مختلفة.

في غمرة التغطية الإعلامية لذكرى انهيار الاتحاد السوفييتي، قال بوتين في فيلم «روسيا التاريخ الحديث» الوثائقي الذي عرض على قناة روسيا اليوم في نهاية 2021، إن «انهيار الاتحاد السوفييتي كان مأساة، وانهياراً لروسيا التاريخية»، وذكر بوتين حينها أن الدولة خسرت 40% من أراضيها وطاقاتها الانتاجية وعدد سكانها، إضافة إلى "ما راكمته على مدى ألف عام» وخلص إلى القول: "لقد أصبحنا دولة مختلفة تماماً، وما تراكم على مدى ألف عام قد تبدد إلى حد كبير»!..

مما يؤكد توجهات قيادة الكريملن باعتمادها على وسائل وأدوات جديدة واستحضار " المجد الروسي " والشعارات الدينية، والأهم استعادة الأراضي التي حررتها جيوش بطرس الأكبر وكاترين الثانية وخسرتها روسيا نتيجة انهيار الاتحاد السوفييتي نهاية عام 1991، وبدأ نهج الكريملن واضحاً منذ حرب جورجيا عام 2008، ولاحقاً استعادة شبه جزيرة القرم عام 2014، وأخيراً حرب الغرب وأوكرانيا على روسيا عام 2022!.

كل ذلك يدفع الولايات المتحدة والغرب عموماً إلى التوجس والتخوّف من عودة روسيا إلى الساحة الدولية قطباً محورياً مقرراً على صعيد السياسة الدولية، خاصة في ضوء تحالفها مع الصين الشعبية الصاعدة كقوة اقتصادية وسياسية عالمية!.

أوكرانيا والغرب والحرب:

يبدو أن الانتصار في أوكرانيا يمثل هدفاً مركزياً لموسكو، ويمكن أن يكون رافعة تشبه ما حصل عام 1999 - رغم الفارق بين الحالتين – ففي نهاية العام، وعقب الاستقالة المفاجئة للرئيس يلتسين، تولى فلاديمير بوتين الحكم بالوكالة بصفته رئيساً للحكومة، وحينها أطلق «حرب الشيشان الثانية» عام 1999 واستطاع رفع رصيده الشعبي داخل مؤسسات الجيش والأمن، وحاز على ثقة الشعب الروسي المتعب من فوضى سنوات التسعينيات، ورسم الرئيس بوتين استراتيجيته لمرحلته الأولى 2000- 2004 انطلاقاً من المحافظة على وحدة الأراضي الروسية ومنع النزعات الانفصالية وفرض سلطة المركز على كامل البلاد .. وعلى عكس الانفتاح الخارجي في المرحلة الأولى، يبدو أن المرحلة الخامسة الراهنة ستشهد مزيداً من الصراعات مع الغرب.. ونتذكر أن ولاية بوتين الأولى تميزت بالانفتاح على الغرب، وفاجأ الرئيس الروسي بوتين الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في منتصف 2000 بعرضه «انضمام روسيا إلى حلف الشمال الأطلسي»، وبعد أحداث 2001/9/11 في الولايات المتحدة، دعم الكريملن الحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان، وعرضت موسكو المساعدة وفتح أجواء روسيا للولايات المتحدة.. وشدد بوتين حينها على خيار روسيا الأوروبي، وعرض بناء فضاء اقتصادي موحّد يبدأ «من لشبونة إلى فلاديفوستوك على المحيط الهادئ» وضمان حرية رأس المال فيه، وشكّلت الحرب على الأوليغارشيين وحيتان المال داخل روسيا بطاقة عبور للرئيس بوتين للولاية الثانية.. وخاض الكريملين معارك قاسية مع أصحاب المليارات الذين تحكّموا بمفاصل السلطة أثناء مرحلة سلفه يلتسين، فيما قرر معظمهم الهروب إلى إسرائيل وبريطانيا وكان السجن بانتظار آخرين!.

لقد حقق الاقتصاد الروسي نمواً بحدود 7% سنوياً بين عامي 2000 – 2008 ومع تدفّق الاستثمارات الغربية بمكونيها «المالي والتقني» إلى روسيا، تحسّنت مستويات المعيشة بشكل ملموس، وبدأت روسيا تسديد «ديون الاتحاد السوفييتي السابق إلى نادي باريس الاقتصادي» واستطاعت روسيا تشكيل «حزام أمان» بنحو 600 مليار دولار مكنها من التخفيف من التداعيات السلبية للأزمة الاقتصادية العالمية عام 2008 – 2009 وظل الرئيس بوتين وفريقه ممسكين بالسلطة فعلياً بين عامي 2008 – 2018 وفي تناوب للأدوار على الرئاسة بين بوتين ومدفيدف نائب رئيس مجلس الأمن الاتحادي الحالي، الذي مُرّر في عهده تمديد ولاية الرئاسة إلى ست سنوات بدلاً من أربع!..

بعد إعلان بوتين العودة إلى الرئاسة عام 2012 شهدت روسيا أكبر حملة احتجاجات حشدت لها المعارضة الليبرالية في ساحات موسكو وكبريات المدن الروسية، عقب اتهام السلطات بتزوير الانتخابات البرلمانية نهاية عام 2011، وفي ظل عدم وجود كاريزما منافسة قوية، وترويض المعارضة، تمكن بوتين من العودة إلى الكرملين بسهولة، لكن وسط عداء وحقد أمريكي - غربي هذه المرة، زاده استعادة شبه جزيرة القرم والتقدم الروسي في شرق أوكرانيا عام 2014.. وعلى خلفية «توافق القرم» وضعف المعارضة الليبرالية، حصل بوتين على 76% من أصوات الروس في انتخابات 2018 وبمشاركة وصلت إلى 67% وفي ظل غياب المنافس جاءت نتيجة انتخابات 2024 مضمونة بشكل مريح لصالح الرئيس بوتين.. وأفضل ما يمكن أن تراهن عليه المعارضة اليوم هو الإعداد لانتخابات 2030!..

تكمن المعضلة المزدوجة التي تواجه إدارة الكريملن في العام الحالي والمقبل هي طريقة إدارة الاقتصاد، فاستمرار الحرب يعني مواصلة تخصيص أكثر من 8% من الموازنة لنفقات الدفاع والأمن، حتى في حال الفوز بهذه الحرب من الصعب إعادة الاقتصاد إلى شكله السابق وتحقيق معدلات نمو مرتفعة لأسباب مختلفة، من ضمنها أن معظم النمو الحالي وتحسين دخل المواطنين جاء نتيجة زيادة إنتاج المؤسسة العسكرية والمصانع المتعاقدة معها لتأمين احتياجات الجيش بالدرجة الأولى، وزيادة المبالغ المخصصة لعائلات الجنود!..

لا يبدو أن حرب الغرب على روسيا ستأخذ إجازة بسبب اشتعال جبهة أخرى – في فلسطين- وهي غير مرشحة للانكفاء إلى الوراء قليلاً بسبب انشغال الغرب بالحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، خاصة الولايات المتحدة التي سخّرت جزءاً كبيراً من قوتها العسكرية لإسناد ربيبتها إسرائيل وزوّدتها بأسلحة وذكاء اصطناعي وذخائر نوعية، وأرسلت أكثر من ثلاثة آلاف جندي من الخبراء في التجسس والمعلومات والعمليات الخاصة!..

هذه الإجراءات دفعت الرئيس الأوكراني زيلينسكي للإعراب عن قلقه من أن تؤدي الحرب الدائرة في فلسطين إلى «حرف أنظار العالم» عن الأزمة الأوكرانية، وأعرب في مقابلة مع قنات فرانس 2 الفرنسية عن تخوّفه من «أن يتم حرف أنظار الاهتمام الغربي عن أوكرانيا» مشدداً على أنه «ستكون لذلك تداعيات كبرى».

في جميع الأحوال لم تعد الدول الغربية تتصرف بنفس السخاء، لأنها ستكون مضطرة لدعم إسرائيل خاصة الولايات المتحدة، فثمة معارضة قوية داخل الكونغرس من نواب الحزبين الجمهوري والديمقراطي، لمنح المزيد من المساعدات لكييف، ومن المفترض أن يتضح هذا الأمر قريباً عندما يناقش الكونغرس طلب بايدن بالموافقة على صرف نحو 106 مليار دولار تتضمن مساعدات عسكرية قدرها 46 مليار لأوكرانيا و60 مليار لإسرائيل!.

كيف تعرقل غزة الممر الهندي

◄ د. أدهم شقير ـ باحث في الشأن الاقتصادي ـ سورية

وصف بنيامين نتن ياهو رئيس وزراء العدو المشروع بأنه «أكبر مشروع تعاون في تاريخنا من شأنه أن يُغيّر وجه الشرق الأوسط وإسرائيل وأوروبا وسيؤثر في العالم أجمع»، وأكد أن مشروع الممر الجديد إنجاز تاريخي لـ"إسرائيل" وسيحولها إلى ملتقى مركزي للاقتصاد العالمي.

وصفه بايدن رئيس الولايات المتحدة بـ"صفقة حقيقية كبيرة ستغير من قواعد اللعبة» السعودية والإمارات احتفلت بالممر واعتقدوا أنه سيعظم من نفوذهما الجيوسياسي، ووصفه "خالد الفالح" وزير الاستثمار السعودي بأنه "يُعادل طريقي الحرير والتوابل".

في حين أن رئيس الوزراء الهندي اعتبر الممر الجديد بمثابة علامة تاريخية فارقة، ووسيلة لمواجهة مبادرة الحزام والطريق التي عارضتها الهند مرارًا وتكرّار، وأبدت خشيتها مما أسمته استراتيجية "عقد اللؤلؤ الصيني"، في إشارة إلى الموانئ التي بنتها الصين ضمن مبادرة الحزام والطريق من أجل تضييق الخناق على الهند في الجنوب.

إذ بعملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر تقلب الطاولة على الجميع وتقوّض كل تلك الآمال. يبدو أن النشوة كانت سابقة لأوانها، فوسط الإفراط في التوقعات والمبالغات، تسببت غزة في إيقاف مشروع الممر وتأجيل كل الاجتماعات، كما أصبح الرأي العام العربي ملتهبًا بسبب الحرب التي تشنها "إسرائيل" على غزة.

ولذا شعر بايدن بانتكاسة التقدم الذي أحرزه في مشروع الممر الهندي، واعتبر أن أحد أسباب تحرك حماس ضد الاحتلال الإسرائيلي في 7 أكتوبر، هو إفشال تطبيع السعودية مع "إسرائيل"، وعرقلة مشروع الممر الهندي الأوروبي، وكذلك ادعى الرئيس الإسرائيلي أن حماس و"حزب الله" وإيران اتفقوا على تنفيذ مؤامرة لضرب الممر الهندي الأوروبي الجديد.

بالنسبة إلى الهند التي خرجت عن السياسة التقليدية التي تنتهجها في القضية الفلسطينية، فنتيجة غضبه من تأثير طوفان الأقصى على مستقبل الممر، قام رئيس الوزراء الهندي بإعلان التضامن وتأييد "إسرائيل" في حربها على غزة بشكل غير مسبوق، مصطفاً خلف واشنطن خلافًا لسياسته الحيادية بشأن حرب أوكرانيا، ولسياسة المسافة الفاصلة التي حافظت عليها الهند تاريخياً.

مصالح متقاربة ودوافع مختلفة أهمية وهدف الممر

منذ نحو عشر أعوام، كان صناع القرار في أوروبا والولايات المتحدة يشعرون بالقلق إزاء عزم الصين على المضي قدمًا في تمدد مشروعها الحزام والطريق الذي بات جزءً لا يتجزأ من استراتيجية الصين الرئيسية، واستطاعت من خلاله الوصول إلى أميركا اللاتينية وأفريقيا التي ضمت أكبر عدد من مشاريع الحزام والطريق، بجانب السيطرة على بعض الممرات البحرية، وتوريط العديد من البلدان النامية بقروض لا تستطيع سدادها.

والواقع أن الصين، فقد أبدت تماسكًا ومرونة أكثر مما يعتقده الكثيرون بالرغم من محاولة عرقلتها من قبل أمريكا، فحجم مبادرتها التي دخلت عامها العاشر ومدى انتشارها يتجاوز الخيال، إذ بنت كميات هائلة من البنية التحتية لا مثيل لها في العصر الحديث، واستطاعت الاستثمار ببناء أكثر من 40 ميناءً بحريًا في 34 دولة، وعقد اتفاقيات مع 148 دولة، تمثل ثلثي سكان العالم و40% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، من بينهم 17 دولة في الشرق الأوسط و 52 دولة في أفريقيا.

وعلى مدى عقد، أنفقت الصين ما يزيد عن تريليون دولار على شكل قروض للدول النامية، وبلغ إجمالي حجم تجارتها مع الدول التي تغطيها مبادرة الحزام والطريق ما يقرب من 13 تريليون دولار. وتدعي الصين أنها بهذا المشروع حققت إنجازات ملموسة في بناء البنية التحتية في البلدان النامية، وخلقت 420 ألف فرصة عمل وانتشلت 40 مليون شخص من الفقر.

من هنا

حاول مثلث الهند وأوروبا والولايات المتحدة إنشاء بديل لمبادرة الحزام والطريق التي تهيمن عليها الصين، فجاء تدشين الممر الجديد الذي أعلنوا عنه منذ أكثر من سبعة أشهر، ومن المؤكد أنه شكل منافسة للصين من جميع النواحي.

يُشكّل الممر الاقتصادي خطوة في مسار بدأ مع «اتفاقات ابراهام» وغايته دمج كيان العدّو في نظام الدول العربية.

على هذا الأساس تشكّلت «مجموعة متابعة تطبيق اتفاقات التطبيع العربية مع إسرائيل».

في البداية كانت المجموعة تضمّ وزراء خارجية الولايات المتحدة والامارات وكيان العدّو، قبل أن تنضمّ إليها الهند. في هذا الإطار أتت مبادرة «ممرّ الهند – الشرق الأوسط – أوروبا» وقد لعبت الإمارات دوراً رئيسياً فيه.

ففي «قمة العشرين» في نيودلهي، توجّه بايدن إلى رئيس الإمارات محمد بن زايد بالقول: «هذا المشروع لم يكن ليرى النور لولا جهودك.

إن أحد الشروط الرئيسية لدمج «إسرائيل» في المنطقة والتمكّن من تنفيذ مشروع بهذه الضخامة، هو وجود استقرار سياسي وأمني، وتمتّع الدول المنضوية تحت لوائه بعلاقات جيّدة ورسمية.

الإمارات وقّعت اتفاقية تطبيع مع العدّو. الأردن سبقها إلى عقد سلام. تبقى السعودية، البوّابة الرئيسية لتنفيذ هذا المشروع، واقفة على عتبة إعلانها رسمياً السلام مع كيان الاحتلال، وهو ما سيدفع دولاً عربية وإسلامية أخرى للحاق بها.

لذلك اعتبرت واشنطن أنّ اتفاقية التطبيع السعودية – الإسرائيلية خطوة أساسية قبل تنفيذ «ممرّ الهند – الشرق الأوسط – أوروبا»، وفي الوقت نفسه شرطٌ لا بُدّ منه لحماية أمن الممرّ. وقد قال نائب مستشار الأمن القومي الأمريكي جون فاينر في سبتمبر / أيلول الماضي، إنّ «الممر الجديد يُساعد في خفض التوتّر في جميع أنحاء المنطقة وإنهاء الصراعات >>.

يتألف المشروع الجديد من ممرين،

الأول:

ممر بحري شرقي، ينطلق من الهند ويربط الساحل الغربي للهند بالإمارات، والثاني ممر بري شمالي يتضمن شبكة سكك حديد عابرة للحدود، تبدأ من الإمارات مرورًا بالسعودية وتصل إلى جنوب الأردن حتى «إسرائيل».

ثم ينطلق مسار الممر من الأراضي المحتلة بميناء حيفا نحو أوروبا عبر ميناء "بيرايوس اليوناني"، ومنه بعد ذلك إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا، حيث ينتهي مسار الممر في الاتحاد الأوروبي.

ومن المتوقع أيضًا أن يحتوي المشروع مستقبلًا على ممر فرعي نحو أفريقيا بما يتماشى مع أهداف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

ويلاحظ أن الممر ضم اليونان إلى المشروع، ولم يهمش ويتجاوز أنقرة فحسب، بل سيمر الممر عبر المياه المتنازع عليها بين تركيا واليونان، الأمر الذي أثار استياء الرئيس التركي أردوغان، وأبدى اعتراضه بشكل رسمي، قائلًا: "لن يكون ذلك الممر دون تركيا، والخط الأكثر ملاءمة لحركة المرور من الشرق إلى الغرب هو الخط العابر من تركيا التي ردت أيضًا بشكل عملي عبر الإسراع بتنفيذ "طريق التنمية" وهو ممر يربط دول الخليج بأوروبا عبر العراق وتركيا.

كما الحرب على غزة خدمت المصالح الإيرانية عبر تأجيل مشروع الممر الذي رأت فيه طهران طوقًا جديدًا لمحاصرتها اقتصاديًا ولذا ذهب مساعد قائد الجيش الإيراني إلى أن "طوفان الأقصى ألغت الممر الهندي،،"

من الواضح أن جميع المشاركين في الممر لديهم دوافع جيوسياسية وحسابات استراتيجية خاصة تدفعهم إلى دعم هذا المشروع.

ففي حين تنظر الولايات المتحدة إلى الممر من خلال عدسة الالتفاف حول مبادرة الحزام والطريق والتفوق على الصين، وإبقاء دول الخليج قريبة منها وتسريع تطبيع العلاقات بين "إسرائيل" والسعودية، بجانب تعزيز وربط الهند بشكل أقرب مع الغرب باعتبارها قطبًا مضادًا للصين.

تنظر الهند في المقابل من خلال عدسة تجاوز إسلام آباد وطهران

والآن من خلال الممر الجديد، هناك فرصًا استراتيجية كبيرة للهند أبعد من باكستان، مثل تعزيز علاقاتها السياسية والتجارية مع شبه الجزيرة العربية وأوروبا، بجانب أن الممر سيقوي الهند التي لها عدد من القضايا الندية مع الصين، فمن شأنه أن يساعدها في المنافسة الإقليمية لبيجين، الأمر الذي سيرفع من دورها ومكانتها في العالم.

بينما تنظر أبوظبي والرياض إلى الممر كوسيلة لتأكيد المكانة والنفوذ، وتعزيز الاستثمار والخدمات اللوجستية، وتنمية وتنويع قاعدة اقتصادهما من النفط نحو مصادر الطاقة المتجددة، بجانب الوصول بسهولة إلى الأسواق الأوروبية والهندية.

أما أوروبا، فتنظر للممر من خلال عدسة ترسيخ نفوذها في المحيطين الهندي والهادئ، كما يأمل الأوروبيون توفير ممر بديل للممرات الأخرى بين الشرق والغرب، بما في ذلك الجسور البرية والبحرية التي تشكل جزء من مبادرة الحزام والطريق.

والأهم أن الحرب الروسية – الأوكرانية فرضت على أوروبا البحث عن مصدر طاقة بديل لسحب ورقة الضغط هذه من يد الروس، لذا في حالة تنفيذ الممر، فمن شأنه أن يلبي احتياجات الطاقة ويخفف من وطأة المأزق الأوروبي، بجانب تعظيم صادرات واستيراد المنتجات الحيوية بشكل أسرع، وخلق بدائل تجارية أخرى دون الحاجة إلى التجارة مع موسكو.

وبحسب د.كريستيان كوخ مدير البحوث بمركز الخليج، فأحد المحاور الرئيسية لمشروع الممر الهندي، ربط منطقة الخليج المنتجة للطاقة بالجانب الأوروبي، وتوفير إمدادات الطاقة دون انقطاع.

غزة تثبت من خلال هذه الخريطة من التفاعلات السياسية والاقتصادية الدولية، أنها العقبة الرئيسية لأحلام وطموحات هذه القوى، وبإمكانها إلغاء المشروع بأكمله، فلا يبدو أن الحرب على غزة مرتبطة فقط بمصالح ومخاوف الهيمنة الأمريكية، إذ تحولت غزة إلى محطة تتكالب عليها القوى الدولية والإقليمية.

المشروع يواجه العديد من التحديات أهمها:

معارضة دول مثل مصر وتركيا وإيران لتنفيذ المشروع، وإمكانية تعاونها لتطوير تفاهمات تجارية واقتصادية مشتركة.

مخاوف تحوّل الممرّ إلى منصة أمنية-عسكرية للدول المشاركة فيه.

وجود تحديات سياسية داخلية في الأردن، مثل الرفض الشعبي للتطبيع مع إسرائيل

أتت التطورات، وفق مدير معهد جنوب آسيا في مركز «ويلسون» الأمريكي، «لتُذكّرنا بمدى صعوبة بناء الممرّ الجديد، لأنّ الأساس ليس في تأمين التمويل اللازم، بل بالاستقرار والتعاون الدبلوماسي. وتؤكّد الحرب بشكل مؤلم أنّ هذين الشرطين لا يزالان بعيدَي المنال».

نقاط أساسية يجب الوقوف عندها:

مشروع الممر الاقتصادي الرابط بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا قد لا يشكل بالضرورة تحدياً لمبادرة الحزام والطريق الصينية، بل ربما يتحول إلى مبادرة موازية لها، لأسباب عدة، أهمها تداخُل الممر الجديد مع مشروعات المبادرة الصينية في عدة نقاط لوجستية مركزية.

قد يؤدي مشروع الممر الاقتصادي الجديد بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا إلى صعود فرص جديدة لتوسيع الصين مشاريع الربط اللوجستي والتقني ومشاريع الطاقة مع الدول التي قد تتعارض مصالحها مع تنفيذ المشروع الجديد، وعلى رأسها إيران وتركيا..

يواجه مشروع الممر الاقتصادي الجديد تحديات عدة، جيوسياسية وجيواقتصادية وتجارية وتنظيمية، لكن نجاحه سيُزيد الأهمية الاستراتيجية المستقبلية لمنطقة الخليج، ليس فقط بالنسبة للصين والولايات المتحدة، بل كذلك للهند واليابان وكوريا الجنوبية ودول الآسيان والاتحاد الأوروبي

خلاصة الأمر، أن الممر الهندي الأوروبي هو أحد أهم العوامل المؤثرة في اتخاذ هذه القوى موقفًا حاسمًا من استمرار الحرب على غزة أو محاولة تحديد مصيرها. وهذا في الحقيقة يثير تساؤلات حول التحولات المحتملة في المشهد العربي في حالة نجح الممر، وخصوصاً تأثيره على القضية الفلسطينية. على أنه من المؤكد أن نتيجة الحرب في غزة هي من ستحدد استمرارية المشروع وآفاق نجاحه مستقبلًا، والذي إلى اللحظة يبدو بعيد المنال وغير قابل للحياة من الناحية الجيوسياسية.

الكيان الصهيوني يستخدم الأسلحة الأمريكية في حرب الإبادة ضد الفلسطينيين

◄ **علي زيدان** ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

قامت الحكومة الصهيونية والإدارة الأمريكية، منذ أكثر من ستة أشهر حتى الآن، بشن حرب إبادة غير مسبوقة ضد المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة، وارتكاب مجازر بشعة تقشعر لها الأبدان. وقد أصبح قطاع غزة ميداناً لتجربة الأسلحة الأمريكية الفتاكة والمحرمة دولياً، حيث يُلقى يومياً ما يعادل ألف طن من المواد المتفجرة. وهذا يعني أن العدو الصهيوني استخدم حتى الآن أكثر من 75000 ألف طن من المواد المتفجرة على قطاع غزة، وهو ما يعادل نحو خمسة قنابل ذرية من قنبلة هيروشيما[1].

وهذه الأرقام غير ثابتة، فهي تزيد مع الوقت ومع ازدياد همجية العدوان الإجرامي الصهيوني الأمريكي، وكذلك مع زيادة الدعم العسكري الأمريكي المتواصل من أموال دافعي الضرائب الأمريكان. ليس هذا وحسب، بل يقوم العدوان الصهيوني الأمريكي النازي أمام عيون حكومات العالم المتعامية، والحكومات الإقليمية المتواطئة، بفرض الحصار المشدد على المواطن الفلسطيني في غزة، وحرمانه من الماء، والدواء، والغذاء، والوقود؛ وزيادة نصيب الفرد من المواد المتفجرة الأمريكية الصنع التي تُلقى على مدار الساعة. يتميز قطاع غزة بمساحته الصغيرة جداً، نحو 360 كم^2، وكثافة السكان العالية، التي تعتبر الأعلى على مستوى العالم، حيث يقطن نحو 2.3 مليون إنسان على هذه المساحة. لم تأخذ هذه الحرب الوحشية أي اعتبارات إنسانية أو اتفاقيات دولية. بل جرى استهداف الأحياء السكنية بدون تمييز، كذلك المستشفيات ودور العبادة، ومدارس الأونروا التي لجأ إليها النازحون من المناطق المنكوبة. بالإضافة الى الطبيعة الإجرامية والنازية المشتركة للحكومة الأمريكية والكيان الصهيوني، فقد أظهرت هذه الحرب، أن المؤسسات الدولية التي تتشدق بالدفاع عن حقوق الإنسان، لا تختلف عن معظم الحكومات في العالم. وما هي إلا مؤسسات كاذبة وعديمة الأخلاق. تلك المؤسسات إما شاهدة زور صامتة، أو أنها مؤيدة لما يجري وتدعم الكيان الصهيوني. أما عن الدول العربية، فالحديث يعجز عن وصف المواقف المريبة. بينما تقوم الإدارة الأمريكية بمنع الدول من الاحتجاج على ما يجري من مجازر يَندى لها جبين الإنسانية، وتُعاقِب كل من يُفكر بمد يد العون من مساعدات إنسانية للشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة، تقوم الإدارة المجرمة نفسها بمساعدة الكيان الصهيوني في عدوانه، وتزويده بالأسلحة الفتاكة والمحرمة دولياً. وقد أرسلت حاملتي طائرات إلى شرق المتوسط، وقوات عسكرية للمشاركة بالقتال، ومنعت مجلس الأمن من اتخاذ قرار بوقف الحرب. بالإضافة إلى ذلك، ذكرت بعض الصحف الأمريكية[2]، أن إدارة الرئيس بايدن، أنشأت جسراً جوياً مع الكيان الصهيوني لتزويده بكافة أنواع الأسلحة ذات القوة التدميرية العالية، وفتحت أمامه مستودعات الأسلحة الموجودة في المنطقة بما في ذلك الموجودة على أراضي الدول العربية. وينبغي القول أن الإدارة الأمريكية حرصت على سرية الموضوع، وبالتالي فإن الأسلحة المذكورة هنا، ليست هي جميع الأسلحة المستخدمة في الحرب، أو المنقولة إلى الكيان الصهيوني، خصوصاً أن الرقابة العسكرية الصهيونية تمنع نشر المعلومات المتعلقة بالأسلحة والأنشطة العسكرية المختلفة. لقد شملت المعلومات المتداولة الأسلحة والذخائر التالية:

أكثر من 5000 قنبلة من نوع Mk82 unguided or "dumb" bombs،

أكثر من 5400 قنبلة من نوع Mk84 2,000 pound warhead bombs،

حوالي 1000 قنبلة من نوع GBU-39 small diameter bombs،

حوالي 3000 قنبلة من نوع JDAMs, which turn unguided bombs into guided "smart" bombs،

قنابل من نوع BLU-109 bunker bombs buster

وتم ارسال أكثر من 57000 قذيفة مدفعية من عيار 155 مم، بالإضافة إلى آلاف القذائف المدفعية من أنواع مختلفة.

الهدف من إرسال هذه الأسلحة، خاصة هذه القنابل المصممة لاختراق المخابئ والأنفاق العميقة، هو تدمير شبكة الأنفاق التي تستخدمها المقاومة في قطاع غزة، وتدمير البنى التحتية، والأحياء السكنية في المناطق الأشد اكتظاظاً بالسكان. وقتل أكبر عدد من السكان المدنيين بهدف تحريضهم ضد المقاومة أو دفعهم للهجرة خارج قطاع غزة. ويَدّعي الصهاينة والأمريكيين أن شبكة الأنفاق هذه، طولها نحو 500 كم، وتمتد تحت المناطق السكنية، والمدارس والمستشفيات والمراكز الصحية. ويُطلق عليها قادة العدو أسم «مترو غزة». ويقول المسؤولون الأمريكيون[3]، إن الأنفاق في غزة تشبه مُدنًا مصغرة، تحتوي على غرف وزنازين وحتى طرق للمركبات. بالإضافة إلى مراكز القيادة والتحكم والاتصال. وفيما يلي توضيح لنوعية بعض الأسلحة المرسلة وخصائصها التدميرية، وهذا لا يشمل القنابل العنقودية، وطائرات الأباتشي، والدبابات، وأسلحة أخرى غير مصرح عنها.

1- القنابل من نوع (MK82)[4]. تُعتبر هذه الذخائر ذات قوة تدميرية عالية. وتُستعمل للأغراض العامة. وهي في الأصل قنابل غير موجهة تطلق من الجو. وتُسمى أحيانًا بالقنبلة الحديدية، أو القنبلة الغبية بالرغم من دِقتها العالية جداً. وهي من فئة 500 رطل (227 كغ). استخدمها الجيش الأمريكي خلال حرب فيتنام. وفي عام 1991 تم استخدام أكثر من 4500 قنبلة خلال حرب الخليج. وفي عام 2016، تم استخدامها في أفغانستان وغزة والعراق وليبيا وسوريا واليمن. تحتوي القنبلة القياسية (Mk 82) على 87 - 89 كغ من المواد شديدة الانفجار، في هيكل فولاذي يزن حوالي 142 كغ. وهذا الجسم الفولاذي يتحول إلى شظايا قاتلة ضد الأهداف البشرية، ويتفتت بطرق وأحجام عشوائية إلى 3000 – 17000 قطعة، تغطي مساحة فتاكة تبلغ حوالي 2400 متر مربع (80 x 30 م). يتراوح وزن الشظية من 0.2 جم إلى 20 جم، وتنتقل بسرعة أولية تتراوح بين 760 م/ث إلى 2440 م/ث. تحتوي هذه القنابل عادةً على أحد نوعين من المواد شديدة الانفجار[5]، H6 أو التريتونال Tritonal.

2- القنابل من نوع (MK84)، هي قنبلة تستعمل للأغراض العامة[6]، استخدمها الجيش الأمريكي خلال حرب فيتنام. وهي من القنابل الثقيلة الغير موجهة. يبلغ وزنها 2000 رطل (907 كغ). وتحتوي بداخلها على كمية من المواد شديد الانفجار. حالياً، تعتبر سادس أكبر قنبلة من حيث الوزن في المخزون الأمريكي، بعد القنبلة (BLU-82) التي يبلغ وزنها 15000 رطل (6800 كغ) وقنبلة «الهدم» (M118) التي يبلغ وزنها 3000 رطل (1400 كغ)، وقنبلة (GBU-28) التي يبلغ وزنها 5000 رطل (2300 كغ)، وقنبلة (GBU-43/B) التي يبلغ وزنها 22600 رطل (10300 كغ)، والقنبلة الجوية الضخمة (Massive Ordnance Air Base Bomb \MOAB) التي يبلغ وزنها 30000 رطل (14000 كغ). يبلغ قطر القنبلة 18انش (45.72 سم) وطولها 129 انش (3,28 متر). غلاف القنبلة من الفولاذ الخفيف، ومملوء بـ 945 رطلاً (429 كجم) من مادة التريتونال شديدة الانفجار. وهي قادرة على تشكيل حفرة بعرض 15 متراً، وعمق 11 متراً. ويُمكن أن تخترق ما يصل إلى 38 سم من المعدن أو 3.4 متراً من الخرسانة، اعتماداً على الارتفاع الذي يتم الإسقاط منه. الشظايا الناجمة عن الانفجار يغطي تأثيرها القاتل دائرة نصف قطرها 370 متراً، وهي دقيقة التوجيه. استخدمت خلال عاصفة الصحراء عام 1991، حيث تم إسقاط أكثر من 13000 قنبلة. وفي اليمن في مارس/آذار 2016.

3- القنبلة نوع (GBU-39) ذات القطر الصغير[7]. وهي عبارة عن قنبلة موجهة بدقة[8]، ومجهزة بنظام تحديد المواقع العالمي (GPS). وزنها 250 رطلاً (110 كغ). يتم استخدامها في جميع الأحوال الجوية، وضد الأهداف الثابتة مثل مستودعات الوقود والمخابئ، والأهداف المتحركة مثل الدبابات والمركبات ومراكز القيادة المتنقلة. تحمل قنبلة SDB ما يقرب من 36 رطلاً (16 كغ) من مادة AFX-757 شديدة الانفجار. ويبلغ اختراق الرأس الحربي 3 أقدام (1 متر) من الخرسانة المسلحة بالفولاذ تحت 3 أقدام من الأرض. حجمها يسمح للطائرات بحمل المزيد من الأسلحة وضرب عدة أهداف في مهمة واحدة. تم استخدامها لأول مرة في العدوان على العراق خلال عام 2006.

4- القنبلة من نوع (JDAMs - Joint Direct Attack Munition)[9]، أو ذخيرة الهجوم المباشر المشترك (GBU-31/32/38). وهي عبارة عن قنابل من نوع Mk 82 تم تحويلها إلى ذخيرة موجهة بدقة خاصة في الظروف الجوية السيئة، ومزودة بنظام (GPS). وتُسمى بالقنبلة الذكية. قنابل JDAM تُشكل الدعامة الأساسية للذخائر الجوية الأمريكية في الوقت الحاضر. يتم برمجة هذه القنابل مُسبقاً بمعلومات الهدف قبل إسقاط القنبلة، كما أنها مزودة ببعض تقنيات التصوير المتطورة، مثل التصوير الحراري، وغيرها. يتراوح وزن الرأس الحربي بين 500 رطل (226,8 كغ) و2000 رطل (907 كغ). بمجرد إطلاقه من الطائرة، ينتقل JDAM بشكل مستقل إلى إحداثيات الهدف المحدد، باستخدام أجهزة الاستشعار الموجودة على متن الطائرة. يمكن إطلاق JDAM من ارتفاعات مختلفة، تصل إلى حدود 13.7 كم. ويمكن اطلاقها من الطائرات بدون طيار. طول القنبلة (JDAM والرأس الحربي) يتراوح بين 235.2 و387.9 سم. ويصل مداها إلى 24 كم. في عام 2015 طلبت اسرائيل من واشنطن، مجموعات ذخائر الهجوم المباشر المشترك والمعدات المرتبطة بها، بتكلفة تقدر بـ 1.879 مليار دولار. وشملت هذه الذخائر ذخيرة هجوم مباشر مشترك (JDAM) من طراز KMU-556C/B تتكون من 10.000 من طراز Mk-84؛ 500 لـ Mk-83 ؛ و4000 لـ Mk-82؛ 3500 قنبلة من طراز Mk-82؛ 4500 قنبلة من طراز Mk-83؛ 50 قنبلة BLU-113؛ 4,100

قنبلة GBU-39 ذات القطر الصغير؛ 1,500 مجموعة من طراز Paveway Mk-83؛ 700 مجموعة بيفواي BLU-109؛ 3000 صاروخ هيلفاير AGM-114K/R، و250 صاروخ جو-جو متقدم متوسط المدى من طراز AIM-120C؛ و500 مجموعة أهداف مضاءة بالليزر DSU-38A/B لصواريخ.

5- القنابل نوع (BLU-109)[10]. هذه القنابل مزودة برأس حربي وزنه 2000 رطل (907 كغ). وهو مصمم لاختراق الملاجئ الخرسانية والتحصينات الخرسانية تحت الأرض. استخدمت الولايات المتحدة هذه القنابل ضد العراق خلال حرب الخليج عام 1991، وكذلك أثناء غزو أفغانستان عام 2001. يُمكن لهذه القنابل (BLU-109) اختراق حوالي 1.8 متر أو 6 أقدام من الخرسانة المسلحة. أي أنها مصممة لاختراق هدف تحت الأرض بدلاً من القصف الشامل التقليدي على السطح. تتيح السرعة الإضافية التي يوفرها الصاروخ اختراقًا أكبر للرأس الحربي المثبت على الصاروخ.

6- قذائف مدفعية من عيار 155 مم، وأنواع مختلفة[11]. تُستخدم المدافع الثقيلة من عيار 155 مم لتوفير الدعم الناري وإطلاق الذخائر على مسافات كبيرة، يصل مداها من 17 إلى 40 كم. وزن القذيفة حوالي 45 كغ، وطولها 60 سم، وقطرها 155 مم. تتكون القذيفة من مادة شديدة الانفجار معبأة في غلاف سميك، مصنوع عادة من الفولاذ المقسى. عندما تنفجر القذيفة، يتحول غلافها الفولاذي إلى شظايا صغيرة قاتلة. تواصل الإدارة الأمريكية بتزويد الكيان الصهيوني بقذائف مدفعية 155 ملم، وذخائر دقيقة التوجيه، وأنظمة دفاع جوي، على الرغم من القلق الدولي بشأن استخدام المدفعية ضد المدنيين في غزة، والمدارس والأحياء والمستشفيات والملاجئ ومخيمات اللاجئين، مما أسفر عن مقتل وجرح وتشريد عشرات المدنيين.

7 - الفوسفور الأبيض[12]، هي مادة كيميائية تشتعل وتحترق عند ملامستها للأكسجين. تستخدم في قذائف المدفعية أو القنابل أو الصواريخ أو قذائف الهاون. عند إطلاقه وملامسته الأرض، أو انفجاره جوًا، ينبعث منه دخان أبيض كثيف يستمر حوالي سبعة دقائق وله رائحة حادة تشبه رائحة الثوم. تستخدمه الجيوش لحجب حركتها. لا يُعتبر الفسفور الأبيض سلاحا كيميائياً، بل ذخيرة حارقة. ولكن استخدامه مقيد بالمبادئ الأساسية للقانون الإنساني الدولي. لذلك، فإن استخدامه في المناطق المأهولة بالسكان غير قانوني لأنه يعرض المدنيين للخطر، ولا يجوز استخدامه كسلاح مضاد للأفراد. استخدم الجيش الصهيوني قذائف الفسفور الأبيض بكثرة خلال حروبه في غزة ولبنان، سابقاً وحالياً. تحمل قذيفة المدفعية من عيار 155 مم، حوالي 5,78 كغ من الفسفور الأبيض. يؤدي الانفجار الجوي إلى نشر 116 شظية أو قطعة فسفور أبيض مشتعلة في دائرة نصف قطرها يصل إلى 125 متراً. عندما يشتعل الفسفور الأبيض، يستمر في الاحتراق عند درجة حرارة تصل إلى 816 درجة مئوية، حتى لا يتبقى شيء أو ينقطع إمداد الأكسجين. وعندما يتلامس الفسفور الأبيض مع الجلد فإنه يسبب حروقًا شديدة ومستمرة، تصل أحيانًا إلى العظام. ويُمكن أن يتسبب امتصاص الجسم للمادة الكيميائية في حدوث أضرار جسيمة للأعضاء الداخلية، وقد يكون مدمراً للأنسجة، ويؤدي إلى الفشل الكلوي، فضلاً عن الوفاة.

كل هذه الأسلحة الأمريكية الفتاكة وذات الكلفة العالية، تواجهها أسلحة بسيطة يتم تصنيعها وتعديلها محلياً، وبكلفة زهيدة. غير أن الإيمان بعدالة القضية وحتمية الانتصار، وإرادة القتال لدى رجال المقاومة كفيلة بدحر الاحتلال وشركائه، كما اندحروا سابقاً من فيتنام وأفغانستان وغيرها. وهكذا، يمكن القول، أن حرب الإبادة الجماعية التي يشنها الجيش الصهيوني في قطاع غزة ضد المدنيين العزل، تجري بدعم مطلق من الإدارة الأمريكية النازية، بما في ذلك الدعم العسكري، واللوجستي، والتمويل بأكثر من 14 مليار دولار منذ بداية الحرب، فضلاً عن المساعدات السابقة. وفي هذه الحرب النازية يتم قتل النساء والأطفال والمرضى، وقصف المستشفيات والمدارس، وتدمير البنى التحتية، دون أدنى اعتبار للقانون الدولي والإنساني، أو الاحتجاجات في كافة أرجاء العالم التي تطالب بالوقف الفوري لإطلاق النار.

الحواشي:

1 استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية القنابل الذرية ضد اليابان لإنهاء الحرب العالمية الثانية. وتبلغ قوة القنبلة التي ألقيت على مدينة هيروشيما في 6 آب/ أغسطس عام 1945 بنحو 15 كيلو طن تي إن تي. كانت مساحة المدينة 900 كم^2، بينما أسفر الانفجار عن 66000 قتيل و69000 مصاب. وألقت قنبلة أخرى من ذات القوة على مدينة ناغازاكي في 9 آب/ أغسطس عام 1945.

2 https://www.wsj.com/world/middle-east/u-s-sends-israel-2-000-pound-bunker-buster-bombs-for-gaza-war-82898638

3 https://www.wionews.com/world/explained-how-blu-109-bunker-buster-bombs-could-potentially-decimate-hamas-tunnels-in-gaza-665456

4http://characterisationexplosiveweapons.org/studies/annex-e-mk82-aircraft-/bombs

5 يستخدم جيش الكيان الصهيوني خليط (آر دي إكس - RDX)، وهو مادة شديدة الانفجار، تعادل قوته 1.34 قوة تي إن تي. تتكون مادة H6، من: 45% RDX و30% TNT، و20% ألمنيوم وكلوريد الكالسيوم، و5% شمع. مادة التريتونال Tritonal، تتكون من:80% TNT و20% ألومنيوم.

6 https://gulflink.health.mil/al_muth/al_muth_refs/n58en036/mk84.htm

7 https://en.wikipedia.org/wiki/GBU-39_Small_Diameter_Bomb

8 https://www.af.mil/About-Us/Fact-Sheets/Display/Article/104573/gbu-39b-/small-diameter-bomb-weapon-system

9 https://www.af.mil/About-Us/Fact-Sheets/Display/Article/104572/joint-di-/rect-attack-munition-gbu-313238

10 https://www.wionews.com/world/explained-how-blu-109-bunker-buster-bombs-could-potentially-decimate-hamas-tunnels-in-gaza-665456

11 https://www.axios.com/2023/10/19/us-israel-artillery-shells-ukraine-weapons-gaza

12 https://www.hrw.org/report/2009/03/25/rain-fire/israels-unlawful-use-white-phosphorus-gaza

ورقة بحثية:

السياق التاريخي الصهيو أميركي لتفكيك «الأونروا» وتصفية حق العودة للاجئين الفلسطينيين

◄ عليان عليان
باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

ما أن أصدر رئيس وزراء حكومة العدو بنيامين نتنياهو، بتاريخ الخامس من مارس (آذار) اتهاماً لبعض الموظفين في وكالة الغوث بالمشاركة في عملية السابع من أكتوبر حتى هرعت الإدارة الأمريكية إلى تعليق مساعداتها للأونروا في 26 يناير (كانون ثاني) الماضي، ليتبعها الذنب الأوربي بتعليق (16) دولة أوروبية مساعداتها للأونروا قبل أن تتحقق من مزاعم نتنياهو، ومن بين هذه الدول بريطانيا وفرنسا وألمانيا وفنلندا وكندا وأستراليا، ما يعني أن هنالك مخطط صهيو أميركي غربي لتصفية لوكالة الغوث اعتقاداً من هذه الأطراف بأن تصفية الوكالة يقود إلى تصفية حق العودة للاجئين الفلسطينيين.

واللافت للنظر أن عملية الاتهام الإسرائيلية، والفزعة الغربية ترافقت مع صدور أمر من محكمة العدل الدولية للكيان الصهيوني في 26 يناير (كانون ثاني) الماضي، باتخاذ تدابير استثنائية لمنع الاستمرار في عمليات الإبادة الجماعية، ما يعني أن الولايات المتحدة وحلفائها في الغرب أرادوا أن يوجهوا رسالة للمحكمة مفادها، أن أي مشروع إدانة ل) إسرائيل(،سيواجه بإجراءات عقابية ضد اللاجئين الفلسطينيين، وأن أي إدانة لن تمر في ضوء إصرارها على بقاء «كريم أحمد خان»- المدعي العام لمحكمة الجنايات الدولية في منصبه - الذي شكل ولايزال يشكل حائط صد دون تفعيل أي شكوى ضد الكيان الصهيوني.

وما يجب الإشارة إليه هنا أن تراجع معظم الدول الغربية لاحقاً عن تعليق مساعداتها للأونروا، لم يكن من باب تأنيب الضمير، بل يعود إلى أن تعليقها لهذه المساعدات يجعلها قانونياً شريكة في الإبادة الجماعية من زاوية منع الغذاء عن أبناء قطاع غزة.

لكن هذه الدول لم تحرك ساكناً حيال لجوء حكومة العدو إلى إقفال مقر الأونروا في القدس هذا (أولاً) (وثانياً) منع هذه الحكومة وكالة الغوث من ممارسة دورها في قطاع غزة منذ مطلع مارس (آذار) الماضي، ما دفع مفوض الأونروا فيليب لازاريني لأن يعلن بأن منع الوكالة من القيام بدورها، يؤدي إلى تفاقم كارثة المجاعة في القطاع وخاصةً في شمال غزة.

حكومة العدو تطالب بتفكيك الأونروا

وهذا الموقف من قبل الدول الغربية، دفع رئيس أركان جيش الاحتلال هيرتسي هاليفي لأن يتقدم بافتراح للأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غونتيريش في الثالث والعشرين من مارس (آذار) الماضي يقضي بتفكيك «الأونروا» على أن تقوم (إسرائيل) بمهمة توزيع المساعدات في قطاع غزة.

وبموجب المقترح الصهيوني، يتم في البداية نقل ما بين 300 إلى 400 موظف في «الأونروا» إما إلى وكالة أخرى تابعة للأمم المتحدة، مثل برنامج الغذاء العالمي، أو إلى منظمة جديدة تم إنشاؤها خصيصا لتوزيع المساعدات الغذائية في غزة.

لكن هذا المقترح قوبل بالصد والرفض من قبل الأمين العام للأمم المتحدة، وسبق أن حذر المفوض العام لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، الجمعية العامة للأمم المتحدة من أن تفكيك الأونروا الذي تطالب به (إسرائيل) سيؤدي إلى التضحية «بجيل كامل من الأطفال» و«زرع بذور» نزاعات مقبلة(1).

الخلفية التاريخية لنشوء الأونروا

ما يجب الإشارة إليه ابتداءً أن الجمعية العامة للأمم المتحدة، صادقت في الحادي عشر من كانون أول 1948 على القرار رقم 194 الذي ينص بوضوح على حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وتعويضهم عما لحق بهم وممتلكاتهم من ضرر، وتعويض من لا يرغبون بالعودة عن ممتلكاتهم وعن كل ما أصابهم من ضرر، وأن الأمم المتحدة اشترطت لقبول دولة

(إسرائيل) في عضويتها قبول هذا القرار وتنفيذه، ومن أجل هذا الغرض أنشأت الأمم المتحدة لجنة توفيق ومصالحة كان على رأس مهماتها عودة اللاجئين، وعقد مؤتمر في لوزان لهذا الغرض في آذار 1949 حيث عارضت حكومة العدو الصهيوني عودة (900) ألف لاجئ فلسطيني، وقدمت اقتراحا بجمع شمل العائلات وبما لا يتعدى بضعة آلاف، ولم تقبل الحل المتدرج لقضية العودة الذي رأى إمكانية عودة (100) ألف لاجئ فلسطيني كبداية.

هذا ومن زاوية تكتيكية، وحتى تضمن دولة العدو الصهيونية الاعتراف الدولي بها وافقت على القرار 194، لكنها لم تلتزم به بدعم من الولايات المتحدة، ومن ثم تحولت تدريجيا قضية فلسطين من قضية شعب له حقوقه التاريخية والقومية إلى قضية لاجئين اثر صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (302) في 8 كانون الأول 1949 بإنشاء وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، للتخفيف من تداعيات مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وبدأت الوكالة عملها في الأول من أيار (مايو) 1950، وفق تفويض إنساني وتنموي يقضي بتقديم المساعدة والحماية للاجئي فلسطين، ريثما يتم التوصل إلى حل عادل ودائم لمحنتهم، حيث تستمد الوكالة تفويضها من الجمعية العامة للأمم المتحدة كل ثلاث سنوات ونذكر هنا أنه وبالتعاون بين الكيان الصهيوني والأمين العام للأمم المتحدة آنذاك تم حذف قضية فلسطين من دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة، واستبدالها ببند يحمل عنوان «التقرير السنوي للمفوض العام لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين» واستمر الأمر كذلك حتى عام 1974

ورغم حذف قضية فلسطين في حينه من دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة، إلا أنه استمر الربط بين إنشاء الوكالة وبين حق العودة وفق القرار 194 الفقرة (11)، حيث تم التأكيد على هذا الحق في معظم دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفيما يلي بعض القرارات التي صدرت مؤكدة على الفقرة 11 من القرار رقم 194 قبل عام 1967:

القرار 392 عام 1950 / القرار 512 عام 1952 / القرار 720 عام 1953 / القرار766 عام 1957 / القرار 818 عام 1954 / القرار 1018 عام 1957 / القرار1191 عام1957 / القرار 1315 عام 1958 / القرار 1456 عام 1959 / القرار 1725 عام 1961 / القرار 1857 عام 1963 / القرار 1912 عام 1963 / القرار 2052 عام 1967.

مخططات تصفية الأونروا والتوطين المبكرة.

لقد عملت الإدارة الأمريكية مبكراً ومن خلال نفوذها في الأمم المتحدة على توطين اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم اقتصاديا واجتماعيا، رغم موقفها الشكلي بالموافقة على القرار 194 الذي جرى التأكيد عليه أكثر من 160 مرة منذ صدوره وحتى توقيع اتفاقات أوسلو في أيلول 1993.

وقد شاركت رئاسة الأونروا الإدارة الأمريكية وبريطانيا، في خمسينات القرن الماضي ومطلع الستينات، في طرح مشاريع لتوطين اللاجئين بهدف تصفية الأونروا كمقدمة لتصفية قضية اللاجئين، والمصادرة على حقهم في العودة وأبرز هذه المشاريع التي تم طرحها على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين:

مشروع حسني الزعيم عام 1949/ مشاريع (الأونروا) للتوطين 1952-1954 / مشاريع دالاس 1953، 1956 / مشاريع جونستون 1955، 1961/ مشروع ايدن 1955 / مشروع ايرنهاور 1957، 1958/ مشروع ارئيس جون كنيدي عام 1957/ مشروع الأمين العام للأمم المتحدة «همرشولد» 1959/ مشروع الرئيس بيل كلينتون عام 2000م.

يضاف إلى ذلك المشاريع الاسرائيلية مثل: مشروع ليفي أشكول 1965 / مشروع إيجال آلون 1968 / مشروع شلومو جازيت 1994.

وقد تم إفشال هذه المشاريع جميعها بسبب رفض الشعب الفلسطيني لها رغم أن بعض القوى الإقليمية أبدت استعدادا لقبولها.

الثورة الفلسطينية رافعة لحق العودة وإفشال مشاريع التوطين رغم نكسة 1967 ومرارتها، إلا أن مؤشرات إيجابية بدت تلوح في الأفق لوضع قضية اللاجئين الفلسطينيين في إطارها السياسي والقانوني الصحيح بوصفها جوهر الصراع الفلسطيني _ الصهيوني ولب القضية الفلسطينية.

وقبل ان نتوقف امام هذه المؤشرات تشير الى إن قرار مجلس الأمن رقم 242، الذي تضمن في جوهره من ناحية نظرية الاعتراف الرسمي العربي (بإسرائيل)، واعطى شرعية زائفة للكيان الصهيوني على 78 في المائة من فلسطين التاريخية متجاوزاً المساحة المخصصة له في قرار التقسيم، أكد لأول مرة على تحقيق تسوية عادلة لقضية اللاجئين لكن دون الإشارة لقرار 194، الأمر الذي يخضع قضية عودة اللاجئين للمساومة، مع ضرورة الإشارة هنا إلى ملاحظة تستدعي التوقف أمامها وهي ان القرار 242 أشار إلى حل عادل لقضية اللاجئين دون أن يقرنها بكلمة «فلسطينيين".

وقد تمثلت المؤشرات الايجابية بما يلي:

1. بروز المقاومة الفلسطينية المسلحة كرد على هزيمة 1967 والتي انطلقت بشكل رئيسي من مخيمات اللجوء في الضفة الغربية والقطاع وسوريا ولبنان والأردن... وكان لهذه المقاومة الباسلة الفضل ولأول مرة في إعادة طرح قضية اللاجئين الفلسطينيين بقوة على الصعيد العالمي، حيث اعتبرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم 2535 في ديسمبر /كانون أول 1969 «أن مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان».

2. جرى التأكيد على هذه الحقوق في قرارات لاحقة نذكر منها: القرار 2628 في تشرين الثاني 1970/ القرار 2627 في كانون أول 1970 / القرار 2787 في كانون أول 1971 / القرار 2949 في كانون أول 1971 / القرار 3089 في كانون أول 1973

مع اكتساب م.ت.ف صفة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني من قبل الجامعة العربية وقبولها كعضو مراقب في الأمم المتحدة ودعوتها لحضور اجتماعات الأمم المتحدة، أصبح من الممكن إعادة الاعتبار لقضية فلسطين كقضية شعب له حقوقه الوطنية المشروعة، وأن قضية اللاجئين جزء لا يتجزأ من هذه الحقوق غير القابلة

للتصرف... حيث تجلى ذلك في قرار الأمم المتحدة الشهير رقم 3236 الصادر بتاريخ 1974/11/22، الذي جاء فيه في البند (2) ما يلي: «ونؤكد من جديد أيضا حق الفلسطينيين غير القابل للتصرف في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم الذين شردوا منها واقتلعوا منها وتطالب بإعادتهم»، ومنذ ذلك التاريخ باتت قضية اللاجئين الفلسطينيين هي قضية حق عودة فردي وجماعي لكل الفلسطينيين خارج وطنهم.

اتفاقيات أوسلو فتحت الباب أمام مشاريع تصفية حق العودة

يمكننا التأريخ لبداية التنازل عن حق العودة والعودة إلى مشاريع التوطين ومن ثم المطالبات الصهيو أميركية بإلغاء دور وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) بلجوء القيادة المتنفذة في منظمة التحرير إلى توقيع اتفاقيات أوسلو، وما نجم عنها من اتفاقيات لاحقة.

وبهذا الصدد نشير إلى ما يلي:

اتفاقات أوسلو 1993:

شكلت اتفاقات اوسلو خطراً كبيراً على قضية حق العودة من خلال ترحيل قضية اللاجئين الفلسطينيين الى مفاوضات الحل النهائي دون اسنادها بالقرار 194، وقد بات واضحاً ومعلناً أن المرجعية القانونية لاتفاق أوسلو الموقع بين الكيان الصهيوني بزعامة حزب العمل وقيادة م.ت.ف هو قرار مجلس الامن الدولي رقم 242 وقرار 338 وذلك انسجاما مع إطار مؤتمر مدريد التفاوضي، كما ورد صراحة في ديباجة «الاتفاقية الاسرائيلية –الفلسطينية» المرحلية حول الضفة والقطاع الموقعة في واشنطن 09/28/ (1995).

تراجع الولايات المتحدة عن قرارات الأمم المتحدة:

أدى إغفال اتفاقيات أوسلو المتعمد للقرار (194) –رغم الملاحظات على هذا القرار جراء ارتباطه بقرار التقسيم - إلى تراجع الولايات المتحدة عن قرارات الأمم المتحدة وخاصة القرار (194) – حيث لوحظ في دورة الجمعية العامة الخامسة بنهاية عام 1995 امتناع الولايات المتحدة عن التصويت عليه، واعتراض الكيان الصهيوني على هذا القرار، كما طالبت الولايات المتحدة باعادة النظر في كافة قرارات الامم المتحدة المتعلقة بقضية الشرق الاوسط ما دامت هذه القضايا احيلت الى المفاوضات ومن ضمنها قضية اللاجئين بحجة انه من الأفضل عدم استباق الاحداث والتأثير على المتفاوضين.

خطة خارطة الطريق الأمريكية 2003:

حيث توضح المرحلة الثالثة من هذه الخطة حجم التآمر على حق العودة، وتتضمن هذه المرحلة حلا متفقا عليه عادلا ومنصفا لمسألة اللاجئين بدون أي اشارة لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم 194.

وثيقة جنيف 2003:

التي وقعها عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير على رأس وفد فلسطيني بشكل غير رسمي مع وفد صهيوني برئاسة يوسي بيلين وشكلت قمة التآمر على حق العودة واستبداله بالتوطين والتعويض من خلال مختلف بنوده ومواده، ومن ضمن ما تناولته الوثيقة أن تحل هيئة دولية جديدة محل وكالة غوث اللاجئين. وإعادة تأهيل واستيعاب اللاجئين في دول وامكنة إقامتهم

وثيقة أبو مازن -بيلين:

وهي خلاصة مباحثات، بين كل من محمود عباس ويوسي بيلين ¬وزير العدل في حكومة إسحق رابين¬، عقب توقيع اتفاقيات أوسلو، وصفت بأنها غير رسمية، وكان يفترض أن يعلن عنها رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق إسحق رابين لاحقا ضمن البرنامج الانتخابي لحزب العمل المقرر في الانتخابات التشريعية لسنة 1996، لكن حادث اغتيال رابين سنة 1995 ساهم في بقاء الاتفاق قيد الكتمان، وتعترف (إسرائيل) بموجبها بأن العودة حق مبدئي للفلسطينيين، بالإضافة إلى التعويض عن الخسائر الناتجة عن حربي 1948 و1967، لكن بشرط اعتراف الجانب الفلسطيني أن العودة كما نص عليها القرار 194 صارت أمرا غير عملي، وتضمنت التوافقات الإشارة إلى تشكيل لجنة دولية للإشراف على تأهيل اللاجئين وإدماجهم حيث يكونون.

مبادرة السلام العربية في قمة بيروت عام 2002:

انطوت المبادرة على نص مساوم على قضية حق العودة على نحو « حل عادل متفق عليه لقضية اللاجئين الفلسطينيين وفقاً للقرار (194)»، إذ أن عبارة «متفق عليه» تعني أن أن يخضع هذا الحق للمساومة، وأن يكون الكيان الصهيوني طرفاً في هذه المساومة بشأن، عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين يمكن إعادتهم إلى مدنهم وبلداتهم.

صفقة القرن الترامبية والتزام بايدن بمعظم بنودها:

التنازلات سالفة الذكر دفعت الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» إلى الانتقال إلى خطوة خطيرة لتصفية حق العودة، من بوابة العمل الجدي لإلغاء وكالة غوث اللاجئين، وحل القضية الفلسطينية في سياق اقتصادي بعيداً عن طروحات الدولة وغيرها.

والصفقة التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي عام 2020 جرى التمهيد لها منذ عام 2017 هي مشروع يستهدف إنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في الداخل من بوابة الحل الاقتصادي وتحسين الأحوال المعيشية للفلسطينيين، بعيداً عن حق تقرير المصير، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في الخارج من خلال عمليات التوطين وشطب وكالة غوث اللاجئين كشرط رئيسي لتصفية حق العودة.

وتركزت بنود الحل من وجهة نظر الرئيس الأمريكي، على إنهاء حق العودة وحرمان اللاجئين من أية تعويضات مالية، وتوطينهم في الدول العربية التي يقيمون فيها. «صفقة القرن».. 3 خيارات مجحفة لشطب قضية اللاجئين الفلسطينيين

وقد تضمنت الصفقة توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول المقيمين فيها، وهي سوريا ولبنان والأردن صاحب حصّة الأسد من الأعداد المقيمين على أرضه، ووفقاً لبنود الصفقة ستحصل لبنان والأردن على فوائد جمّة من المشروع ثمناً لما ستقدّمه لتوطين الفلسطينيين، لكن الأردن وبقية الدول المضيفة رفضت مشاريع التوطين جملةً وتفصيلاً.

وكانت إدارة ترامب قد حسمت موقفها وقررت يوم 31 أغسطس/آب 2018، وقف التمويل كليًا عن وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، وقبل أن تحسم قرارها بشكل نهائي، قامت في مطلع عام 2018 بتخفيض الدعم السنوي

الذي تقدمه الولايات المتحدة للوكالة من 365 مليون دولار إلى 125 مليونا، لكنها لم تقدم منها سوى 60 مليونا فقط.

وكان التمويل الأميركي للوكالة يمثّل سابقًا ثلث ميزانيتها السنوية البالغة 1.24 مليار دولار، وهو ما يؤثّر جذريًّا على حياة ملايين اللاجئين الفلسطينيين المعتمدين على خدمات الوكالة في الضفة الغربية وقطاع غزة والأردن وسوريا ولبنان.

ما يلفت الانتباه أن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن، تلتزم بمعظم بنود صفقة ترامب خاصةً تلك المتعلقة بالقدس عاصمة موحدة للكيان الصهيوني، ورفض حق العودة وهي رغم تخليها عن قرار الرئيس الأمريكي بشأن وقف الدعم عن وكالة الغوث، إلا أن موقفها الأخير بشأن وقف تمويلها ثم تراجعها التكتيكي عنه، يدل على نواياها المضمرة باتجاه العمل على إلغاء الأونروا في مرحلة لاحقة .

لماذا تريد إسرائيل التخلص من الأونروا؟

وأخيراً يبقى السؤال: لماذا يواصل العدو جهوده للتخلص من «الأونروا»؟

يعود هذا الإصرار الصهيوني لتصفية الأونروا وفق العديد من المصادر لعدة اعتبارات وأبرزها:

1. البعد الديمغرافي الفلسطيني:

يرى الكيان الصهيوني أن الأونروا تساهم في إدامة قضية اللاجئين، بل وتضخيمها مع زيادة عدد اللاجئين المسجلين بها من 700 ألف شخص في عام 1948 إلى 5.5 ملايين شخص حاليا نظرا لمنح أبناء وأحفاد اللاجئين في عام 1948 صفة اللاجئ.

ويعتبر الكيان الصهيوني أن عودة اللاجئين تمثل تهديدا ديمغرافيا للأغلبية اليهودية في (إسرائيل)، وبالتالي فهي قضية غير قابلة للحل في أي مفاوضات مستقبلية مع الفلسطينيين. ولذا تدفع باتجاه دمج اللاجئين في أماكن إقامتهم؛ وبالأخص في دول الجوار.

2. البعد التعبوي في المناهج التعليمية

لأن الأونروا تطبق المناهج التعليمية في الدول المضيفة التي تشدد على حق العودة وتندد بالمشروع الصهيوني في فلسطين، حيث يمثل الصرف على مدارس ومعاهد الأونروا 58% من ميزانيتها الإجمالية.

معركة رفح
بين الأحلام الإسرائيلية والواقع العنيد

◄ **محمد حسين** ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

يبدو أن إسرائيل غرقت في رمال غزة ويزداد غرقها يوماً بعد يوم نتيجة صمود الشعب الفلسطيني وثبات المقاومة الفلسطينية، فإسرائيل رغم كل المجازر والتدمير الذي قامت به ضد الشعب الفلسطيني في غزة إلا أن خياراتها أصبحت معدومة وهذا ما يثبته الميدان العسكري والسياسي، فهي لا تستطيع الانسحاب من غزة دون تحقيق نتائج ميدانية وسياسية (استعادة الأسرى، إنهاء أو إضعاف قدرات المقاومة الفلسطينية عسكرياً، إنهاء حكم حركة حماس)

وبنفس الوقت لم تعد قادرة على مواصلة الحرب بنفس الطريقة السابقة نتيجة صمود الشعب الفلسطيني الأسطوري ومقاومته الباسلة، وتكبدها خسائر بشرية كبيرة، خاصة أن المصادر الإسرائيلية تؤكد أن الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية باتت تعمل بشكل خلايا صغيرة وهذا يتطلب من إسرائيل خوض حرب استنزاف قد تستغرق سنوات، أضف إلى ذلك الضغط الكبير من الرأي العام العالمي على مستوى الشعوب، وحتى على مستوى الحكومات الغربية التي بدأ البعض منها يأخذ مواقف مزعجة لإسرائيل، خاصة بعد تهديد بعض الدول الغربية بالاعتراف بالدولة الفلسطينية من طرف واحد(إسبانيا) على المستوى السياسي،

لم تحصد إسرائيل أي منجز سياسي للحرب لا بل على العكس لا زالت تتخبط باليوم التالي لتوقف الحرب، خاصة بعد فشل مشروعها بإيجاد قيادة فلسطينية محلية تقود قطاع غزة تحت إشرافها،

فزاعة رفح والكأس المر

كل التقديرات تشير إلى أن قوة المقاومة الفلسطينية في رفح مضاعفة ولم تتأذى وأصبح لديها خبرة في المعارك وفي التكتيك الإسرائيلي مما يجعل صمودها مضاعف في وجه إسرائيل وخسائر الجانب الإسرائيلي مضاعفة فإذا كانت مدينة خان يونس قد صمدت في وجه إسرائيل مدة أربعة أشهر ولم تنته بعد واضطرت إسرائيل إلى سحب قواتها منها التي اعتبروها المحللين الإسرائيليين أنها بداية الهزيمة لإسرائيل فكم ستصمد مدينة رفح التي يوجد فيها قوات كبيرة من المقاومة وأسلحة نوعية إذا فكرت إسرائيل باقتحامها؟

أضف إلى ذلك الموقف المصري المعارض بشدة لأي عملية عسكرية في رفح خشية من عمليات تهجير واسعة قد تضر بالأمن القومي المصري،

عوامل متعددة ومتداخلة فلسطينياً وإقليمياً ودولياً تؤشر إلى أن إسرائيل في أحسن الحالات قد تقوم بعمليات دقيقة في منطقة رفح وهذا ما تحبذه الإدارة الأمريكية لأسباب عديدة وهذا الخيار لن يحقق لإسرائيل أي إنجاز نوعي وكبير،

أعتقد أننا في الربع ساعة الأخيرة من معركة طوفان الأقصى، التي تشير كل المعطيات إلى هزيمة أهداف عملية السيوف الحديدية التي أطلقتها إسرائيل وستكون مرغمة على البحث عن تسوية تخرج بموجبها من رمال غزة المتحركة.

التظاهرات والتفاعلات داخل «إسرائيل»
(صمود غزة يترك بصماته)

◄ **علي بدوان** ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

ليست التظاهرات والتفاعلات الجارية منذ فترة ليست بالقصيرة في «إسرائيل» وليدة اللحظة، فهي ما فتئت تتوسع منذ نهايات العام 2023 المنصرم، مع فشل حكومة نتنياهو و(كابينيت الحرب والطوارىء) من إنجاز تحوّل ملموس في سياق العدوان الهمجي على قطاع غزة، ومقتل المزيد من العسكريين «الإسرائيليين» الموجودين بقبضة قوى المقاومة الفلسطينية، وعجز قوات الإحتلال من الوصول اليهم واطلاقهم. فأندلعت التظاهرات ومارافقها ويرافقها من تفاعلات حتى الان، ومازالت تتواصل، وقد باتت تَرفَع شعاراتٍ جديدة تتعدى مسألة ابرام صفقة تبادل مع المقاومة الفلسطينية، باتجاه المطالبة بعناوين مُستجدّة بعد الصمود الكبير للشعب الفلسطيني، وفشل نتنياهو في دفع الفلسطينيين لرفع الرايات البيضاء.

إذاً، نحن الآن أمام عدة ملفات مُترابطة تتفاعل في الداخل «الإسرائيلي»:

أولها، الملف المُتعلق بشأن استمرار الحرب على قطاع غزة وانفلات جيش الاحتلال وعصابات المستوطنين في الضفة الغربية، مع وجود تباين في التقديرات بين أعضاء مجلس «كابينيت الحرب والطوارىء»، بين نتنياهو من جهة وأخرين، وعلى رأسهم رئيس المعارضة من حزب (أزرق ابيض/كاحول لافان) بيني غانتس، وقد زاد الأمر خلال الفترات الأخيرة حين طرأ تغيّر مُعين في موقف قادة «أجهزة الأمن الإسرائيلية»، وأعضاء في كابينيت الحرب، وبينهم قسم من وزراء حزب الليكود، الذين أصبح لسان حالهم يقول «أن الكرة انتقلت بقدرٍ كبير إلى الملعب الإسرائيلي بفعل سياسة نتنياهو المتخبطة في إدارة الأمور»، وزاد الأداء الفوضوي لنتنياهو مع تسلطه باتخاذ القرار وتجاوزه حتى مجلس «كابينيت الطوارىء والحرب» من نمو أجنحة جديدة للإحتجاجات على مستويات الحكومة والأذرع الأمنية والعسكرية وصولاً للشارع.

وثانيها، وجود تحوّلات حقيقية مع تزايد أعداد «الإسرائيليين» التي باتت تُدرك حجم ماحصل في قطاع غزة، وانعكاسات ذلك على «إسرائيل» ذاتها ولو بعد حين. وهذا لايعني بأن أصوات التطرف والسلوك الفاشي غابت، بل مازالت تتعالى تلك الأصوات عبر حناجر المهووسين والمتطرفين، وهي الأصوات التي تسود المجتمع «الإسرائيلي» عامة، وتنادي باستمرار الحرب والقتل والإبادة «الإسرائيلية» للفلسطينيين في قطاع غزة.

وثالثها، تزايد المطالبات «الإسرائيلية» المنادية برحيل نتنياهو، والعودة لإنتخابات مُبكّرة، وهو ماباتت تؤيده بعض المراجع في الإدارة الأمريكية علناً عبر إطلاق تصريحات من هنا وهناك. وقد كررت نتائج استطلاعات الرأي الأسبوعية في «إسرائيل» على عينات عشوائية رغبة الجمهور (المعارض للحرب والمؤيد لها على حدٍ سواء) برحيل نتنياهو- بإعتباره لم يستطع أن يقود دفة الأمور بالشكل الصحيح من وجهة نظر (المؤيدين والمعارضين للحرب). علماً أنَّ نتنياهو هو الشخصيّة السياسيّة الأبرز في «إسرائيل» في العَقدَيْن الماضيَيْن. وقد شغل منصبَ رئاسة الحكومة لأطول مدّة في تاريخ «النظام السياسيّ الإسرائيليّ»، متجاوزًا بذلك سنوات حكم مؤسِّس الدولة ديفيد بن غوريون. واستطاع نتنياهو أن يتجاوز كلّ عقبة اعترضت طريقه، وأن يحافظ على حكمه، وذلك على الرغم من وجود ثلاث لوائح اتّهام ضدّه في قضايا فساد وخيانة الثقة.

ورابعها، تزايد المظاهرات الواسعة في تل ابيب وحول منزل نتنياهو ومبنى الكنيست بالقدس من قبل الناس، ومطالبهم بحل مشكلة المفقودين (الأسرى)، حيث تَعتَبر عائلات الأسرى أنَّ إعادة الرهائن هي مسألة وجودية، وبدونها سيتفكك «المجتمع الإسرائيلي». فالمتظاهرين، والغالبية المتزايدة من المجتمع «الإسرائيلي» ومع توسّع رقعة الاحتجاجات، تُحمِّلَ عملياً نتنياهو المسؤولية الكاملة بشأن التعطيل في ملفّ إنجاز صفقة التبادل، وفي السقوط المدوي لدولة الإحتلال في المجتمع الدولي وعند غالبية شعوب العالم التي ملأت الشوارع تضامناً مع فلسطين وشعبها، وقد بات واضحاً أن من مصلحة نتنياهو تأخير الاتفاق بالنسبة لصفقة التبادل قدر الإمكان، وهو ما يفسّر التعنّت في رفض عودة النازحين إلى شمال قطاع غزة.

وخامساً، بروز أزمة «قانون التجنيد» على الحريديين من طلاب المعاهد الدينية بدلاً من اعفائهم، وهو مابات يُعرف بأزمة قانون التجنيد، حيث يحاول نتنياهو التوصّل إلى صيغة تعفي الحريديين عمليّاً من الخدمة العسكرية، فيما يطالب الجيش بتجنيد عشرين ألف جندي جديد لمواجهة التحديات الأمنية المتفاقمة. ولاننسى في هذا السياق حركات الاحتجاج التي قادت تظاهرات قبل العدوان على قطاع غزة ضدّ مخطّط (الانقلاب القضائي) وتخفيض سلطة المحكمة العليا من قبل نتنياهو.

التقديرات بشأن الإنتخابات المُبكّرة

مايهمنا هنا، في نقاشنا هذا، أن موجات الغضب تتصاعد في «إسرائيل» على نتنياهو، وقد لوحظ الأمر واضحاً في مظاهرات الأيام الأخيرة من شهر آذار/مارس 2024 المنصرم، وبدايات شهر نيسان 2024، وقد انتقلت تلك المطالب لتزاوج بين عدة أغراض وأهداف معلنة من قبل المتظاهرين: تحميل نتنياهو فشل التوصل الى صفقة تبادل أسرى. ومعارضة تشريع إعفاء الحريديين من التجنيد من قبل الأحزاب الحريدية (شاس ويهوديت هتوراة), وصولاً للمطالبة برحيل نتنياهو عن المشهد السياسي «الإسرائيلي»، والعودة لإجراء انتخابات تشريعية مُبكّرة للكنيست (وهذا ديدن الأمر الآن في إسرائيل). والمُضحك أن الصحافة العبرية كتبت يوم الإثنين الأول من نيسان/أبريل 2024 الجاري، أن الجمهور «الإسرائيلي» عندما سَمِعَ أنَّ نتنياهو سيخضع لعملية جراحية لمعالجة (فتاق)، رفض تصديق ذلك. وقال بعض المتظاهرون في تل أبيب إن «الأمر خدعة. وقد أُختلق هذا الأمر من أجل إسكاتنا. وهذا ليس فتاقاً. إنه مصاب بمرض آخر وأسوأ بكثير. جميعهم يكذبون».

الأمور الى أين في «إسرائيل»

إذاً، مظاهرات تل أبيب، القدس، وانتقالها من المطالبة بتوقيع صفقة بشأن الأسرى، الى مطالبتها برحيل نتنياهو والعودة للانتخابات المُبكّرة أصحت هي العنوان في الشارع، وعند صفوف قطاعات متزايدة من «الأنتلجنسيا الإسرائيلية». وكلها لها تفاصيل، وحيثيات، ومعاني، ودلالات، مضافاً اليها استخدام نتنياهو ورقة التلويح بالهجوم على رفح، بعد الفظائع التي ارتكبها جيش الاحتلال في مجمع الشفاء الطبي وماحوله.

في واقع الحال، مع اندلاع الحرب على قطاع غزّة، كان «الإجماع الإسرائيليّ» ينطلق من أنّ «الحرب هي حالة طوارئ استثنائيّة تُحيَّد فيها السياسة، وأنّ الوحدة هي حاجة وطنيّة في سبيل الانتصار في الحرب، وأنّ الخلافات السياسيّة يجب أن تبقى جانبًا حتّى انتهاء المعارك».

لذا، في بداية الحرب تم التوافق على تشكيل مجلس مُصغّر عنوانه «كابينيت الطوارى والحرب»، وقد ضم من المعارضة بيني غانتس، من أجل خوض الحرب بجبهة داخليّة موحَّدة، لكنه أصبح الآن يدعو لإنتخابات مُبكّرة. وهو مادفع نتنياهو لإعلاء صوته ضدّ فكرة الانتخابات، مُعتبراً أنّ «المطالَبة بإجراء انتخابات في إسرائيل تخدم أعداء إسرائيل»، وصرّح أنّه «لن تكون هنالك انتخابات قبل نيسان عام 2025». ويؤكّد هذا التصريح أنّ نتنياهو لن يتوجّه إلى انتخابات حتّى بعد انتهاء الحرب. لذا، يتمسّك بحكومته الحاليّة، ويرفض الاستقالة، وهذا ما يفسّر حرصه على إطالة الحرب، أو تحقيق «انتصار ساحق» (على حد تعبيره) من أجل أن يستعيد شعبيّته، أو أن يعطيه الانتصار شرعيّة لخوض الانتخابات.

مؤشرات نتائج استطلاعات الرأي

تَحمِلُ نتائج استطلاعات الرأي الأسبوعية في «إسرائيل» دلالات وتعطي

مـؤشرات، وبالـضرورة ليسـت قطعيـة، لكنهـا تقـترب مـن قيـاس المـزاج العـام للمجتمـع، ورغباتـه ورؤاه في كل مرحلـة وعنـد كل منعطـف. وقـد بـيّن اسـتطلاع (عـلى سـبيل المثـال) أجـراه مؤخّـرًا «المعهد الإسرائيـليّ للديمقراطيـة» في نيسـان/ أبريـل 2024، أنّ 71% مـن «الإسرائيليّين» يؤيّـدون إجـراء انتخابـات للكنيسـت، وهـم ينقسـمون إلى 38% يؤيّـدون تنظيـم الانتخابـات بعـد انتهـاء الحـرب، و33% يؤيّـدون الإعـلان حـالًا عـن حلّ الكنيسـت، وإجـراء انتخابـات بعـد ثلاثـة أشـهر كـما ينـصّ القانـون.

وبيّنـت أغلـب الاسـتطلاعات حصـول قائمـة المعسـكر المعـارض عـلى تمثيـل برلمـانيّ يصـل إلى اربعـين مقعـدًا، وهـي نتيجـة تُعَـدّ غـيرَ مسـبوقة لقائمـة انتخابيّـة منـذ انتخابـات الكنيسـت التـي جـرت عـام 1992. وفي المقابـل، حـزب الليكـود، برئاسـة بنيامـين نتنياهـو، سـوف ينهـار انتخابيًّـا، وسـيحصل عـلى 17 مقعـدًا. وفي المجْمَـل، تُشـير نتائـج الاسـتطلاعات إلى أنّ الحكومـة الحاليّـة (الليكـود + حـزبي التـوارة الحريديـين + أحـزاب الصهيونيـة الدينيـة) سـتحصل عـلى 45 مقعـدًا، في حـين أنّ المعارضـة سـتحصل عـلى 70 مقعـدًا، مـما يتيـح لهـا تشـكيل الحكومـة بسـهولة برئاسـة بِنِـي غـانتس.

كـما تُشـير الاسـتطلاعات أنّ مقاعـد حـزب «الصهيونيّـة الدينيّـة»، برئاسـة وزير الماليـة بتسـلئيل سـموتريتش، تـتراوح بـين أربعـة مقاعـد وعـدم اجتيـاز نسـبة الحسـم. في حـين أنّ حـزب «القـوة اليهوديّـة»، برئاسـة ليتـمار بـن غفـير، هـو الحـزب الوحيـد مـن بـين مركّبـات الائتـلاف الحكومـيّ الـذي نجـح في تعزيـز قوّتـه الانتخابيّـة، وهـذا نابـع بالأسـاس مـن حمْلـة توزيـع السـلاح التـي انتهجهـا هـذا الوزيـر خـلال الحـرب، وخطابـه، وسـلوكه ضـدّ الحكومـة، وكأنّـه في المعارَضـة، فهـو يَعـزو النجاحـات إليـه هـو، ويحمّـل الآخريـن مسـؤوليّة الإخفاقـات تحـت ذريعـة أنّهـم لا يسـتمعون لكلامـه، وهـو مـا يرفـع أسـهمه لـدى اليمـين المتطـرّف.

أمـا حـزب «العمـل» (المبـاي)، فالنتائـج تشـير لعـدم تجـاوزه نسـبة الحسـم، وبـذا يكـون الحـزب الـذي أسّـس «دولـة إسرائيـل» قـد انتهى من «المشـهد السـياسيّ الإسرائيـليّ»، بالإضافـة إلى أنّ حـزب «يوجـد مسـتقبل» (يـيش عتيـد) برئاسـة رئيـس المعارضـة تومـي لبيـد، وهـو الحزب الـذي كان الحـزب الأكـبر في المعارضـة، لـن يتمكّـن مـن تشـكيل الحكومـة، بـل قـد تمُكّـن النتائـج بِنِـي غانتـس مـن تشـكيلها.

إذاً، وفي مجـرى التطـورات الداخليـة «الإسرائيليـة»، وللوقـوف عـلى مؤشراتهـا، يُمكننـا (عـلى سـبيل التحديـد) الإسـتئناس بنتائـج الاسـتطلاع الأخـر، الـذي أجراهـا «المعهـد الإسرائيـلي» للديمقراطيـة ونـشرت نتائجـه يـوم الثلاثـاء في الثـاني مـن يناير 2024، وفيـه أنَّ 15% فقـط مـن «الإسرائيليين» يؤيـدون بقـاء نتنياهـو في رئاسـة الحكومـة بعـد الحـرب، مقابل 23% عـبروا عـن تأييدهـم لأن يتـولى الجنـرال (بينـي غانتـس) المنصـب. كـما أظهـر الاسـتطلاع أن 4% قالـوا إنهـم يفضلـون أي شـخص إلا نتنياهـو، فيـما قـال 30.5% إنهـم لا يملكـون إجابـة محـددة عـن هـذا السـؤال. وانقسـمت باقـي الأصـوات بـين رئيـس الحكومـة الأسـبق، نفتـالي بينيـت (6.5%)، وزعيـم المعارضـة، يائـير لابيـد (6.2%)، ووزيـر الأمـن القومـي، إيتـمار بـن غفـير (1.5%)، ووزيـر الأمـن، يـوآف غالانـت (0.4%)، ورئيـس الموسـاد السـابق، يـوسي كوهـين (1%)، ووزيـر الاقتصـاد، نـير بـركات (0.7%)، والوزيـر في كابينيـت الحـرب، غـادي آيزنكـوت (0.5%)، ونائـب رئيـس الأركان السـابق، عضـو الكنيسـت يائـير غـولان (0.5%)، فيـما قـال 4% إنهـم يفضلـون مرشـحا جديـدا مـن خـارج الحلبـة السياسـية، وقـال 4% إنهـم يفضلـون مرشـحاً آخـر مـن معسـكر اليمـن، وقـال 2% إنهـم يفضلـون مرشـحا آخـر مـن معسـكر يسـار الوسـط.

وانطلاقـاً مـن قرائتنـا للوقائـع، ونتائـج اسـتطلاعات الـرأي، فـإن نتنياهـو يسـعى لإطالـة زمـن الحـرب ولـو بوتـيرة معينـة، كأسـاس لبقائـه السـياسي عـلى خلفيـة «الإنتقـادات الإسرائيليـة الداخليـة» بإخفـاق حكومتـه فيـما ذهبـت اليـه في الحـرب عـلى قطـاع غـزة، ويأمـل البعـض في اليمـين المتطـرف في التراجـع عـن فـك الارتبـاط عـن القطـاع وإعـادة المسـتوطنات التـي جـرى تفكيكهـا عـام 2005.

ولكـن هـل مـن المُمكـن أن يسـتمر نتنياهـو بحـربٍ باتـت عبثيـة بالنسـبة لمعظـم «الداخـل الإسرائيلي» عامـة، حربٍ تسـتنزف كل يـوم جنـود الاحتـلال..؟؟؟

سـؤال يحتـاج لإجابـة، والإجابـة تفصـح عـن نفسـها كل يـوم، مـع فشـل الإحتـلال في إحـداث نكبـة جديـدة بحـق شـعبنا في القطـاع، وفي حمـلات التضامـن العالميـة الكـبرى الى جانـب كفاحـه العـادل، وهـي حمـلات تضامنيـة لم يشـهدها التاريـخ الحديـث والمعـاصر.

حكومة الحسم الصهيونية وفشل سياسة التهجير

◄ د. عزمي منصور
باحث في علم الاجتماع السياسي

لقد مارست الدول الاستعمارية سياسة الهندسة الاجتماعية؛ كوسيلة من وسائل الاستعمار من اجل السيطرة والنهب والنفوذ؛ فقد مارست بريطانيا ذلك في جنوب افريقيا؛ وكذلك فرنسا في الجزائر؛ أما امريكا فقد مارست هذه المهمة بطريقة همجية؛ حيث ابادت ملايين من السكان الاصليين من الهنود الحمر؛ وحلت محلهم.

حاول وزير خارجية بريطانيا «بلفور» ممارسة هذه السياسة في فلسطين، حيث تم جلب مستعمرين من اليهود الصهاينة إلى فلسطين بطرق مختلفة؛ ليحلوا محل السكان الأصليين، ومارس الصهاينة الدخلاء سياسة الارهاب ،بعد أن فشلوا في شراء الأراضي؛ فمنذ الحرب العالمية الأولى وحتى عام 1948؛ لم يتمكن اليهود الصهاينة من الاستيلاء سوى على 6% من أرض فلسطين بطرق ملتوية بدعم من الانتداب البريطاني؛ وهذه المساحة غير كافية لإقامة كيان أو «دولة»؛ لذا تم ممارسة العنف والارهاب لتهجير المواطنين الفلسطينيين؛ وطردهم والاستيلاء على أراضيهم؛ وقد ساهمت الدول الاستعمارية من خلال سياسة الترغيب والترهيب في الحصول على عدد من الأصوات في الامم المتحدة ،للاعتراف بالكيان الصهيوني الوليد عام 1948؛ في حدود مشروع تقسيم فلسطين لعام 1947.

لم يكتف الكيان الصهيوني الوليد والغريب بذلك؛ حيث زاد من مساحة احتلاله أكثر مما هو منصوص عليه في مشروع التقسيم، كما أنه استثمر اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية؛ مع الاردن وسوريا ولبنان ومصر؛ للاستيلاء على مساحات أخرى من فلسطين، كما حصل في منطقة المثلث، كما أن اتفاقية العوجة مع مصر عام 1950، مكنت العدو من الاستيلاء على أكثر من 200 كيلو متر مربع من مساحه قطاع غزه، حيث ترتب على ذلك هجرة إضافية الى قطاع غزة.

لقد ترتب على مجمل هذا الصراع هجرة ما يقارب مليون فلسطيني من وطنهم الى الدول العربية المجاورة؛ ومنهم من أصبح لاجئا في وطنه؛ سواء في قطاع غزة أو ما بات يعرف بالضفة الغربية من فلسطين؛ او في المناطق المحتلة عام 48.

وفي حرب عام 1967؛ تم احتلال الضفة الغربية؛ التي كانت في إطار المملكة الأردنية الهاشمية، كما تم احتلال قطاع غزة، التي كانت تحت السيادة المصرية؛ وبهذا أصبحت كل فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني؛ وترتب على ذلك حركة نزوح كبيرة إلى الأردن.

لقد تعاقب على كيان الاحتلال عدة حكومات؛ وجلها مؤيداً للاستيطان؛ ومارست الاستيطان في قطاع غزة وفي الضفة الغربية وضمت مدينه القدس؛ لكن في ظل حكومة نتنياهو الأخيرة؛ المتحالفة مع اليمين الصهيوني الفاشي؛ من أحزاب الصهيونية الدينية المشجعة لمزيد من الاستيطان، والتي باتت تسمي نفسها بحكومة (الحسم)؛ أي حسم القضايا التي اجلتها منظمة التحرير الفلسطينية بموجب اتفاقيات أوسلو؛ الى مفاوضات الحل النهائي؛ وهي: اللاجئين والحدود والمياه والمستوطنات والقدس.

فقامت هذه الحكومة بمصادرة المياه الجوفية من خلال التهام المزيد من الأراضي؛ كما زادت من وتيرة الاستيطان في الضفة الغربية، بما فيها الأراضي المحاذية للحدود مع الاردن كالأغوار؛ أما القدس فقد قطع العدو خطوات عديدة لتهويدها، خاصة بعد اعتراف أمريكا ترامب بالقدس الموحدة كعاصمة للكيان الصهيوني.

أما موضوع اللاجئين وهو الأهم من بين القضايا؛ فعدا عن رفض عودتهم حتى إلى الضفة الغربية وقطاع غزة؛ فإن خطة الحكومة الفاشية الحالية، تتضمن تهجير كل الفلسطينيين إلى الأردن ومصر وغيرها، بعد اعتماد قانون (يهودية الدولة)؛ وبات العمل على وضع الفلسطينيين أمام خيارين: أما القبول بالأمر الواقع بيهودية الدولة؛ والعيش في كنفها كمقيم من الدرجة الثانية؛ أو الرفض وبالتالي مواجهة السجن أو الموت او التهجير سواء قسرا او طوعا.

لقد أدرك شعبنا الفلسطيني الذي ما انفك عن النضال؛ من أجل حقوقه؛ على مدار قرن من الزمن؛ بين المد والجزر؛ ولكنه لم يسلم بحقوقه التاريخية؛ ولم ولن يقبل بالترانسفير أو التهجير من وطنه؛ مهما كانت الظروف؛ نظراً لما شاهده وعايشه من معاناة اللاجئين عام 1948؛ حيث عانى اللاجئون من الظلم والاضطهاد والتمييز والعيش في مخيمات البؤس؛ وعلى إعانات وكالة الغوث.

ففي بعض بلدان اللجوء حرم اللاجئون الفلسطينيون، من العمل والوظائف، وفي بلدان اخرى عانوا من التمييز والاضطهاد، بل وأصبح اللاجئ الفلسطيني مشبوها امنيا في بلدان اخرى، وعليه فان الموت في الوطن أصبح اهون عليه من التهجير، فتمسك بأرضه ووطنه؛ وقاوم كل سياسات الترانسفير والتهجير.

لقد كان من أهداف معركة طوفان الأقصى في السياق الاستراتيجي، إفشال مشروع التهجير وإفشال مشروع تهويد القدس والأقصى، فكانت المعركة ضربة استباقية للعدو هزت كيانه واضعفته بشكل غير مسبوق، مما حدا بالعدو الى ممارسة سياسة الانتقام والابادة الجماعية وتدمير البنى التحتية سواء بالضفة أو القطاع، لجعل الارض غير قابلة للحياة؛ ودفع المواطنين للهجرة طوعا أو قسراً.

ولكن المقاومة الباسلة وصمودها وانتصاراتها، وصمود شعبنا وتضحياته الجسام والأسطورية؛ وتمسكه بأرض الوطن رغم الآلام والعذاب والتجويع والإبادة الجماعية، وتدمير البنية التحتية افشل هذا المشروع، فكل تلك الجرائم سواء في غزة أو الضفة؛ لم تفل من عزيمة وارادة شعبنا بالصمود؛ والتمسك بارض الوطن، وإفشال مخططاته الرامية للتهجير.

فرغم مرور أكثر من ستة أشهر على حرب الابادة الجماعية؛ وارتكاب جرائم الحرب من قتل وتعذيب وتدمير كل اسباب الحياة، بالإضافة للتجويع وتدمير البنى التحتية والحصار، إلا أن شعبنا لم يستسلم؛ بل ازداد قناعة وايمانا بجدوى المقاومة؛ لأنها السبيل الامثل لحفظ الحقوق؛ واعطاء الامل بالعودة؛ التي طال انتظارها، كما ازداد قناعة وايمانا بعدم جدوى الحلول السلمية؛ والمفاوضات العبثية؛ التي جلبت الوبال على شعبنا الفلسطيني، وساومت وتنازلت عن حقوقه التاريخية.

د وضعت معركة طوفان الاقصى، حجر الاساس لحسم القضايا النهائية بشكل عكسي لما اراده العدو، بل اصبحت هزيمة هذا الكيان الذي ادعى عرب الرده انه لا يقهر ممكنةً جداً؛ وأن مصيره الى زوال.

الرد الإسرائيلي على الهجوم الإيراني بين التردد والحسم
ماذا يحدث خلف الكواليس؟؟!

◄ **نبال عمر** ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

هل ما زال الواقع رمادياً بعد الضربات الإيرانية؟!
هل حقّقت الضربات الإيرانية انتصاراً ساحقاً؟!
هل استفاد الاحتلال الإسرائيلي من الضربات الإيرانية؟!
كيف تعاملت الولايات المتحدة الأمريكية مع نتنياهو عقب الضربات الإيرانية؟
هل حقَّقَ نتنياهو مبتغاه في خلق بيئة إسرائيلية موحدة ملتفّة حوله، متجاهلةً الأزمات الداخلية؟!
هل استطاعت الهاسبارا الإسرائيلية استعادة صورة الضحية، بعد أن أصبحت مجرمة في عيون العالم أجمع؟

نعم ما زال الواقع رمادياً ولم تكن الضربات الإيرانية كما صورتها مختلف وسائل الإعلام تبعاً لرؤيتها فلا هي أفادت الاحتلال الإسرائيلي ولا هي حققت صورة برّاقة لإيران وأوقفت مجازر الاحتلال في قطاع غزة أو ردعته عن ارتكاب المزيد من السفك والبطش لكن يجب ذكر الحقيقة كما هي وأن الجرأة الإيرانية أربكت المشهد وأنها دفعت الحرب الحالية على شفير الحفرة للحرب الإقليمية والتي يسعى نتنياهو لأجلها، وجدير بالذكر أيضاً أن الاحتلال الإسرائيلي لم يستفد من الضربات الإيرانية كما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حاولت حشد الرأي العام لدعم الاحتلال الإسرائيلي مجددا وتصويره على أنه الضحية، ولم يجد نتنياهو مبتغاه في خلق بيئة إسرائيلية موحدة ملتفّة حوله ضد الخطر الإيراني كما أراد منذ تواجده في سدّة الحكم، بل عادت صورة الاحتلال المجرم على مواقع التواصل الاجتماعي بعد اكتشاف المقابر الجماعية بالقرب من مجمع الشفاء الطبي وعادت مطالبات عوائل الأسرى المستوطنين بعقد صفقة تبادل أسرى بشكل فوري وعادت منشورات شتم الحكومة الإسرائيلية على مواقع التواصل الاجتماعي بين المستوطنين وعادت المطالبات بحل الأزمة الاقتصادية في الأراضي المحتلة عقب الضربات الإيرانية بساعات وكما يقولون بالعبرية عن دولتهم (يسرائيل نخريفيت) معناها أنها تحترق

تراجع الاحتلال عن قصف إيران مرتين في أسبوع واحد

وفي سياق منفصل عن النتائج كشفت هيئة البث الإسرائيلية أن حكومة الاحتلال ألغت في اللحظة الأخيرة هجوماً وشيكاً على طهران ردّا على الهجوم الذي شنته الأخيرة بمئات المسيرات والصواريخ وفي ذات الوقت أشارت الهيئة إلى أن أغلبية أعضاء مجلس وزراء الحرب الإسرائيلي كانوا يؤيدون شن الهجوم الذي كان على وشك التنفيذ بما فيهم بيني غانتس وغادي آيزنكوت قبل إلغائه في اللحظة الأخيرة، وذكرت الهيئة أن بعض المصادر المطلعة على التفاصيل قالت إن الإلغاء جاء عقب المحادثة التي جرت بين الرئيس الأميركي جو بايدن ورئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، في حين ذكرت مصادر أخرى وفقاً للهيئة الإسرائيلية أن سبب الإلغاء هو أن الأضرار الناجمة عن الهجوم الإيراني لم تكن كبيرة وبدورها أكدت القناة 13 العبرية أن غانتس وغادي آيزنكوت أيدا الرد السريع على إيران خلال اجتماع مجلس الحرب ولكن متحدثاً عسكرياً إسرائيلياً قال إن إسرائيل ما زالت في حالة تأهب بعد هجوم إيران وأقرت خططاً دفاعية وهجومية وبالمقابل نقلت شبكة سي إن إن عن مسؤولين إسرائيليين، قولهم أن تل أبيب عازمة على الرد لكن لم يتقرر بعد نطاقه وتوقيته، كما نقلت عنهم أيضاً

أن اجتماع مجلس وزراء الحرب انتهى دون اتخاذ قرار بشأن كيفية الرد على الهجوم الإيراني، وأن مجلس الحرب الإسرائيلي بحث سبل الرد على الهجوم الانتقامي الذي شنته إيران بصواريخ ومسيرات على مدن في الأراضي المحتلة، وقالت صحيفة يديعوت أحرنوت أن الاجتماع انتهى ولم تذكر تفاصيل أخرى بشأن ما خلص إليه الاجتماع من قرارات وذكر موقع واللا الإسرائيلي عن خمسة مصادر أميركية وإسرائيلية أن إسرائيل كانت تنوي قصف إيران يوم الإثنين لكنها تراجعت عن ذلك، وأن مجلس الحرب تراجع عن منح الضوء الأخضر للجيش للهجوم على إيران "لأسباب عملياتية» وهذا يعني أن حكومة نتنياهو تراجعت مرّتين حتى الآن يوم السبت ويوم الإثنين عن الرد على إيران، وبذات الوقت نشرت القناة 14 العبرية أن مجلس الحرب قد صادق على عملية الرد على الهجوم الإيراني شكلاً وتوقيتاً، وهذا يعود بنا إلى التخبط الذي شهدناه في الفترة الأولى لهجوم المقاومة الفلسطينية على القرى المحتلة في غلاف غزة، حيث كانت تصدر التصريحات والأخبار بشكل غير مفهوم فنرى الخبر ونفيه والتصريح وعكسه. لكن السؤال الذي يراود الجميع **هل أنهت هذه الضربات الإيرانية الخلاف العميق بين بايدن ونتنياهو؟**

جرت مكالمة بين بايدن ونتنياهو في الساعة الرابعة صباحاً في ليلة الهجوم ووفقاً لمسؤولين في الإدارة الأميركية فقد أكد الرئيس الأميركي جو بايدن مجدداً دعمه للدفاع عن الكيان الإسرائيلي وأخبر نتنياهو وهنا أقتبس «إسرائيل تقدّمت بفارق كبير وأظهرت تفوقاً عسكرياً وأن واشنطن ترى أن صد الهجوم الإيراني هو انتصار كافٍ لنتنياهو وأنها لن تشارك في أي هجوم قد تشنه إسرائيل ردّا على هجمات إيران» حيث من الواضح للمراقبين للمشهد والمتابعين للأحداث أنه لا تزال حكومة الكيان في خلاف مع الرئيس الأميركي جو بايدن بعد فشلها في تحقيق أهداف الحرب (القضاء على حماس واستعادة الأسرى) في فترة تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية تقديم الغطاء الدبلوماسي دون وجود عقبات، ووصول دولة الاحتلال إلى محكمتي العدل والجنايات الدولية وقتلها آلاف المدنيين وعمّال الإغاثة والمجاعة في شمال القطاع، فإن احتمالات الرد الإسرائيلي وتطور المعركة مع إيران بما في ذلك مشاركة حلفائها في المنطقة سيعزز الخلافات مع نتنياهو الذي أدى باستفزازه لإيران متعمداً ذلك إلى ضرب الإستراتيجية الأميركية في المنطقة، والتي ترغب في تحقيق استقرار مستدام يمكنها من العودة والتفرغ للتحدي الصيني والروسي.

كيف تعامل نتنياهو مع نصائح السياسين الغربيين بشأن الرد على إيران؟

حاول نتنياهو عدم الرد على المكالمات من زعماء أوروبا خشية أن يضغطوا عليه بعدم الرد وشكرهم على وقوفهم بجانب الكيان وصرّح أن هذا شأن إسرائيلي، رغم محاولة بايدن وزعماء الغرب احتواء الأمور وضمان التفكير في جميع السيناريوهات بدقة قبل اتخاذ أي قرار.

كيف نظر المحللون الإسرائيليون لمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في صد الهجوم الإيراني؟

كتب الصحفي آنشتري بيبر في صحيفة هآرتس أن وقوف بايدن مع إسرائيل جاء ليحميها من نفسها ومن حكومتها وهنا أقتبس «دعونا لا نخطئ الوقوف السريع لأميركا وكذلك دول غربية وأخرى عربية أيضاً ضد الهجوم الإيراني هذا ليس دلالة على نهاية الخلاف العميق بين بايدن ونتنياهو إثر الحرب على غزة حيث كل هذا ما زال قائماً ومع ذلك أثبت بايدن أنه الصديق الأكثر ولاءً لإسرائيل في تاريخ التحالف الطويل بين البلدين وهذا هو السبب الأول والرئيس الذي دفعه إلى إصدار تعليماته بخلق غلاف واقٍ ضد الهجوم الإيراني حيث في قراءة المقال يدرك القارئ أن الكاتب يرى أن بايدن يحمي الكيان من مسيرات إيران وحماقة نتنياهو والحكومة حوله حسب مفردات آنشتري وأن الدفاع الإسرائيلي أصلاً تم تطويره بواسطة خبرة وتمويل أميركي سخي، أقتبس مجدداً من ذات المقال « وعلى الرغم من ذلك فإن فترة الإنذار الطويلة التي كانت لدى إسرائيل والدعم الأميركي ودول أخرى هو من أحبط العملية ومع ذلك أصابت بعض الصواريخ أهدافها بشكل مباشر كالقاعدة التي انطلق منها الهجوم على السفارة الإيرانية بدمشق، لقد فقد بايدن الثقة بنتنياهو منذ زمن طويل وهو يعلم أنه عند كل مفترق طرق حين يتعين على رئيس الوزراء نتنياهو الاختيار بين مصلحة إسرائيل وبقاءه السياسي الذي يعتمد على بن غفير وسموتريتش سيختار الخيار الثاني».

وجدير بالذكر أيضا أن النفسية الإسرائيلية المتعالية رأت أن الضربة الإيرانية هزّت صورة الردع الإسرائيلية للمرة الأولى من دولة على الصعيد الإقليمي بعد أن تخلخلت على الصعيد الفلسطيني بعد عملية طوفان الأقصى ولكن الأهم من ذلك هو أن مكانة إسرائيل الإستراتيجية تضعضعت أكثر وأكثر وهو ما يتطلب ضربة إسرائيلية على العمق الإيراني لإثبات تفوق إسرائيل في المنطقة ولكن القسم الآخر من الإسرائيليين يرون أنه المرة الثانية خلال ستة أشهر ونيف حاجة إسرائيل للتدخل الأميركي والغربي لحمايتها بعد أن فقدت هيبتها ومكانتها في المنطقة بعد أن أصبحت مستباحة من الصواريخ والمسيرات من غزة ولبنان وسوريا واليمن وأخيراً إيران.

لو خُيّر نتنياهو بين الالتزام بمطالب أميركا بشكل الرد على إيران أو عدمه والبقاء السياسي فأي الخيارين سيختار؟!

سيثبت نتنياهو مجدداً أنه يعمل لمصلحته الشخصية وأنه قد يتسبب بضرر للمصالح الأميركية مما سيزيد من خلافاته مع الإدارة الأميركية بضبط الرد على إيران، كما فعل وتجاهل المطالب الأميركية في حربه على غزة حيث تقول إن بي سي عن مسؤولين أمريكيين أن واشنطن قلقة من رد إسرائيلي على هجوم إيران دون التفكير في التداعيات وتتخوف من أن نتنياهو يحاول جرها لصراع إقليمي، وقد تسمح واشنطن لإسرائيل بعمليات انتقامية وربما في مناطق نفوذ إيران مثل سوريا ولبنان والعراق وحتى اليمن وهو ما قد يقنع إيران بالرد الموضعي من خلال حلفائها في المنطقة ومع ذلك فلا ضمانات بعدم التصعيد لأن الاحتلال الإسرائيلي تعرض لضربة واسعة غير مسبوقة في تاريخه من دولة إسلامية في ظل حكومة فيها عتاة المتطرفين الذين يدفعون دوماً للمواجهة وهذا أصلاً ما يتماشى مع مصالح نتنياهو بالتصعيد واستمرار الحرب في المنطقة حتى يظل على رأس الحكم.

الشهيد وليد دقّة وثقافة المقاومة

◄ تغريد بومرعي
شاعرة ومترجمة ـ لبنان

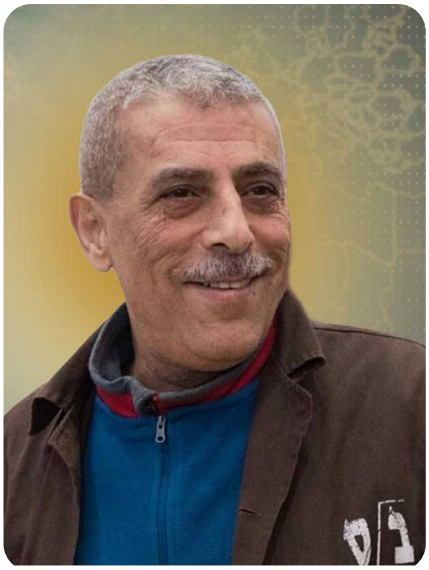

الشهيد وليد دقة، الذي وُلد في باقة الغربية في أراضي الـ48، كان قائدًا وطنيًا معتقلاً عام 1986 بسبب نشاطاته الوطنية المقاومة، وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة. تعرض لأبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي من قبل سلطات الاحتلال، بالإضافة إلى معاناته مع مرض السرطان الذي أدى إلى تدهور حالته الصحية ووفاته، بسبب سياسة الإهمال الطبي القسري التي فرضها الاحتلال.

مر الأسير الفلسطيني الشهيد وليد دقة، البالغ من العمر 62 عاماً، بسلسلة من الإجراءات الفاشية التي ينتهجها الاحتلال الإسرائيلي للتعذيب والتنكيل بالأسرى الفلسطينيين. تشمل هذه الإجراءات حرمان الأسرى من العلاج الطبي الضروري، حتى عندما يكونون مصابين بأمراض خطيرة، ورفض الإفراج عنهم حتى بعد انتهاء مدة حكمهم، ومنعهم من الحصول على حقوق قانونية بسيطة مثل الاعتراف بأبوتهم. ومع استشهاد الأسير، لا تتوقف الانتهاكات، حيث يمنع الاحتلال عائلته من استلام جثمانه ودفنه بشكل لائق، ويمنع إقامة دار عزاء له. وبينما يستمر التنكيل، إضافة إلى الآلاف المعتقلين بدون محاكمات عادلة، فإن هذه الانتهاكات لم تجذب انتباه المنظمات الحقوقية فحسب، بل أيضاً المنظمات الدولية المعترف بها. وعلى الرغم من القمع، فإن الأسرى الفلسطينيين يظهرون تفانيًا لا حدود له، حيث يواصلون دراستهم وكتابة الأعمال الأدبية والفكرية داخل السجون. ومن بين هؤلاء الأسرى الأبطال كان وليد دقة، الذي نجح في إنجاب طفلة عام 2020 عبر «تحرير نطفة» مهربة، رغم قيود الاحتلال، وكان له إسهامات مهمة في الأدب والفكر الفلسطيني، فخلال فترة اعتقاله الطويلة، قدم الشهيد دقة مساهمات فعّالة في المجال الثقافي والمعرفي من خلال كتابة العديد من الكتب والدراسات والمقالات، التي ساهمت في فهم تجربة السجن والمقاومة. ومن بين أبرز أعماله: «الزمن الموازي»، «ويوميات المقاومة في مخيم جنين»، «وصهر الوعي»، و«حكاية سر الزيت".

هذه الأعمال الأدبية والفكرية تناولت مواضيع متعددة، تتنوع بين مواضيع الاعتقال والمقاومة والصمود، وكذلك بين المواضيع الاجتماعية والسياسية التي تؤثر على الحياة في فلسطين، يعتبر كتاب «صهر الوعي» من بين أهم أعمال وليد دقة، وهو يتناول تجربته الشخصية كمقاوم في السجون الإسرائيلية ويسلط الضوء على معاناة المعتقلين الفلسطينيين والظروف القاسية التي يواجهونها.

"الزمن الموازي»: يتحدث هذا الكتاب عن تجربة وليد دقة كمقاوم ومعتقل في السجون الإسرائيلية، ويستعرض تفاصيل الحياة داخل السجون والصراع الدائر مع الاحتلال.

"ويوميات المقاومة في مخيم جنين»: يتناول هذا الكتاب وقائع وتجارب المقاومة في مخيم جنين ودور وليد دقة في تنظيم وتشجيع النضال في المنطقة.

"حكاية سر الزيت»: يتناول هذا الكتاب قصة خيالية تحمل رسالة تحفيزية وتحمل معاني المقاومة والصمود ضد الظروف الصعبة.

رغم القيود التي جرت على جسد الشهيد وليد دقة، إلا أن نور روحه وأفكاره تألقت بين الزنازين، متجاوزة الحدود المحيطة به. عبر رسائله وأحلامه والقصص التي تناقلها الآخرون عن إرادته القوية، أصبح وليد دقة شخصية مؤثرة وملهمة للكثيرين خارج أسوار السجن. فروحه القوية وإرثه المتيّم جعلاه رمزًا للصمود والصبر.

إن ثقافة المقاومة تمثل مجموعة القيم والمبادئ والسلوكيات التي تعكس روح المقاومة والصمود ضد الظلم والاحتلال. تشمل هذه الثقافة القدرة على التحمل والصمود في وجه التحديات، والالتزام بالقيم الوطنية والإنسانية، والاستعداد للتضحية من أجل الحرية والكرامة.

وليد دقة، كمقاوم فلسطيني، كان يتجسد فيه هذه الثقافة بوضوح. كان يمثل الصمود والعزيمة في مواجهة القمع والظلم، وكان ملتزمًا بقيم الكرامة والعدالة وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. تجسدت تجربته الشخصية وتضحياته في السجون الإسرائيلية كمقاوم في مواجهة الاحتلال، حيث قاوم بكل شجاعة وإرادة قوية، رغم الظروف الصعبة التي مر بها.

تضحياته كمقاوم تعكس جوهر ثقافة المقاومة، حيث كان يضع مصلحة القضية الفلسطينية فوق مصلحته الشخصية، وكان مستعدًا لتحمل أي تضحية من أجلها. بالتالي، تجسدت تجربته وتضحياته في سبيل الحرية والكرامة كجزء لا يتجزأ من ثقافة المقاومة، وأصبحت قصته مصدر إلهام وتحفيز للمجتمع الفلسطيني ولكل من يؤمن بالعدالة والحرية.

صهر الوعي كأدب مقاوم وثقافة المقاومة في الزمن الموازي، وفقا لرؤية وليد دقة، يعبران عن تجربته الشخصية وتضحياته كمقاوم، حيث يتجسد الوعي في كتاباته كأداة للتحرر والتصدي للظلم والاستبداد. يتناول وليد دقة في أعماله مواضيع الاحتلال والاضطهاد، ويسلط

الضوء على قضايا العدالة والحرية، معتمداً على منهجية مقاومة تعتمد على الوعي والتحليل العميق للواقع.

صهر الوعي كمصطلح يشير إلى عملية تشكيل الوعي الجماعي وتعزيزه، وهو مفهوم يعتبر أساسيًا في الحركات المقاومة. يرى وليد دقة أن الوعي يأتي عبر التعليم والتثقيف، ومن ثم يترجمه إلى أدب المقاومة، الذي يعبر فيه عن تجارب الشعب ونضاله من أجل الحرية والكرامة.

كمقاوم، ركز وليد دقة في كتاباته على تسليط الضوء على تجارب الأسرى والمعتقلين ومعاناتهم، مما يجعل أدبه ضد الظلم والاستعمار. يعتبر كتابه «صهر الوعي» مرآة تعكس واقع المعتقل الفلسطيني ومعاناته، ويعتبره رمزًا للصمود والتصدي للاحتلال.

بهذه الطريقة، تكون رؤية وليد دقة تجسيداً للإرادة الثابتة على مواجهة القمع والظلم، وترسيخ الوعي والمقاومة كأسلوب حياة وثقافة تستند إلى الحرية والكرامة.

"صهر الوعي» لوليد دقة ليس مجرد كتاب، بل هو تجربة شخصية تروي تفاصيل حياة المعتقل الفلسطيني وتجاربه داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي. يسلط هذا الكتاب الضوء على الصعوبات والمعاناة التي يواجهها المعتقلون الفلسطينيون، بما في ذلك التعذيب والاعتقال التعسفي والإهمال الطبي. من خلال صفحاته، يصوّر دقة حالة المعتقلين وكيف يواجهون التحديات بالصمود والإرادة القوية.

يتناول الكتاب أيضًا العلاقة بين المعتقل والوعي، وكيف يتمكن المعتقل من تطوير وعيه والثبات على مبادئه وقيمه رغم قساوة الظروف. بفضل محتواه المقاوم، يُعتبر «صهر الوعي» رمزًا للصمود والتصدي للاحتلال الإسرائيلي. فهو يعبر عن إصرار المعتقلين على مواصلة النضال من أجل الحرية والكرامة.

بهذه الطريقة، يتجلى دور كتاب «صهر الوعي» كنافذة تُلقي الضوء على واقع المعتقل الفلسطيني ومعاناته، وفي الوقت نفسه يمثل رمزًا للصمود والتصدي للقمع والظلم، مما يجعله مرجعًا هامًا في فهم ودراسة حركة المقاومة الفلسطينية وتجارب الأسرى والمعتقلين.

صمود الوعي ووعي الصمود

◄ **د. وائل الزريعي** ـ مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

السجون الصهيونية أكثر من أداة للقمع الجسدي، لكنها مختبرات لمحاولة هندسة وعي المناضل الفلسطيني، وإعادة تشكيله، بهدف تحويل الحركة الأسيرة، التي تمثل الطليعة النضالية، والعنوان الأساسي لفكرة الصمود والمقاومة للشعب الفلسطيني، في مواجهة الاحتلال لأداة طيعة في يد المحتل والسجان.

ارتقى **المفكر وليد دقة** على طريق التحرير، بعد أن واجه آلة القتل المادي والمعنوي للاحتلال الصهيوني ممتشقاً أمضى سلاح للمقاتل وهو عقله. حيث شكلت تجربة الأسر التي عاشها المفكر وليد دقة فرصة لدراسة البنية الفكرية للاحتلال الصهيوني، وخطورة ممارسته للإبادة المعنوية للشعب الفلسطيني داخل وخارج السجون، مدركا أهمية بناء الوعي الفلسطيني في مواجهة سياسة صهر الوعي التي مارسها وما زال يمارسها الاحتلال، ضد الشعب الفلسطيني، في أرجاء فلسطين المحتلة، ففي معركة التحرر يجد الشعب الفلسطيني نفسه في مواجهة عدو لا يختلف في تكوينه وبنيته الفكرية عن قوى الشر الاستعمارية، والتي تضيع الإبادة كعنوان رئيسي، للقضاء على الشعوب المستعمرة، ليس فقط عبر الاستيلاء على مقدراتها المادية، ولكن أيضاً عبر إبادتها معنوياً وثقافياً.

لكن يعتبر العدو الصهيوني أكثرها بشاعة على صعيد استهداف الوعي، ومنظومة القيم، لقد حول الاحتلال الصهيوني الحرب على الوعي إلى نشاط علمي تطبق فيه نظريات الهندسة البشرية، ونظريات التحكم في الشعوب والجماعات. ليواجه الشعب الفلسطيني احتلالا لا يستهدف الأرض فقط، لكنه يستهدف الإنسان جسدا ووعيا، أما الجسد فمن خلال آلة قتل لا تعرف الرحمة، وأما الوعي فمن خلال محاولة إعادة هندسته وإبادته تحت شعار كي الوعي، وهو الشعار الذي رفعه قائد الأركان السابق لجيش الاحتلال موشي يعلون، خلال الانتفاضة الثانية متحدثا عن ضرورة إعادة تشكيل وعي الشعب الفلسطيني، كجزء من استراتيجية تعامل المؤسسات الصهيونية، مع الوجود الفلسطيني، ليصبح كي الوعي برنامجا بعيد المدى يستهدف البنية المعنوية للشعب الفلسطيني، في محاولة لقتل المقاومة كفكرة في وجدانه. يشير المفكر وليد دقة في كتاباته لكون آلة القمع الصهيونية تتعامل مع الشعب الفلسطيني بمجمله كأسرى سوآءا بين أربعة جدران، أو داخل جيتوهات جغرافية رسمت حدودها المؤسسة الصهيونية ليبقى الفلسطيني أقل من إنسان، والشعب الفلسطيني أقل من شعب، فالعنصرية الممارسة من قبل الاحتلال ليست عشوائية، أو ارتجالية تتغير بتغير مزاج السياسي الصهيوني، لكنها خطة منظمة، تستهدف الفلسطيني جسدا ووجدانا. حيث تتطور أدوات المراقبة ويستخدم العدو أحدث تقنيات الذكاء الاصطناعي لجعل الفلسطيني، في حالة دائمة من الشعور بالأسر، وأنه تحت سيطرة قوة قاهرة، لا يملك سوى الانصياع لها، أما المقاومة كفعل فهي تشكل خطرا وجوديا على الاحتلال ليس فقط بسبب الخسائر المادية أو البشرية التي يمكن أن يسببها الفعل المقاوم، ولكن الخطورة هي في المقاومة كفكرة يمكن أن تستنهض وعي الفلسطيني بذاته وإمكانياته في مواجهة هذا العدو، لذلك يكون الرد المباشر على أي عمل مقاوم هو استعمال القوة الغاشمة تطبيقا لعقيدة الصدمة، لجعل فكرة المقاومة مكلفة ماديا وبشريا.

كتب المفكر وليد دقة، عن صهر الوعي كأداة للتعذيب داخل سجون الاحتلال كدعوة للغوص في البنية الفكرية لهندسة الإبادة الصهيونية، حين يصبح القتل المادي هدفاً وأداة للقتل المعنوي، في مواجهة شعب يرفض الانصياع، فالجسد الأسير ليس المستهدف مباشرة وإنما المستهدف هو الروح والعقل، وهي إبادة وصفها المفكر وليد دقة بالإبادة السياسية. لقد أدرك المفكر وليد دقة خلال تجربته، في الأسر خطورة طبيعة الإبادة الصهيونية، من خلال ما تمارسه المؤسسة العقابية ضد الحركة الأسيرة، والتي اعتمد فيها الاحتلال على تطوير نظام شمولي يمكن أن تدير فيه سجانة تبلغ العشرون عاما، عنبر فيه الآلاف من الأسرى، عبر نظام مراقبة متطور يرصد كل كبيرة، وصغيرة. داخل هذه المنظومة الأمنية يوزع الأسرى دخول السجون وفي العنابر على الأساس الجغرافي، في محاولة لخلق حالة من التفاوت بين الأسرى، لكسر فكرة النضال المشترك، وتحويل الخلاص من آلة القمع إلى خلاص فردي، لتفكيك قيم الجماعة، وتحويل الأسير من ذات فعالة إلى ذات سلبية.

خلال حرب الإبادة الحالية على قطاع غزة تعود أفكار المفكر وليد دقة عن العقل الإبادي الصهيوني، فبرصد ما يمارسه الاحتلال في مواجهة ملحمة طوفان الأقصى، نجد أن مهندس الإبادة الصهيوني يطبق بشكل حرفي الممارسات التي تقوم بها المؤسسة العقابية الصهيونية ضد الأسرى داخل السجون ، على سكان قطاع غزة، من خلال التقطيع الجغرافي لقطاع غزة لتفادي التعامل مع سكان القطاع ككتلة بشرية موحدة، ثم تطبيق عقيدة الصدمة بإبقاء سكان قطاع غزة في حالة من الصدمة الجماعية جراء القصف والتدمير المتواصل، مراهنا على أن تؤدي فداحة الخسائر البشرية والمادية، إلى التنازل عن فكرة الصمود والمقاومة.

في شمال قطاع غزة يطبق الاحتلال سياسة العزل والسجن الانفرادي في محاولة للاستفراد بسكان الشمال، ليتحول التجويع إلى أداة للإذلال وكسر إرادة الصمود وصهر الوعي. فالاحتلال لا يستهدف فقط البنية التحتية المادية في قطاع غزة، ولكن أيضا البنية التحتية المعنوية، في محاولة لضرب القيم الجامعة من تكافل وتعاضد، وإحساس بوحدة المصير، وهي قيم تشكل بنية حامية لسكان قطاع غزة في مواجهة آلة القتل الهمجية، وهو ما يستدعي الانتباه للأهداف التي تدور في عقل هذا العدو، والعمل على تعزيز كافة اشكال الصمود المادي والمعنوي، في مواجهة هذه الإبادة الممنهجة.

استشهد المفكر وليد دقة، والشعب الفلسطيني يدق مسمار آخر في نعش المشروع الصهيوني، صانعا ملحمة من الصمود الإنساني لشعب يأبى إلا أن يكون له مكان تحت الشمس، وألا يكون أقل من شعب، كما خططت له الامبريالية والحركة الصهيونية. لقد ارتقى المفكر وليد دقة بعد أن حكى سر الزيت لفتيان فلسطين، فالسر هو أن تحرير المستقبل لا يكون إلا عبر الوعي بالذات والوعي بطبيعة العدو، لان الصمود يحتاج إلى صمود الوعي، ووعي الصمود. كان للاحتلال أن يخشى وليد حيا، ويخشاه جسد مسجى فارقته الروح، كيف لا وقد انتصر وليد على السجن والسجان في جميع المواجهات، فاستشهد جسد وبقي فكرا، وترك ميلاد لتنشد للوطن والحرية.

المضامين الإيديولوجية للاستشراق

◄ د. سامي الشيخ محمد ـ باحث أكاديمي/سورية

ما هو الاستشراق؟

الاستشراق من وجهة نظر بعض المفكّرين: «ميدان من ميادين الدّراسة المتفقّهة» (إدوارد سعيد، الاستشراق، ص80) فهو نشاط يتناول الشّرق بجوانبه الثّقافية، والاجتماعيّة، والسّياسيّة، والاقتصاديّة، والدّينيّة، والجغرافية والتّاريخيّة، من جانب عددٍ من المفكّرين والباحثين والسّياسيين الأوروبيّين، بهدف معرفة الشّرق معرفة دقيقةً وشاملة، يجري توظيفها لأغراض معرفيّة وأيديولوجيّة، وكان لدراسة التّراث الإسلاميّ نصيبٌ لافتٌ في تلك الدّراسات.

وبالفعل شهدت حركة الاستشراق الأوروبيّ نشاطاً ملحوظاً في النّصف الأخير من القرن التّاسع عشر، في عدد من العواصم الكبرى في ألمانيا وإيطاليا والنّمسا وهولندا وبلجيكا والسّويد والدنمرك وروسيا وإنجلترا وفرنسا، وتأسّست لهذه الغاية معاهد ومدارس تُعنى بالدراسات الشرقيّة في عديد منها. فقد بدء المستشرقون في إحياء قسط كبير من التّراث الشّرقي ثمَّ تطوّر ذلك النّشاط ليتمحور حول دراسة الإنسان الشّرقي وعاداته وتقاليده في حقبة الاستعمار الأوروبيّ الحديث والمعاصر، بغرض تحديد السّبل الكفيلة بالسّيطرة عليه سيطرة تُسَهّل للغرب تحقيق أهدافه ومراميه الاقتصاديّة والسّياسيّة. فبينما عُني الهولنديّون بدراسة الفقه الإسلامي بحكم صلتهم بإندونيسيا، وعنهم أخذ النّمساويّون في محاولةٍ لمعرفة عناصر القوّة والضّعف في هذا الفقه، وإمكان الاستفادة منه أو إقصائه، اتّجه الإنجليز والفرنسيّون نحو الأدب الفارسي والعربي، عن طريق إيران ومصر وشمال إفريقيا. وخطا الألمان خطوات مهمّة في الدّراسات اللغويّة، إنْ في مصر القديمة، أو في اللغات السّاميّة كالسّيريانيّة والآراميّة، والعبريّة، والعربيّة، أمّا الثّقافة الإسلاميّة القديمة فقد استوقفت أنظار هؤلاء الباحثين فتخصّص قسمٌ منهم في بعض جوانبها فكان الأديب واللغوي، والعالم، والفيلسوف، والفقيه، والمتكلّم، والمتخصّص في علوم الحديث والقرآن، والجغرافي، والمؤرّخ، والطّبيب والكيميائي، والرّياضي والفلكي. (أنظر ،د. إبراهيم مدكور، مؤتمر المستشرقين في دور انعقاده الثّامن والعشرين، مجلّة الفكر المعاصر، العدد 77، يوليو ،1971،ص9).

ولم يكتفوا بالدّراسة النّظريّة فحسب بل زار البعض منهم البلاد الإسلاميّة والعربيّة، وكان للقاهرة نصيب يُذكر من تلك الزّيارات، فتتلمذ البعض على أيدي شيوخ الأزهر، وتم استقدام البعض للإسهام في الجامعة المصريّة في أوائل القرن الماضي، فرسموا الخطط الأولى للمنهج العلمي والبحث الدّقيق، فأخذ عنهم عدد من المفكّرين أمثال منصور فهمي، وعلي العناني، ومصطفى عبد الرّازق، وأحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، وعبد الوهاب عزّام، وأحمد حسن الزّيّات، والدكتور طه حسين.(أنظر المرجع نفسه ص ٩).

وليس من شكّ في أنّنا نتّفق مع الأستاذ الدّكتور إبراهيم مدكور في تقريره بأنَّ ليس جميع الدّراسات الاستشراقيّة سياسيّة واستعماريّة، أو أنّها هجوميّة وهدّامة تُشكّك في العقيدة، وتنتقص من شأن الحضارة الإسلاميّة ورجالها، على الرّغم من أنَّ للاستعمار شأناً في حركة الاستشراق إذ وجّه إليها وأعان عليها (المرجع نفسه، ص9)، وَيَسَّر لها السّبل، وهو ما سيشكّل جوهر هذه الدّراسة، بمعنى أنَّ الخلفيّة الاستشراقيّة ذات بعدين بعدٌ معرفي اتّسم بالنّزاهة العلميّة التّامّة، وتحرّي الأصول الثّابتة، والتّوسّع في الجمع والاستقصاء،

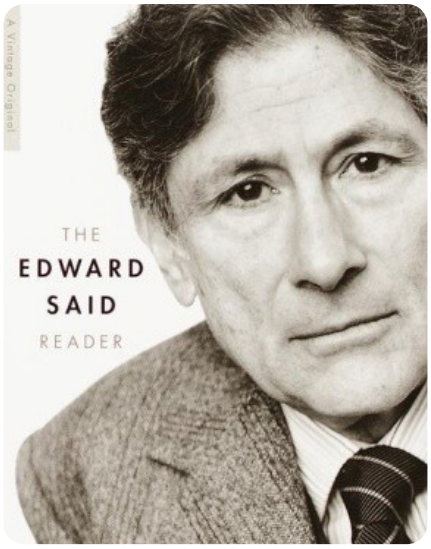

والنّقد والتّمحيص، وبعدٌ أيديولوجي، سياسي استعماري. من هنا فالنّظرة للاستشراق ينبغي أن تأخذ في الحسبان هذين البعدين(المعرفي والأيديولوجي).

آخذين بنظر الاعتبار أنّ العديد من الدّراسات الاستشراقيّة عبارة عن مركّبٌ من عناصر معرفيّة وأيديولوجيّة، كتلك الّتي قدّمها: (رينان، ومونيك، وديبور، واشتانشنيدر، وهورتن، وبويج)، فهي على الرّغم من كونها ذات شأن في الفلسفة إلاّ أنّها لا تخلوا من النّيل من العرب والمسلمين في محاولة لسلب السّمة الحضارية عنهم في مرحلة تاريخيّة من حياتهم، فجاءت دراساتهم مشوبة بنزعة ثأريّة ممّن كانوا أصحاب حضارة وفضل على الغرب والإنسانيّة جمعاء، يوم كانت أوروبّا تغطُّ في سبات عميقٍ من التّخلّف والجهل.

واللاّفت في الدّراسات الاستشراقيّة أنّها تولي العربيّة قسطاً غير قليل من عنايتها . وتركّز على الحفريّات والكشوف الأثريّة المختلفة، وتتحرّى عن علوم الشّرق وصناعاته الأولى، وتبيّن ما إذا كان لها من أثر في علوم الغرب وفلسفته، مع تركيزها على الدّراسة والتّنقيب عمّا يسمّى بالحضارة العبريّة اليهوديّة البائدة، نظراً للتّقاطع العقديّ الحاصل بين الثّقافتين المسيحيّة واليهوديّة لدى عديد من المذاهب والتّيارات الدّينيّة والثّقافيّة الغربيّة، الأمر الّذي أدّى إلى تقديم دراسات تلفيقيّة طُمس بموجبها تاريخ وتراث بعض الأقوام العربيّة الكنعانيّة في فلسطين مثلاً، انطلاقاً من التّسليم بصحّة الدّراسات اللاّهوتيّة الكتابيّة

الّتي ترى في التّاريخ والتّراث العبريين سابقة على التّاريـخ والتّراث الفلسطينيّ في فلسطين، (للمزيد أنظر، كيث وايتلام، تلفيق إسرائيل التّوراتيّة طمس التّاريخ الفلسطيني).

وبالطّبع فإنَّ غزارة الدّراسات الاستشراقية لم تكـن معزولةً عن قوّة الغرب وصعـوده وتفوّقه في عديد من الميادين الاقتصاديّة والسّياسيّة الّتي شكّل رأس المال النّاجم عن التّقدّم الحاصل في ميادين الصّناعة والتّجارة، والتّقدّم العلمي والتّقني، والارتقاء بالنّظـرة إلى الفرد على أنّه مركزٌ للعالم والكـون، واعتماد الدّيمقراطيّة مبدأً في العلاقات الدّاخليّة بين الفرد والسّلطة السّياسيّة، وحلول العقلانيّة حلولاً كليّاً محل الأفكـار التّقليديّة في النّظرة للإنسان والعالم في حدود المجتمع الأوروبي الحديث، وتشكّل المجتمـع المدنيّ القائم على مبدأ سيـادة القانون والمواطنة والتّعاقد بين الأفراد في اختيار شكل النّظام السّياسي الّذي يعبّر عن مصالحهم، الأمر الّذي نجم عنه القيام بحركة غزو ثقافي من الدّاخـل إلى الخارج للانتفاع من ثقافات الأمم الأخرى من ناحية، ومعرفة عناصر القوّة والضّعف فيها، والتّأثير بها من ناحية أخرى، في مقابل حالة الانحطاط والتّخلّف والضّعف الّتي تعيشها شعوب الشّرق بعامّة والعربيّة الرّازحـة تحت نير الاستعمار العثماني المتخلّف بخاصّة.

ولعلّ من بين الأسباب الكامنة وراء حركة الاستشراق، بروز الحاجـة للتّوسّع وخلـق أسواقٍ تابعة تكـون بمثابة أسواقٍ للاستهلاك والاستخراج لدول الغرب المتقدّم الذّي وجد في البلـدان الشّرقيّة ومن ضمنها البلـدان العربية والإسلاميّة ضالّته لتحقيق هذا الهدف.

من هنا وجدت الدّول الاستعماريّة الغربيّة أنّه من الضّروريّ إجراء دراساتٍ شاملةٍ معمّقة للثّقافات الشّرقيّة عامّة وللإنسان الشّرقيّ خاصّـة، حتّى تَسْهُل عمليّة السّيطرة عليهما ووضعهما في خدمة الغرب الاستعماري إلى أبعد حدٍّ ممكن.

تجلّيات الكراهية والعداء للعرب والمسلمين في الاستشراق المعاصر:

إنَّ أهمَّ ما يميز الدّراسات الاستشراقيّة المعاصرة اليوم،عداؤها المكشوف للثّقافتين العربيّة والإسلامية، وبما أنَّ الإسلام أكثر شيوعاً في العالم، فقد حظـي بنصيب كبير من تلك الدّراسات ،ويقف على رأسها مجموعة كبيرة ممن يزعمون التّخصص فيها، على الرّغم من قلّة إلمام الكثير منهم بالثّقافتين العربيّة والإسلاميّة، وجهل البعض الآخر بهما ومن تلك الرّموز برنارد لويس، وبول جونسون، ودانييل بايبس، وإرنست غيلنر، وجوديث ميللر، وصموئيل هانتنغتون، وفوكوياما... وغيرهم.

فقد انصبَّت دراسة هؤلاء المستشرقين، على تشويه صورة العرب والمسلمين من ناحية ،ودعمهم للمشروع الصّهيوني في فلسطين والمنطقة العربيّة، والدّعوة إلى ضرورة العودة إلى عهد الاستعمار الغربي لشعوب الشرق وفي مقدّمتها العربيّة والإسلاميّة ،باستخدام القوّة من ناحية أخرى، فتلك الشّعوب بربريّة، ولا تصلح للمشاركة في الحضارة العالميّة الّتي يتربع الغرب بزعامة الولايات المتّحدة على سدّتها، بل إنَّ الأمـر يتعدّى ذلك بكثير إذ أنَّ إلمام تلك الشّعوب بثقافتها مجرّد إلمام سطحي لا يرقى إلى مصاف إلمام المستشرقين الأمريكيين والإنكليز والفرنسيين بها. فالعرب والمسلمون مثلاً يفتقدون للتاريخانيّة في دراساتهم وأبحاثهـم، فتجيء مشوّهة لا تمت للحقيقة إلاَّ بنزرٍ يسير، لا على الرّغم من أنَّ العديد ممن يحملـون لقب بروفيسور متخصص بالدّراسات العربيّة والإسلاميّة والشّرقيّة من الغربيين _ باستثناء النّدرة منهم _ لا يعرفون عن المفردات اللغوية العربيّة وسواها شيء يستحق الذّكر. ولا ينتهي الأمر ببعض المستشرقين عند هذا الحـد، بل يمضي إلى استنتاجاتٍ، لا ترى في الدّعوة إلى حوار الحضارات وتفاعل الثّقافات بين الغرب والشّرق ممثّلاً، بالحضارتين الإسلاميّة والكونفوشيّة، سبيلاً للتّعايش ونبذ العنف والكراهية فيما بينهـا، وإنّما في ارتطام تلك الحضـارات وصراعهـا، السّبيل إلى تحقيق السيادة الحضارية للغرب، بزعامـة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، إذ أنَّ الحضارات الغربيـة والكونفوشية والإسلاميّة بمثابة حجراتٍ تمنع المياه من التدفّق والتّواصل فيما بينها.

من هنا فقـد كثرت الاتّجاهات الفكريّة والسّياسيّة المعادية للاستشراق، فالاتّجاهات الأهليّة في المجتمعـات الشّرقيّة، والقوميّة، والدّينيّة، ترى أنّها مستهدفةٌ من قبل الوحش الغربي المفترس الّذي يهدّد هويّتها وثقافتهـا أو وجودها، واللاّفت في الدّراسات الشّرقيّة هو ترويجها للسّياسة العنصرية للغرب تجـاه الشّرق بعامّة والعـرب والمسلمين بخاصّة، فالكثير من المستشرقين يُنَظّرون لمشروعيّة الحملات العسكريّة الغربيّة الّتي يذهـب ضحيّتها أبرياء كثيرون من الدّول العربيّة والإسلاميّة.

وعليه فخطورة الاستشراق المعاصر والرّاهن هي أكثر شراسة، ووضوحاً من النّاحية الأيديولوجيّة في عداء الغرب للشّرق بما فيه العرب والمسلمين من أي وقت مضى.

فها هو المفكّر الكبير (إدوارد سعيد) يميط اللثام عـن الاستشراق فيبيّن أنَّ الاستشراق لم يُعْنَ بدراسة الثّقافـة الشّرقيّة بوصفهـا ثقافةً إنسانيّة لها خصائصهـا المميزة، والّتي تتناسب مع درجـة التّطوّر التّاريخي للمجتمـع الشّرقي، وإنّما عُني بدراسة الشّرقي بوصفة كائناً بشريّاً لا ثقافيّاً، والأغرب من ذلك أنَّ الدّراسات الاستشراقيّة انصبّت على دراسة الإنسان الشّرقي في لحظته الرّاهنة تلك اللحظة الّتي تشكّل نكوصاً وانهياراً في مسيرته الحضاريّة نتيجة للاحتلالات الأجنبيّة الّتي أسهمت إلى حدٍّ بعيد في الحدّ من قدراته الإبداعيّة والحضاريّة، الأمر الّذي يجعل من الاستشراق نوعاً من الدّراسة الأمنيّة على الإنسان الشّرقي، فيضعه في قفص الاتّهام ويأخذ عليه تخلّفه الاجتماعي، والثّقافي في راهنه، من المنظـور الغربي المتقدّم في لحظته التّاريخيّة الرّاهنة. وبالفعل فقد عمد المستشرقون إلى إدخال الشّرقي لغرفة التّشريح ليؤكّدوا لأنفسهم أنّ الغربي متفوّقٌ على الشّرقي وأنّه من طبيعة عرقيّة مختلفة، وكأنّ فرضيّة التّفوّق العرقي الّتي تعـود أصولهـا إلى الثّقافتين اليونانيّة واليهوديّة، هي الفرضيّة الّتي تتحكّم في سلوك المستشرق وثقافته، بخاصّة في حقبة الاستعمـار الغربي الحديث والمعاصر.

من هنا بات للاستشراق هدفٌ واضحٌ، هو أنَّ معرفة الشّرقي تستهدف دراسة الخصائص النّفسيّة والاجتماعيّة للإنسان الشّرقي لتسهيل السّيطرة عليه ووضعه في خدمة الإنسان الغربي ومشروعه، واتّخاذه أنموذجاً حضاريّاً له مع حرص المستشرق الشّديد على عدم تقديم النّموذج الحضاري الغربي بكليّته للإنسان الشّرقيّ، فالدّيمقراطيّة مثلاً لا تليق بالشّرقي لأنّه إذا ما مارسها فعلاً سوف يصطدم مع المستعمر الغربي ومصالحه، والتّبرير الشّكلي للمستشرق هو أنَّ خير النّظم السّياسيّة للإنسان الشّرقي هو النّظام الفردي المطلق، هذه الفكرة وجدت تبنّياً لها من جانب عدد من المفكّرين الشّرقيّين الّذين وجدوا أنّ الشّرق لا ينهض من كبوته حتّى يخضع لسلطة حاكم عادلٍ مستبد.

من ناحية أخرى لم يخف بعض المستشرقين احتقارهم للشّرقيين والنّيل من ثقافته السّائدة وسلوكه البدائي من وجهة نظره، ليخلص بالنّتيجة إلى أنَّ للشّرقي طبيعةٌ تتلاءم مع كونه محكوماً، وأنَّ للغربي طبيعةٌ تتلاءم مع كونه حاكماً، وأنّه يستحيل مساواة الشّرقي المتخلّف بالطّبيعة، مع الغربي المتطوّر بالفطرة، وعليه سوف يكون من الظّلم واللاّعقلانيّة المساواة بينهما، فالشّرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا، فها هما بلفور وكرومر يصفان الشّرقيّ بأنّه: «لاعقلاني، فاسق، طفوليّ.. وبالمقابل فإنَّ الأوروبي عقلاني، متحلٍّ بالفضائل، ناضجٌ، سويّ»، ولا يخفي كرومر بوصفه حاكماً دبلوماسيّاً وإداريّاً لمصر وجهة نظره التّالية وهي:»أنّ الشرقيَّ، بوجه أو بآخر، وبشكل عام، يتصرّف ويتحدّث، ويفكّر بطريقة هي النّقيض المطلق للأوروبيّ» (إدوارد سعيد، الاستشراق، ص 70).

وفارقٌ آخر بين الشّرقي والغربي ناتج عن معرفة كرومر بالشّرقي، كما يتّضح من وصفه لانهيار المصري أمام التّحقيق ليعتبر نفسه مذنباً، فكانت جريمة الشّرقي أنّه شرقي.

وبالطّبع ليست مواقف كرومر من الشّرقي مجرّد مواقف فرديّة، فثمّة من يشاطره الرّأي فيها، كأرنست رينان وكونستانتان دوفولني، والسير ألفرد لايل، يذكر كرومر: «قال لي سير الفرد لايل مرّة : إنَّ الدّقّة كريهةٌ بالنّسبة للعقل الشّرقي وعلى كلّ إنسان أنجلو هندي أن يتذكّر هذا المبدأ الأساسي» (المصدر نفسه، ص، 69) فالمقارنة الّتي يجريها المستشرق بين الشّرقي والأوروبي مفادها أنّ الأوروبي ذو محاكمة عقليّة دقيقة، وتقريره للحقائق خالٍ من أي التباس، وهو منطقيٌّ مطبوعٌ، رغم أنّه قد لا يكون درس المنطق، وهو بطبعه شاكّ ويتطلب البرهان قبل أن يستطيع قبول حقيقة أي مقولة، ويعمل ذكاؤه المدرّب مثل آلة ميكانيكيّة .أمّا عقل الشرقي فهو، على النّقيض، مثل شوارع مدنه الجميلة صوريّاً، يفتقر بشكلٍ بارز إلى التّناظر. ومحاكمته العقليّة من طبيعة مهلهلة إلى أقصى درجة. ورغم أنَّ العرب القدماء قد اكتسبوا، بدرجةٍ أعلى نسبيّاً، علم الجدليّة (الدّيالكتيك) فإنَّ أحفادهم يعانون بشكلٍ لا مثيل له من ضعفٍ ملكة المنطق. (أنظر، المصدر نفسه، ص69).

من هنا فمثالب الاستشراق لا تكمن في توفير الغطاء الأيديولوجي للاستعمار الغربي، بدعوى قصور شعوب الشّرق عن حكم نفسها بنفسها، وإنّما في النّيل المباشر من كرامة الشّرق ونعته بالتّخلّف الحضاري، وانحطاطه الاجتماعي والثّقافي، دون بذل أيّ جهد للبحث في الأسباب الحقيقيّة الكامنة وراء تخلّف الشّرق وحالة الانحطاط الّتي آل إليها، والإشارة إلى الحضارات الشّرقيّة الّتي أنتجها الشّرقيّون بأنفسهم في الوقت الّذي كان الغرب فيه يعيش حالةً أشدُّ انحطاطاً وسوءاً من حالة الشّرق، الّتي يعود للاستعمار العثماني وللحروب الصّليبيّة دورٌ مباشرٌ في الانتهاء إليها، وللاستعمار الأوروبيّ الحديث والمعاصر وتقسيمه للشّرق وتفتيته إلى دويلات تابعة أو قاصرة، ومن ثمّ خلقه للاستعمار الصّهيوني الاستيطاني في فلسطين وبعض الأراضي العربيّة، أثرٌ بالغٌ في تعطيل قدرات الكثير من دول الشّرق وشعوبه للحاق بركب الحضارة الحديثة ومباراتها .

وعليه لم تكن نظرة الكثيرين من المستشرقين، باستثناء البعض منهم، نظرةً موضوعيّة للشّرق وثقافته، على الرّغم من أنّ هزيمة الشّعوب الشّرقيّة للاستعمار الأوروبيّ ونيل استقلالها الوطني بحدودٍ معيّنة يقدّم الدّليل القاطع على عقم فرضيّة تفوّق العقل الغربي على العقل الشّرقيّ، ولعلّ النّهضة التكنولوجية الآخذة في التّبلور في عديدٍ من دول الشّرق، تقدّم برهاناً على قدرة العقل الشّرقي على تجاوز كبوته الحضاريّة واتّجاهه لإنتاج حضارةٍ جديدةٍ لا تقلُّ أهميّةً عن حضاراته الغابرة.

من هنا لم تفلح نظرة المستشرقين الغربيّين أنصار النّزعة المركزيّة الغربيّة في الاستمرار والتّواصل إلى حدٍّ كبير على البقاء في عالم اليوم، فجملة الأحداث الّتي تشهدها زعيمة العالم الغربي (الولايات المتّحدة الأمريكيّة) بين الفينة والفينة على أيدي مجموعاتٍ ينتمي أفرادها إلى دولٍ شرقيّة حسب الزّعم الأمريكي، وما يشهده الكيان الصّهيوني اليوم في فلسطين وجنوب لبنان، وقبلهما الاتّحاد السّوفيتي في أفغانستان، تدلّل على أنّ سمات الغباء والكسل والضّعف، والجلوس على كرسي الاتّهام، والافتقار إلى الدّقّة والتّنظيم من جانب الإنسان الشّرقي، إن صحّت الرّواية المنسوبة إليه في قيامه بتلك الأعمال، بغض النّظر عن وجهتها الأخلاقيّة، وموقفنا من مشروعيّة بعض تلك الأعمال أو عدم مشروعيّة بعضها الآخر، دليلٌ جامعٌ مانعٌ على عقم فرضيّة التفوّق العرقي والحضاري للإنسان الغربي على الشّرقيّ. بل دليلٌ حيٌّ على مقدرة الشّرقي وتفوّقه على الغربيّ في هذه اللحظة التّاريخيّة الرّاهنة، دون أن يعني ذلك تبنّينا لفرضيّة موازية لفرضيّة التفوّق العرقي والحضاري للإنسان الغربيّ على الشّرقي، فلكلّ مجتمعٍ سماتُهُ وخصائصُهُ الّتي يمتاز بها عن غيره من المجتمعات، ولكلّ تعيّن حضاري أجل، كما أنَّ لكلّ فكرة حضاريّة زماناً ومكاناً محددين، غير أنّ الثّابت في المسألة أنَّ الإنسان منتجٌ لتاريخه وحضارته وثقافته سواءً كان شرقيّاً أم غربيّاً، وسواءً انفردت حضارةٌ مّا ببعض السّمات الّتي لم تنفرد بها حضارةٌ أخرى في لحظةٍ تاريخيّةٍ محدّدة.

معمارية العدم

◄ عبد النور الهنداوي
شاعر وأديب من سورية

ليس لدي أسئلة،

وأنا ليس لدي أجوبة،

إذاً، سنترك الدموع تسّاقط من علامات الاستفهام،

ولا بأس أن يسقط الأبرياء، ما دام كل الكلام، «سيُظهر» كم أذرع الأخطبوط واقفة بين المعرفة العميقة، والأزقّة العميقة، وإن ذهبت أقدامنا، تبحث عن لحظة مناسبة، اسميّها الرحيل.

نحن الآن في اللحظة الأخيرة من رقصتنا الأخيرة مع المقبرة، وعقولنا في إقامتها الجبريّة، ولاتزال، يقول وول سونيكا: إننا نستخدم أدمغتنا أحذية لهم.

يعني أننا سنظل تحت عباءة الشبح إلى يوم القيامة.

هل حقاً، لولا أمريكا لأكل العالم؟ ثمّة من يستمتع هذه الأيام بأدوات الهاوية، لأن البقاء العظيم هو بين الفراغ والفراغ، وإن التركيبة اللغوية التي تلازمنا، هي «عقلنة اللامعقول» كما قال ذات يوم عبد الله العروي .

هي أصواتنا إذاً التي تقودنا بخطٍّ مستقيم إلى الخطيئة وإن غموضا الدافئ، يتعرّف في كل لحظة على صانعي الأمل، لأنها تنطلق من أرجاء أجسادنا .

الغبار العربي، يبتلعنا قطعة قطعة، إنه الوجه الآخر للثقافة العربية، ولا أحد منّا خشيَ أن ينتقل من النص المقدس.. الذي يفترض أن يكون بديهياً، حين تكون بدائيتنا خائفة من السقوط، أو لنكون أبناء اللحظة التي تساوت بنيوياً مع العار!

استراتيجياً، نحن الآن ما وراء العصر، والعواصم العربية يتم تسويقها كمدافن للسلالات، وأيضاً قضايانا في أقصى حدودها، ليست أكثر من حقنة دمّ داخل هياكلنا العظمية .

ماذا لو أحصينا عدد الجثث، والشوارع العمودية، والقصور المعتمة، وأرصفة التسوّل، والقمصان المطبّعة بصور جيفارا، ويوسف العظمة، وجول جمّال، وجمال عبد الناصر، وطارق بن زياد، وصقر قريش وصلاح الدين الأيوبي، ومزارع الحليب الطازج، ومطابع الكتب، وجامعة الدول العربية، وكتب تفسير الأحلام؛

ماذا لو تذكّرنا أيضاً، غرف نومنا، وغرف نومهم، والقبلات الفارعة الطول، وقصائد الشعر العربية القحّة التي أودت بنا إلى المجهول.. وجلسنا لحظة فقط، أمام السيدة الأندلس، وحاورناها «عن» عبقرية هزّ البطن، واللحظات المقدّسة، بين صراعنا على الهوية، وأطباقنا الملأى بالحصى الخشن.

هل من أحد يأبه بالحاكم العربي، حين يتحدّث مثلاً عن الثقافة المعذّبة لدى الصهاينة، في حين يسمح «لنفسه» بعسكرة الأرواح، ويتمايل على أي صوت تحمله الذئاب دفاعاً عن الهيكل؟! مع أن حاخامات، وكتاب، وفلاسفة، وحتى ساسة من النوع الرديء، تقول عياناً بياناً، هذا هو خيارنا الدونكيشوتي، لحمايتنا من الأزمنة القاحلة .

لا غرابة في العربي الأخير أن يعمد إلى تأويل البربرية أو الفلسفة المشرّدة، في إنتاج اشكالية أخلاقية تربطنا جميعاً دون استثناء بالمهارات المفتوحة على أسوأ الأوقات الباهرة !

هل نأتي بأشلاء العربي، من كل أصقاع الدنيا ليقف إلى جانب الموت؟

يبدو أن الحقيقة لا تحتاج إلى مهرجين، لأن هناك من لديه القدرة على وضعنا خارج الأزمنة « لننام ملء عيوننا عن شواردها « ما دمنا نحفظ عن ظهر قلب كلام التوراة الذي صار يسوقنا بالعصا العمياء؛ ومن السذاجة أن نلامس حتى ولو عراة، استخدام إمكاناتنا لتعرية عظامنا؟.

يقول غونتر غراس: صاحب طبل الصفيح وجائزة نوبل ستأتي لحظة على الإنسانية، يتم تفريغها من ذلك المقدس الذي يدّعي الإنسان ، وها نحن أكثر شعوب الأرض تواطئاً، وبعثرة ضد الأمام والحداثة، بل وضد اللحظة الإلهية التي أخشى أن تتبعثر أيضاً، بفعل ما يعتري العربي في داخله وخارجه ، والتقوقع هكذا، لصياغة بنى ثقافية ، على الأقل، ونقول أمام لاوعينا هذه هي النتيجة، وعلينا بعدها أن نغتسل بالأنين ، لنظل كحالةٍ نادرة في منصف الطريق .

هل من إمكانية أحدنا أن يجري حواراً في العالم الآخر مع أجدادنا، وآبائنا، وشعرائنا، وفلاسفتنا، وكتاب مقاماتنا، للحديث عن عَظَمَة هذه الأمة التي لم تنتج حتى هذه اللحظة، سوى ثقافة الحثالة، ولماذا أصبحنا جثثاً، ونحمل جثثاً، وننقيّاً الجثث، وإن الهذيان هو المنطق الوحيد الذي سوّلت له نفسه كي يكون من ذوي الإجابات الصارخة، وإن ضوء القمر الذي ألفناه، هو الآن في الأقبية، ولا أحد ينصت إلينا سوى جذوة في العدم !

إلى أين يمضي بنا، الذين يزجّون البلاد في التشرذم، وفي التيّه، والبعثرة حتى الإلغاء .

هل يكفي الجغرافيا العربية الرقص على حافة الهاوية، وكأن المشهد الذي في الأفق، لا يكفي كي تتوقف استراتيجية الصراخ، والارتباط طرداً في المنابر، والأدعية.. حيث العربات الإلهية جاهزة لتأخذنا إلى كهنة الفساد، والقمع، والغطرسة؛ وهم يصولون ويجولون فوق أحلامهم، لنستردّ شكل الأحذية التي وطئت أحلامنا، لئلّا نفتح ولو ثغرة صغيرة في المستقبل، أو في حائط المستقبل.. طبعاً لنستذكر الماضي الذي أوصلنا، بل «إنه» أوصلنا إلى ما هو أشد هولاً بكثير .

لا شكَ، لدينا بقايا هولاكو على كتفي

الدونكيشوت العربي، والوصول الهائل في كيفية نهب المال العام، واقتناء القصور في ما وراء البحار، ولم يُرغَم لا على الاستقالة، ولا على الانتحار، هذا إذا كانت لديه ذرة من الكبرياء العربي والكرامة العربية التي تدار بهلوانياً ولا أحد يعرف أيضاً أن يجرّنا البهلوان، وكان عليه الإقامة أو النوم في المقبرة، أو في المنفى، أو وراء القضبان، على أن يظل في هذا العار الذي يتوزّع بين النفط، وبين والحقيقة، وإنها الغنيمة التي ستحافظ عليها السيدة أمريكا.. ولا يقول إنها الأيدي القبيحة الملطخة المتورطة التي جرّتنا إلى القاع السحيق.

أتساءل: هل العربي الذي لا يستطيع أن يحرّك ساكناً، يستطيع أن يتحرّك ويلمّ شمله أمام لامعناه؟

تسويات استراتيجية لظهرهِ الممتلئ بالنتوءات المعقّدة للبحث عن مواقف «ما» لأحواله التي تجاوزت عملية التطور الأكثر قسوة من البحث عن مفرمة بطيئة لثروته الجافة والمجفّفة التي تتمحور فقط، حول ميكانيكية البقاء.. الشديدة الغموض، والسريعة الزوال.

ببساطة أقول: ما دامت تكنولوجيا القبائل، وحداثة الخيام العربية، واحتياطها النقديّ الذي يفوق الخيال يتثاءب فوق أرصفة العصر، ولا خطة، أو استراتيجية لكي نعيش في هذا القرن، للخروج ولو لبرهة من جلودنا؛ بل التيّه الذي «يذهب» بنا ، ويهيم بنا في كلّ الاتجاهات، باستثناء واحد هو المستقبل.

هناك من يطالب الإنسان العربي وبشكل بسيط جداً، التوازن بين الذات والواقع، وهي أيديولوجيا عقيمة تماماً، والبقاء في واقعيتنا التافهة، لعلنا نستعيد حيوية التعاطي مع الزمن، بدلاً من النفاق، والتغيرات السياسية وكأن الزمن العربي يمشي على الحطب، لنختبر بكل حماقة نشأتنا الأولى الموازية لنشأة العدم.. بل نشأة الضياع!

إنها الزلازل القبيحة التي تجتاحنا، لتزلزل وتشتّت عِظامنا، مع انّ منطق الصدفة الذي نتذرّع به يقول: بضرورة بقائنا على الأقل، للخروج من هذه الضوضاء اللغوية ، ونتشبّث بأنظمة عربية قحّة، تجيد تأليف الفولكلور الخاص بها، بمحاذاة خطّ البكاء، أو الانتقال من خراب إلى خراب إلى خراب !

بين الحين والحين، تظهر علينا السيدة أمريكا، وتصنّفنا بالقادمين من العدم، وعليها تنظيم دقات قلوبنا، لنذهب حفاة إلى أضرحة ولاتنا بأقدام بهلوانية تتعثّر بالنداءات، والاستغاثات، وندب الصدور، ومباركة حجارة الهيكل، ولا مواطئ لأقدامنا حتى على تخوم النار!

العرب إذاً، من المحيط إلى الخليج الثائر، مثل شريط حدوديّ، لحاخامات القرن، وإن السيد العار، يشكرنا على الوقوف احتراماً، ويدعونا إلى الجلوس هنيهة فقط من أجل الوصول إلى نهاية الرهان؛ نفتح أفواهنا وننادي: من يشتري المجهول الذي بحوزتنا، لأن الالتباس هو جزء من السفر إلى غابة الصراخ، وكأن الحاكم العربي القليل، هو المستقبل، باعتباره أكثر شفافية، وأكثر تأثّراً في بنيتنا الثقافية، والمعرفية، ولا يدري أن يفكّر ويعيش في عشوائية المكان ولا فرق عنده بين الملائكة وقطاع الطرق

الضمير العربي حين يصرخ. هل يستطيع التوقف عن الصراخ؟ رغم أننا جميعاً نتساءل: ماذا يفعل الضعفاء وهم يعيشون في عشوائية المكان والزمان؟ وإنّ ما تبقّى لدينا، يتدحرج في وهادنا، لنتبادل أقراصاً مهدّئة ونقف وراء لغتنا التي تهلهلت وراء جَلَبَة الحطام.

ولطالما استسلمنا إلى لعبة «الظلام» ولسنا بحاجة إلى تبادل أدوار الدمى الباهتة، ثم قراءة ما تيسّر لنا في كيفية امتلاء الأفواه، والوجوه، بثقافة الموتى ونصرّ أن المقبرة لا تملك (لا مواقف ولا مخاطبات) كي تتخلّص من براثن العناكب التي احترفت تصنيع الآلهة، وهي بالكاد تستطيع صناعة أرصفة الخبز لشعوبها .

لا مسافة إذاً بين أقدامنا الزجاجية الهشّة، وبين إنتاج المعجزات الفولكلورية، حين لم يظل من ترابنا غير السقوط المريع، والأدعية التي سيجّنا بها مضاربنا، ولا أحد يكتب كيف نمشي القهقرى؛ جثثنا، وجثث أهلنا، تنتظر أن ترتدي لباس رعاة البقر .

لم يبق شيء في أيدينا، لا حاتم الطائي ولا تأبّط شرّاً ولا لدينا أمكنة لتكون مقابر لطحن دمائنا، لنكتشف أننا كائنات ليست مسؤولة عن آثامها، مع أن كل شعوب الأرض، تعي أن دويّ التراب يجري في دمائنا منذ أن خُلق الازل!

بالتأكيد بلاد العرب أصبحت مستودعاً للومياءات، بل لأولئك الذين ارتدوا ملابسهم القشيبة وهم يستمعون إلى معنى كلمة « جدلية الزمن « وفي النهاية يقتفون أثر أقدامهم الميتة .

فالغرب الذي أعطيناه صفة جوهرة الله، حدّد لنا صناعة الأقبية، وفلسفة غروب فلسفتنا، كي يظل واضحاً، وصريحاً في لغة الصراع. ومَنَعَنا من انتقاد اللغة التي يتحدث بها اليهودي، لأننا سنكون عندها، مثل الثقوب الشاحبة، ولتذهب جثثنا إلى حيث ما تريد !

هل نحن الآن في العتمة البعيدة؟ وهل نبالغ حين نقول: إن حياتنا مثل ثرواتنا، حمقاء، ومخبأة في الصناديق البعيدة، إن قلوبنا التي ماتت من الملل، يعود ذلك إلى نقص واضح في عبقريتنا، كل هذه الأسئلة تحت إبط الغيبوبة، أو في الكهوف الأيديولوجية، التي هي ايضاً، تنوح على عِظامنا السائبة.

بالدليل القاطع تاكّد لنا أننا لسنا بحاجة إلى الدمى التي ابتلعتنا واحداً واحداً، وثرواتها يمكن أن نغطّي بها سماء الجاهلية، والباقي نعرفه جميعاً، ويعرفه الوعي واللاوعي، لأننا من دون لحظة داخل الخلاص أو داخل الاختيار .

ضائعون بين الصهيل العظيم الذي يئن، وبين الصهيل الذي تحوّل إلى تابوت أزليّ

إنه مخزوننا الهائل من الجنون؛

والعربي ..

ليس لديه أسئلة

وأيضاً

ليس لديه أجوبة

فقط

لديه مواصفات هائلة عن المستنقعات،

أين هي أظافرنا؟!

حرب الإبادة الصهيونية في غزة، هل تستدعي عملاً درامياً عربياً؟!!

◄ **بسام سفر** ـ صحفي وكاتب سوري

رغم كل الظروف الموضوعية التي تمر بها المنطقة، ما قبل وما بعد (7 أكتوبر، تشرين الأول) للعام٢٠٢٣، حيث أصبحت غزة بؤرة عنف دولية من خلال الإبادة التي يشنها الكيان الصهيوني على قطاع غزة كاملاً بلا تمييز ما بين الحجر والبشر، مر الموسم الدرامي للعام 2024، دون أي مشهد عن الحرب والعدوان الصهيوني؟ أو حتى دون مشهد درامي فلسطيني سوري في الأعمال الدرامية السورية، سوى مشهد وحيد في العمل الدرامي(مال قبان) من تأليف على وجيه ويامن الحجلي، وإخراج سيف الدين سبيعي، وهو مشهد عرضي عندما تسلم أحد شخصيات ضباط جيش التحرير الفلسطيني طفل إلى نعمان الزير بسبب اتهام والده بالخيانة، وبهذا يكون (خير الزيز، يامن الحجلي) الشخصية الفلسطينية الوحيدة في دراما٢٠٢٤، وإلى جانبه سوق خضار الجبر، الذي هو سوق خضار مخيم اليرموك في الثلث الأول من المخيم المحصور ما بين شارع اليرموك، وشارع فلسطين، هذا ما قدر الله صناع الدراما السورية تقديمه بصرياً ودرامياً من أجل القضية الفلسطينية وحرب الإبادة التي يشنها الكيان الغاضب ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

وكانت الدراما السورية والفلسطينية في الماضي قد قدمت»بأم عيني» إنتاج دائرة الإعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية ومقرها دمشق مع تلفزيون دولة الإمارات، والعمل كتب السيناريو والحوار المخرج فيصل الياسري والراحل ممدوح عدوان من إخراج سليم موسى، وهو مأخوذ عن مذكرات المحامية التقدمية «فيلينسيا لانغر» التي دافعت عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

وشاركت في بطولته السندیانة السورية منى واصف بدور المحامية لانغر، ومعها عدد من الفنانين منهم الراحلين" بسام لطفي، يوسف حنا، هاني الروماني، مفيد أبو حمزة"، و"زيناتي قدسية».

والعمل الدرامي» عز الدين القسام» من تأليف الشاعر أحمد دحبور، والسيناريو والإخراج الشيخ المخرجين السوريين هيثم حقي، وهو يسرد حكاية شيخ المجاهدين عز الدين القسام الذي هاجر من جبلة ليشارك في النضال الفلسطيني ضد المحتل البريطاني، والعمل من أنتاج دائرة الأعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، بالتعاون مع تلفزيون قطر في العام١٩٨١، ولعب دور القسام الفنان القدير أسعد فضة وإلى جانبه الراحل عبد الرحمن أبو قاسم، زيناتي قدسية، تيسير إدريس، أديب قدورة، منى واصف، نائلة الأطرش، والراحلين هاني الروماني، والمغني حسين المنذر، وحاديها نوح إبراهيم.

ومن أهم الأعمال التي عالجت القضية الفلسطينية والتهجير والعودة عائد إلى حيفا المأخوذ عن رواية لغسان كنفاني بذات الاسم، من إنتاج العام ٢٠٠٤، سيناريو غسان نزال، وإخراج باسل الخطيب، يظهر العمل النكبة الفلسطينية يوم احتلت العصابات الصهيونية أراضي وبيوت وأحياء المدن الفلسطينية لتبدأ رحلة لجوء (سعيد، سلوم حداد) وزوجته (صفية، نورمان أسعد) التي لم تستطيع الوصول إلى طفلها الرضيع بسبب كثافة النيران ووجود رجال العصابات، ما اجبرها على ترك الرضيع خلدون في حيفا، وليكون جزء من أساس البيت المستولى عليه، وليسجل كطفل إسرائيلي، وعندما يعود سعيد وصفية يجدان الشاب خلدون يخدم في جيش الاحتلال، ولا يتعرف على أهله، بل يستمر في القتال في جيش الاحتلال. وبالإضافة إلى ذلك قدم المخرج باسل الخطيب العمل الدرامي "أنا القدس" الذي عالج فيه محطات في النضال المقدسي من خلال مشاركته في كتابة النص إلى جانب أخيه تليد الخطيب عبر الخمسين عاماً، فالتصدي للنضال المقدسي في كل الجوانب في عصر توضع فيه المدينة على مائدة التهويد المستمر لمصلحة الحركة الصهيونية العالمية وممثلها الكيان الصهيوني، هو بحد ذاته من بوابة المقاومة الثقافية والمدنية العصرية والشعبية في زمن شعار الصهاينة من يشتري متراً من القدس القديمة يشتري قطعة من الجنة.

تتناول سيرة مدينة القدس شخصيات موجودة في مدينة القدس تاريخياً، فعائلة الحسيني هي عمود أساسي في الخيمة

المقدسية سواء في العمل السياسي الأهلي المدني أو الشرعي الإسلامي أو العمل المقاوم العسكري، ويظهر منها في البداية (حسين أفندي الحسيني، رائد مشرف) والمفتي (كامل الحسيني، فاروق جمعات)، وفي المقابل نجد عائلة النشاشيبي المقدسية، يضاف إليهما مجموعة كبيرة من الشخصيات المقدسية والفلسطينية الأخرى.

ومن الأعمال التي أخرجها الخطيب سيرة وحياة «المطران هيلارن كابوتشي" مطران كنيسة الروم الكاثوليك بالقدس المعروف بمواقف النضالية والوطنية في سبيل القضية الفلسطينية، وكابوتشي من مواليد مدينة حلب في العام١٩٦٢، وقد اعتقلته قوات الاحتلال الصهيوني بالعام 1974، بتهمة تهريب السلاح للمقاومة الفلسطينية وأبعدته سلطات الاحتلال إلى روما ليقضي ما تبقى من حياته دون أن يتخلى عن دعم القضية الفلسطينية وقد لعب دوره الفنان رشيد عساف، وشاركه من الأداء كل من (صباح جزائري، سليم صبري، نادين قدور، والشاب إيهاب شعبان في دور المطران في شبابه، والطفل ربيع جان في طفولته).

إن أهم المحطات في العمل هو وجود المطران في القدس أثناء دراسته حيث شارك في إسعاف أهالي القدس، عندما وقعت عملية تفجير استهدفت فندق الملك داوود بتاريخ (٢٢ تموز 1946) خلال فترة الانتداب البريطاني، إذ قام أعضاء من جماعة الأرغون الصهيوني بتنفيذ هذا الهجوم ضد الحكومة البريطانية في فلسطين أنذاك.

ومن أهم الأعمال الدرامية الملحمية التي تناولت القضية الفلسطينية "التغريبة الفلسطينية» من تأليف وسيناريو الكاتب والمؤرخ الدكتور وليد سيف وإخراج الراحل حاتم علي، ويحكي العمل حياة عائلة فلسطينية مؤلفة من عدد من الشخصيات تسرد حياتها منذ ثلاثينيات القرن الفائت وصراعها ضد الاحتلال الانكليزي وصولاً إلى إعلان الكيان الصهيوني والنزوح من البلدات الفلسطينية إلى المخيمات التي سيهاجرونها في التغريبة، اجتمعت فيها حياة ثلاث أجيال الأب والابن والحفيد تمتد من العام 1933وحتى العام 1969، على خلفية سياسية تاريخية وإنسانية موثقة بدقة تامة، ليصل جيل الأحفاد إلى طريق الكفاح المسلح لتحرير الوطن واستعادة الحقوق الفلسطينية.

وتسلط التغريبة الضوء على الفقر والحرمان وتسلط الزعامات التقليدية وسياسية الانتداب البريطاني التي أدت إلى إطلاق وعد بلفور، وتسهيل الهجرة الصهيونية إلى فلسطين.

وشكلت التغريبة ملحمة درامية تاريخية قدمته نموذجاً جديداً في الدراما العربية، وتمكن الراحل حاتم علي من توظيف خبرته وأدواته الفنية ببراعة حيث وضع كامل عناصر ومقومات العمل الفني في خدمة العمل الدرامي.

وتعد التغريبة علامة فارقة ومميزة في مسيرة المخرج المبدع حاتم علي، استطاع فيها تقديم عملاً فنياً رائعاً منحه القيمة المعرفية والفكرية التي خطتها أنامل وليد سيف وحركها بصرياً وتمثيلاً حاتم علي، وقام بأدائها المميز من الممثلين (جمال سليمان، خالد تاجا، جوليت عواد، تيم حسن، رامي حنا، نادين سلامة، يارا صبري، حسن عويتي، باسل خياط)، وكلمات الشارة للشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان من قصيدة الفدائي، ومن الحان طاهر مامللي، وأداء المغني عامر الخياط.

ويعد العمل الدرامي "الاجتياح" للكاتب وليد وإخراج الراحل شوقي الماجري، من إنتاج العام٢٠٠٧، وهو عمل عربي مشترك يسرد حكاية اجتياح الكيان الصهيوني لمخيم جنين ورام الله وحصار المقاطعة في رام الله مقر قيادة الرئيس الراحل ياسر عرفات، وحصار كنيسة المهد في بيت لحم في العام٢٠٠٢، ضمن عملية ما يسمى «الدرع الواقي» التي رافقها قتل واعتقال وجرح لأبناء الشعب الفلسطيني، وقام بأداء دور «أبو جندل» القائد الميداني للدفاع عن مخيم جنين الفنان عباس النوري، وأظهر العمل تكاتف أبناء المخيم والشارع الفلسطيني في مدن الضفة من أجل مقاومة الاحتلال، وصلف جيش الاحتلال الصهيوني في قتل أبناء الشعب الفلسطيني، وتدمير مدينة تلو مدينة، ومخيم تلو مخيم، كما صور العمل بطولات المقاومة الفلسطينية في كافة المدن الفلسطينية، وفي كنيسة المهد.

وشارك في المسلسل إلى جانب النوري (عبد المنعم عمايري، ديما قندلفت، حسن عويتي، زهير النوباني، منذر الرياحنة، إياد نصار، صبا مبارك، نادرة عمران، ونبيل المشيني)، وصور جزء العمل في مدينة دمشق وريفها، وحظي بعرض قليل فقط على قناة واحدة، لكنه حاز على جائزة إيمي الدولية للمسلسلات الطويلة.

ومن الأعمال الدرامية التي تناولت قضية اللاجئين في بلدان الشتات «سحابة صيف» من تأليف الكاتبة الدرامية إيمان سعيد، ومن إخراج مروان بركات، عالج العمل علاقة اللاجئ الفلسطيني مع وكالة غوث اللاجئين وتقبل المساعدات التي تقدمها الوكالة إلى اللاجئين في بلدان الشتات، والخلاف الرئيسي بين (ديب الهادي، بسام كوسا)، وزوجته التي جسدتها سمر سامي حول الإعانة، وهو ذي الأصل الارستقراطي في البلاد حيث مازال يعيش في المخيم بهذه العقلية.

ويعد ديب الهادي قبول مساعدات الأنروا أهانته كرامته وذل ما بعده ذل، وأن هذه المساعدات هي ثمن البلاد، وقبول وتعايش مع الهزيمة التي لحقت بالشعب الفلسطيني.

أخيراً هل تستدعي حرب الإبادة الموجهة ضد الشعب الفلسطيني الموجود في غزة ضمائر المنتجين العرب في مختلف أصقاع الأرض لكي يتم إنتاج عمل درامي يتناول عملية الإبادة التي يتعرض لها أهالي غزة، وإذ لم تحرك الإبادة جيوب المنتجين العرب، فهل تحركهم صرخات الأطفال، وموت الصحفيين، أو فريق المطبخ العالمي الذي قتل بنيران القصف، أو يحرك كل ما ذكر إدارات المحطات العربية لإنتاج عمل درامي مشترك بين المحطات العربية في أكثر من دولة عربية، لكي يكون الإنتاج على مستوى الإبادة الجماعية، والحصار الذي فرضه الاحتلال على قطاع غزة لأكثر من (١٥)عاماً.

إبراهيم الراعي

أسطورة الصمود في أقبية التحقيق الشهيد الرفيق

AL-HADAF الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

وليد دقة سردية الوعي .. الفدائي الشامل

مروان عبد العال

روائيٌّ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين / لبنان

مازال السجّان يحتجز وليد دقة، ينتقم من " الزمن الموازي" فيسعى إلى إيقافه ، عقلية استعمارية تنتقل من حيز السيطرة على الحياة الى حيّز القبض على الموت ومنع الجسد من أن يموت ويدفن كما يحدث بيولوجياً بعد الموت، أن تموت ولا تدفن ! هذا آخر ما توصله قادة الإجرام هو تجميد زمن الموت هو تشكيل حيّز الجسد، وتحديد جغرافيا الكائن وخارطته الخارجية والداخلية، ليفصل بين زمنه الذي يحلق كروح حيّة وحيّزه الذي الجسدي الذي قيده قهراً واسراً وموتاً، بين داخله وخارجه، لذا خاض معركة الوعي، في اشتغاله الفكري حين كتب "صهر الوعي" مسلطاً الضوء على أحدث النظريات في الهندسة البشرية وعلم نفس الجماعات المستخدمة، بهدف التلاعب بالوعي وبتفكيك قيمه ومكوناته الوطنية الجامعة.

وليد دقة الذي حذّر بشدة من أسلوب الاحتلال الشمولي الذي يستند إلى النظم العلمية ومنطقها العقلي التي وضعتها "إسرائيل" والتي شبهها إلى حد بعيد بحالة الإبادة السياسية "بولي- سايد" ، التي هي تمهيد للإبادة الجماعية، وأطلق مشروعه الحكائي للجيل الجديد، فكانت ثلاثية السر، سر الزيت وسر السيف وسر الطيف، كفعل ثقافي مقاوم، عاند كل أشكال الإبادة في مرضه وصموده وتحديه وسرديته، وعد فصدق، عندما قال "أكتب حتى أتحرر من السجن.." ، بل إن وليد كتب حتى نتحرر نحن من سجن الوهم والجهل ونحرر المستقبل، كما وصفه أقدم سجين عربي .. إنه المستقبل العربي.

وليد دقة المتعدد والمثقف العضوي، عمل على صوغ أيديولوجيا ثورية إبداعية، وفلسفة خاصة جديدة معجونة بطين الألم والأمل والحب، وهو من صنّاع ملحمة القيد والحرية التي خطها القادة إبراهيم الراعي، ومصطفى العكاوي، ونادر عفولة والخواجا وغيرهم.

كم يليق به لقب "فوتشيك فلسطين" ، نموذجاً بطولياً للرفيق الذي استشهد ولم ينكسر، فكانت حياته تحاكي رواية "تحت أعواد المشانق" ليوليوس فوتشيك الذي أُعدم في سجون النازية وصارت روايته قاموس الثوريين في الزنازين، وحفظها وليد ورفاقه عن ظهر قلب ونسخها عشرات المرات بخط يده لتعمم على سائر السجون، وصارت تسرب في العبارة المشهورة التي رددها غسان كنفاني كعنوانٍ للتحدي وللبطولة والتضحية عندما كتب: "لا عذر لمن أدرك الفكرة وتخلى عنها."

زمن وليد دقة" الزمن الموازي" زمن النموذج الفدائي الأصيل، الذي تمسك بيقينه حتى النهاية، هذه الروح التي تلد وتستنخ القيم الثورية و الرموز الاستثنائية، بحضورها الثوري ومدرسة عالية في الصلابة والتصميم والإرادة بل هم رأس مال المقاومة في روحها ووجدانها.

وليد دقة صورة الزمن الفدائي الشامل، وبانوراما لتغريبة الشعب الفلسطيني وسيرته التحررية في ساحة الاشتباك التاريخي، ناضل، وناور وحاور، وصمد، وأصيب، وكبر، وعاند، وأضرب، وكتب، وبحث، ودرس، ورسم، وتعلم، وفكر، وألّف، ونشر، وعزف وغنى ثم أحب وتزوج وأنجب وفقد والدته ومرض واستشهد وهو داخل السجن، و ظل وراء يقينه حتى النهاية، هذه الروح التي تلد الرموز، هم رأس مال المقاومة في روحها ووجدانها.

إنه زمن وليد دقة صادقاً وواضحاً كالحقيقة؛ زمن لا تختلط فيه الحقيقة بالوهم، ولا يستسلم لدكتاتورية الوهم في انتهاك الحقيقة، حين نرى طغيان الدجل السياسي الذي لا ينطلي على عدد المجازر الممنهجة، والإبادة البيولوجية التي تفقأ أعين العالم وعلى الهواء مباشرة، ليس هناك ما هو أقبح من هذا الوهم، إنه صورة العدو الذي يحارب الحياة ويجتث روح الحقيقة.

وكي لا ينتصر الموت على الحياة

وليد دقة لم يمت قبل أن يكون نداً، ظل واقفاً كي لا تُهزم الحقيقة وينتصر الوهم، كتب وليد رسالة إلى ميلاد، لطفلة لم تولد بعد، والتي ولدت لتقرأها ولتحقق حلمه يوماً ما ، حين طرح فيها السؤال: "أيهما المجنون..؟؟ دولة نووية تحارب طفلاً لم يولد بعد فتحسبه خطراً أمنياً، ويغدو حاضراً في تقاريرها الاستخبارية ومرافعاتها القضائية.. أم أن أحلم بطفل؟"

AL-HADAF الهدف